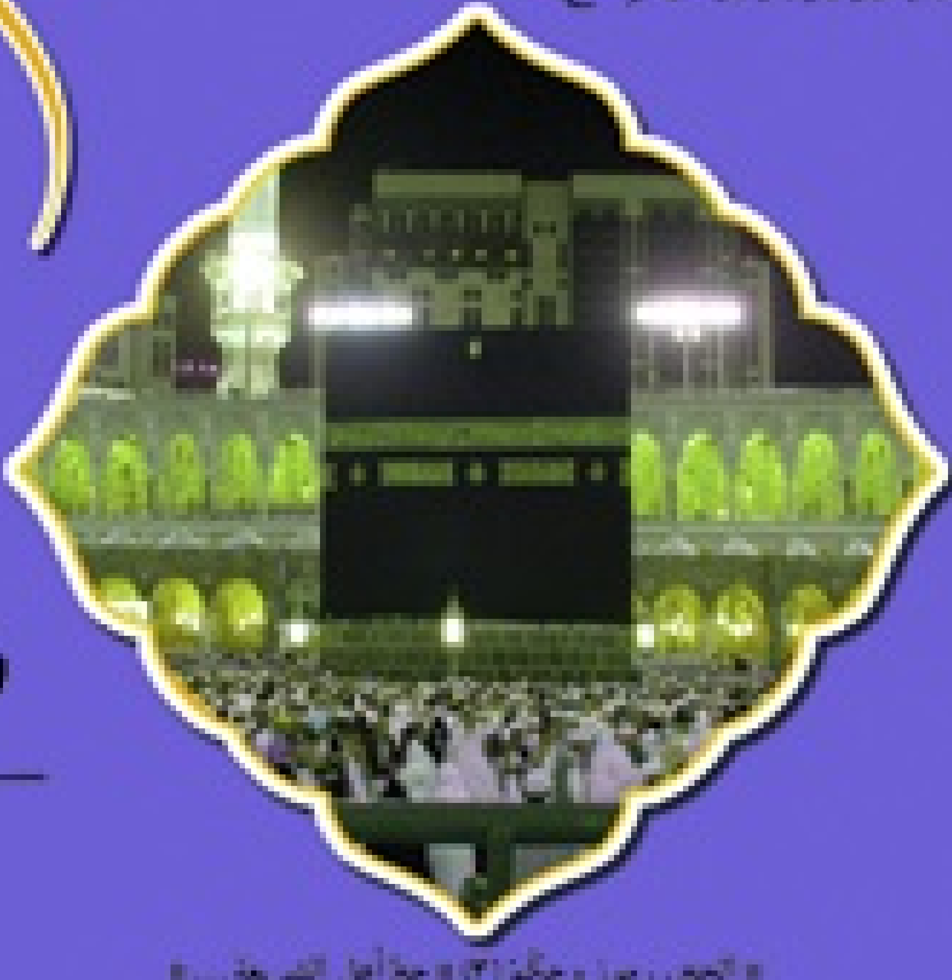
ميقات الحج

مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الفقهية
والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج



٣

بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

میقات الحج المجلد۳

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج[پیایند: مجله]
مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزیارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -
فاصله انتشار : شش ماه یکبار
یادداشت : عربی
فهرست‌نویسی براساس سال۳ شماره۵ سال۱۴۱۷ق.
یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می‌شود
یادداشت : المدیرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری
رئیس‌التحریر: علی قاضی‌عسکر
یادداشت : کتابنامه
ترجمه عنوان : Mighat al - haj
موضوع : حج -- نشریات ادواری
شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول
Muhammadi Reyshahri, Muhammad
قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردبیر
شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت
رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸
رده بندی د... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵
ص: ۱

الحجّ فی احادیث الامام الخمینی قدس سره

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

ص: ۶

ص: ٧

ص: ۸

ص: ۹

الحجّ فی أحادیث الإمام الخمینی قدس سره

... إنّ الحجّ یمثّل أفضل مکان لتعارف الشعوب الإسلامیّة، حیث یتعرّف المسلمون علی اخوانهم وأخواتهم فی الدین من شتّی أنحاء العالم، ویلتقون مع بعضهم فی البیت الذی تتعلّق به کلّ المجتمعات الإسلامیة مِن أتباع إبراهیم الحنیف «وأذّن فی الناس بالحج یأتوک رجالًا وعلی کلّ ضامر یأتین من کلّ فجّ عمیق» (۱)

. وینبذهم ما یمایزهم من اللون والقومیة والأصل، یعودون إلی أرضهم وبیتهم الأول.

وبمراعاتهم للأخلاق الإسلامیّة الکریمة، وتجنّبهم للجدال ومظاهر الزینة، یجسّدونصفاء الأخوة الإسلامیّة ومظهر وحدة الأمّة المحمدیّة ....

... أنتم یا حجاج بیت اللَّه الحرام، (یا من) وفدتم من أطراف

۱- ۱ الحج: ۲۷.

ص: ۱۰

العالم وأكنافه على بيت اللَّه مركز التوحيد ومهبط الوحى ومقام ابراهيم ومحمد الرجلين العظيمين الثائرين على المستكبرين، وسارعتم للوصول الى المواقف الكريمة التى كانت فى عصر الوحى أرضاً يابسة وهضاباً جافة، غير انّها كانت مهبط ملائكة اللَّه ومحلًا لهجوم جنود اللَّه، ولتوقف أنبياء اللَّه وعباد اللَّه الصالحين!! اعرفوا هذه المشاعر الكبرى وتجهّزوا من مركز تحطيم الأصنام لتحطيم الأصنام الكبرى التى ظهرت على شكل قوى شيطانية و (على شكل) غزاة يمتصّون الدماء. ولاـ تخشوا هذه القوى الفارغة من الايمان، وبالاتكال على اللَّه العظيم وفى هذه المواقف الكريمة اعقدوا بينكم ميثاق الاتحاد والاتفاق أمام جنود الشرك والشيطنة، واحذروا من التفرّق والتنازع «... ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ...» (۱).

ريح الايمان والإسلام، التى هى أساس النصر والقوة، تزول بالتنازع والتشرذم المنسجم مع الأهواء النفسية، والمخالف لأحكام اللَّه تعالى. والاجتماع على الحق وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد (عناصر تشكل) أساس عظمة الأمة الإسلامية وتؤدى إلى الإنتصار.

الهوامش:

الحجّ فی احادیث الامام الخامنئی

۱- ۱ الأنفال: ۴۶.

ص: ۱۱

الحجّ فی أحادیث الإمام الخامنئی

(مد ظله العالی)

... فی آیات الحج نری القرآن یدعو الجمیع إلی البراءة من أوثان المشرکین:

«... فاجتنبوا الرجس من الأوثان ...» (۱).

وهـذه الأوثان کانت یوماً تلک الأوثان المنتصبة فی الکعبـة، لکنها الیوم ودائماً، تلک القوی التی تمسک- دون حقّ- بزمام الحاکمیة علی نظام حیاة البشـر، وتتجلّی الیوم بوضوحٍ أکثر فی قـدرة الاسـتکبار وقـدرة أمریکا الشـیطانیة، وقدرة ثقافة الغرب، والفساد والتحلّل المفروض علی البلدان والشعوب المسلمة. واضح أنّ أذناب الحکومات المهزوزة ومأجوریها یُصرّون علی أنّ الأوثان لیست إلّا «منات» و «لات» و «هبل»، التی سُحقت وحُطّمت تحت أقدام جیش

۱- ۱ الحج: ۳۰.

ص: ۱۲

رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فی الفتح الإسلامی الظافر.

هدف وعّاظ السلاطین هؤلاء أن یفرغوا الحجَّ- کما یصرّحون هم بذلک- من أیّ محتوی سیاسی ... غافلین أن هذا التجمع الملیونی الإسلامی من کلّ حدب وصوب، فی بقعة معیّنة وفی زمانٍ معیّن، ینطوی بنفسه علی أکبر مضمون سیاسی، إنه استعراض للأُمّة الإسلامیة تذوب فیه الاختلافات العنصریة واللغویة والجغرافیة والتاریخیة، وینبثق منه «کلّ» واحد.

هؤلاء وأسیادهم یلقّون کلّ ألوان الأکاذیب والخداع والأباطیل من أجل أن لا یعی المسلمون حقیقة هذا التجمع الکبیر، وأن لا یستشعروا الروح الجماعیة فیه .. ولکی یضیّقوا الساحة علی الداعین إلی الوحدة، والمنادین بالبراءة من أئمة الشرک.

إیران الإسلام أرادت أن تقوم بأقلّ عمل- إن لم یکن بأکبر عمل- یتناسب مع موضوع الحج، وهو دعوة المسلمین إلی الاتّحاد، وتبادل الأخبار بین الشعوب، وإعلان النفرة والبراءة من أئمة الشرک والفساد. وکلّ من یجابه هذه الأهداف السامیة القیّمة، فهو مهما قال، فقد قال زوراً. والقرآن یقول: «... واجتنبوا قولَ الزّور» (۱).

«قول الزور» هو ذلک الحدیث الباطل الذی یسیء إلی الجمهوریة الإسلامیة، لأنّ الجمهوریة الإسلامیة رفضت حاکمیة دولة الصهاینة علی فلسطین الإسلامیّة، وردّت کلّ تسویة تقوم بها حفنة من الفاسدین المطرودین مع الغاصبین، وأدانت التدخّل الأمیرکی الاستیلائی فی البلدان العربیة، واستنکرت خیانة بعض حکّام العالم الإسلامی لشعوبهم المسلمة إرضاءً لأمریکا والصهیونیة،

۱- ۱ الحجّ: ۳۰.

ص: ١٣

ودعت المسلمين إلى معرفة قوّتهم الكبرى التى لا تقوى أية قوة كبرى اليوم أن تقف بوجهها، وقرّرت أن المعرفة الإسلامية وأحكام الشريعة قادرة على إدارة البلدان الإسلاميّة، وحذّرت من غارة الثقافة الغربية على البلدان الإسلاميّة، متمثلة فى التعرّى والسكر وزلزلة الإيمان ...

وبعبارة موجزة أصرّت على اتّباع القرآن.

واليوم فإنّ أى بلد من البلدان الإسلاميّة يعلنصراحة مثل هذا التبنّى وهذه المواقف، أى يرفض إسرائيل الغاصبة، ويرفض التدخّل الأمريكى المتغطرس، ويرفض الانغماس فى الخمور والتحلل والفساد الجنسى واختلاط الجنسين، ويرفظ الاتفاق مع الصهاينة المغتصبين، ويدعو المسلمين إلى الوحدة والمقاومة أمام القوى الكبرى، وإلى تطبيق الأحكام الإسلاميّة فى الحكم والاقتصاد والسياسة وغيرها من مجالات الحياة ....

الهوامش:

شريعة إبراهيم عليه السلام فى القرآن المجيد

شريعة إبراهيم عليه السلام فى القرآن المجيد

ص: ۱۴

عبد اللَّه جوادى آملى

«يا أهل الكتاب لِمَ تحاجّون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل الّا من بعده أفلا تعقلون». «ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلِمَ تحاجّون فيما ليس لكم به علم واللَّه يعلم وأنتم لا تعلمون». «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين». «انّ أولى النّاس بإبراهيم لَلذين اتبعوه وهذا النبىّ والذين آمنوا واللَّه ولىّ المؤمنين» (۱).

بحث تفسيرى:

تتلخص المباحث التفسيريّة للآيات الآنفة الذكر، التى تستنطق سيرة النبى إبراهيم عليه السلام بعدة محاور:

۱- ۱ آل عمران: ۶۵- ۶۸.

ص: ۱۵

۱- احتجاج ومناظرة أهل الكتاب.

۲- عدم وجود الارتباط بين إبراهيم عليه السلام واليهود والنصارى.

۳- أصل وأساس دين إبراهيم الخليل- سلام اللَّه عليه-.

۴- استدلال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بالآية، فيما يتعلق بمسألة الخلافة.

احتجاج أهل الكتاب:

بما أنّ النبيَّ إبراهيم عليه السلام يُذكر بكلّ عظمةٍ فى الكتب السماويّة، وبين اتباع الأديان الإلهيّة كذلك، فإنّ كلًا من الهيود والنصارى عدّوه عليه السلام منهم، ووصفوه بأنّه مسيحى أو يهودى، وذهبوا فى ذلك إلى مرحلة المحاججة والمناظرة.

محور الاحتجاج:

المستفاد من ظاهر الآية: أنّهم كانوا يحاجّون على أمرٍ غير معقول! فهل ذلك كان بسبب ما تقوله إليهود: إنّ النبى إبراهيم عليه السلام كان يعمل بشريعة موسى، أم لما تقوله المسيحيّة من أنّه عليه السلام كان يعمل طبقاً لدين عيسى؟!

من المستبعد أن يحصل مثل هذا الاحتجاج؛ لأنّه من الواضح جداً أنّه عليه السلام سبق موسى وعيسى، وعاش قبل هذين النبيّين عليهما السلام بعدة قرون، إذن كيف يمكن أن يتّبع ديناً لم يأتِ بعد؟!

قبل البدء بالبحث حول محور احتجاج أهل الكتاب، يجب أن نعلم أنّ احتجاجهم، كان حول دين النبى إبراهيم عليه السلام وشريعته الخاصّة، ولم يكن حول أصل نبوّته أو رسالته أو جهاده. ويجب أن نعلم أيضاً، أنّهم عندما كانوا يقولون «كان إبراهيم يدين بديننا»؛ كان مرادهم أنّ ديننا استمرارٌ لطريق إبراهيم ونحن

ص: ۱۶

ورثته عليه السلام؛ لأنّه كما بينا ذلك آنفاً، ليس من المعقول أن يقول قائل: إنّ إبراهيم الذى عاش قبل عدّة قرون من نزول التوراة والإنجيل، عمل وفقاً لذينك الكتابين اللذين شُرِّعا بعده، وكان يعمل وفقاً لهما! وإن كان لا يستعبد القول:

انّه عليه السلام كان عالماً بالشريعة اللاحقة وله اطّلاع بها.

رأى العلّامة الطباطبائى رضى الله عنهصاحب تفسير الميزان:

يمكن تلخيص رأى المرحوم الأستاذ العلّامة الطباطبائى فى عدّة نقاط:

۱- أنّ هذه المناظرة كانت محصورة بين إليهود والنصارى فقط.

۲- أنّ إليهود والنصارى احتجّوا بنوعين من المحاجّة والمناظرة:

الف- استدلال علمى ومنطقى؛ حيث إنّ القرآن الكريم يقول بصحّة مثل هذه المحاجّة والاستدلال.

ب- احتجاجٌ غير عقلائى واستدلالٌ غير منطقى.

أسلوب الاحتجاج العلمى لليهود والنصارى:

كان النصارى يقولون لليهود- الذين يدّعون أنّ دينهم وكتابهم أبدى ولا سبيل إلى نسخِهِ: لقد نُسِخَتِ التوراة بنزول الإنجيل، الذى يبيّن شريعة عيسى عليه السلام، ويجب على أتباع الدين السابق الإيمان بالدين اللاحق، ويعدوه دينهم الحقّ هذا أولًا. وثانياً: إنّ عيسى النبىّ كان طاهراً، وإن مريم عليها السلام سيدة طاهرة وعفيفة.

وبالمقابل، فإنّ إليهود خاطبوا النصارى بقولهم: أنتم على باطل؛ لاعتقادكم بالتثليث، وقولكم المسيح ابن اللَّه.

ص: ۱۷

الاحتجاج غیر العقلائی والاستدلال غیر المنطقی:

إنّ المناظرة غیر العقلائیة لکل منهم تتمثل بقولهم: «إنّ إبراهیم الخلیل علیه السلام منّا»، ولذا من البدیهی أن یکون ذم القرآن وتوبیخه لهم فی هـذا المحور فقـط؛ لأـن مثـل هـذه المنـاظرة لاـ تسـتند إلی برهـان عقلی، ولا یوجـد أیضاً فی کتابهم السـماوی حـدیث بهـذا الخصوص، لکی تستند مناظراتهم إلی الوحی.

یقول القرآن الکریم بهذا الخصوص: «ائتونی بکتاب من قبل هذا أو أثارةٍ من علم إن کنتمصادقین» (۱).

أما کون المسلمین یعدّون النبیّ إبراهیم الخلیل علیه السلام منهم، فلأنّهم یستندون فی ذلک علی القرآن الکریم، الذی بیّن قصّته علیه السلام وقصة أتباعه.

وبناءً علی ذلک، فلِمَ تحاجّون وتناقشون فیما لیس لکم به علم واطلاع، وهـذه کتبکم لا تحتوی علی مطلبٍ حول النبیّ إبراهیم الخلیل علیه السلام یدلّ علی ارتباطه بکم؟! (۲) تحلیل مقولة المیزان:

إن حـدیث المرحوم الأسـتاذ العلّامـة الطباطبائی مقابل غیره من المفسّـرین، وإن کان عمیقاً وقابلًا للمناقشـة والتأمّل، ولکن من الصـعب أولًا: إثبـات أن احتجاجهم کان محصوراً بینهم، وأن ذلک یسـتفاد من ظاهر الآیـة، وثانیاً: أن قوله: إن الیهودیّـة أقامت الحجّـة العلمیة علی المسـیحیّة، یمکن أن یکون تامّاً ومحل ثناء وتقدیر، لو کانت الحجّة فی غیر محور الثقلین، ونبوّة السـید المسیح علیه السلام؛ لأنّه بإمکان المسیحیّة أیضاً، إقامة الحجة علی الیهود، حول قولهم: إنّ عزیز ابن اللّه «وقالت الیهود عزیز ابن اللّه» (۳)

، وبناء علی ذلک، فإن الطائفة المبتلاة بالشرک لا یمکنها محاجة الطرف المقابل فی موضوع الشرک.

۱- ۱ الأحقاف: ۴.

۲- ۲ المیزان ۳: ۲۷۶.

۳- ۳ التوبة: ۳۰.

ص: ۱۸

ولكن احتجاج المسيحيّة على اليهود المستند إلى نسخ الكتاب السابق بواسطة الكتاب اللاحق، احتجاج حق وصحيح.

رأى الزمخشرى:

يعتقد الزمخشرى بأن اللَّه- تعالى- يحقر المتحاجين فى كلا الموردين ويوبخهم. وهو يفسر قوله تعالى «ها أنتم هؤلاء» على هذا النحو:

«ها أنتم هؤلاء الجهلاء قد حاججتم فيما لكم به علم، وتحدث حوله كتابكم أيضاً، فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم، ولم يَرِدْ فى التوراة والإنجيل كلامٌ حوله؟!».

تناسب ظاهر الآية مع بيان الزمخشرى:

بما أنّ الجملة تبدأ بحرفى تنبيه (ها أنتم هؤلاء)- اللذين وضعا لتحذير الغافل- فهى إذن أنسب للدلالة على التحقير. اضافة لذلك، هناك آية أخرى فى القرآن الكريم، استعملت فيها (هاء) التنبيه للتحقير؛ كما هو الحال فى قوله تعالى:

«ها أنتم هؤلاء تُدعَون لتنفقوا فى سبيل اللَّه» (۱)

؛ كالذى يعدّ نفسه للامتحان فى كتابٍ لم يطالعه، ولمّا ينجح فى الكتاب الذى قرأه. فيقال له هنا: إنك لم تفلح فى الخروج مرفوع الرأس من امتحان الكتاب الذى طالعته، فأنّى لك أن تمتحن فى كتابٍ لم تقرأه؟!

ولذا يقال لأهل الكتاب: ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، وتحدّث به كتابكم عن موسى وعيسى ورسول اللَّه- عليهمصلوات اللَّه- وفشلتم، فكيف تحاجّون فى شريعةٍ لا اطلاع لكم بها اطلاقاً، ولم يَرِدْ لها ذكرٌ فى كتابكم.

«ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً ...» (۲).

۱- ۱ محمد: ۳۸.

۲- ۲ آل عمران: ۶۷.

ص: ۱۹

فی هـذا الجزء من الآیـة، نلاحظ وجود عدّة جمل سـلبیة، وجملة واحدة اثباتیة؛ ففی الجزء السـلبی منها، تبیّن إبراهیم علی أنّه منفصـلٌ عن الیهودیة والنصـرانیة، وتنفی ارتباطه علیه السـلام بهاتیک المجموعتین؛ لأنه أولًا: مثل هذا الدین الممتزج بالتحریف، ینفر منه حتّی موسـی وعیسـی علیهما السـلام وثانیاً: مع أنّ الـدیانتین الیهودیة والنصـرانیة الأصـلیتین حقّ، إلّاأنّ إبراهیم الخلیل علیه السـلام لم یعمل بتعالیم دینٍ نزل فیما بعد. أما جملتها الإثباتیة فهی: إنّ إبراهیم علیه السلام یعدّ مسلماً مستقیماً.

عظمة إبراهیم بین أهل الکتاب:

بمـا أنّ الیهـود والنصـاری، لم یکن بوسـعهم إنکـار حـقّ إبراهیم الخلیـل الـذی تحـدّثت بعظمته الکتب السـماویة؛ مثلصـحف إبراهیم والقرآن الکریم، فإن کلًا منهما کان ینسب الخلیل علیه السلام له، ویصفه علی أنّه یهودی أو مسیحی.

ولکن القرآن الکریم یشطب علی جمیع هذه الأوهام بخطّ البطلان، وینفی انتسابه علیه السلام للیهود والنصاری «ما کان إبراهیم یهودیاً ولا نصرانیاً ولکن حنیفاً مسلماً وما کان من المشرکین».

ادّعاء الیهود والنصاری بالأنبیاء الإبراهیمیین ورأی القرآن بذلک:

ناهیک عن ادّعاء الیهود والنصاری بانتساب إبراهیم إلیهم، فإنهم ذهبوا إلی القول بانتساب بقیّـة الأنبیاء الإبراهیمیین إلیهم، وقالوا: إنهم یهودٌ أو نصـاری، ولـذلک فـإنّ القرآن الکریم، بیّن وجهـة نظره ببقیـة الأنبیـاء الإـبراهیمیین علی هـذا الأساس: «أم تقولون إنّ إبراهیم وإسماعیل وإسحاق ویعقوب والأسباط کانوا هوداً أو نصاری قل أأنتم أعلم أم اللَّه ...» (۱).

۱- ۱ البقرة: ۱۴۰.

ص: ۲۰

بحث لغوی:

«الحنيف»؛ يعنى المائل إلى الوسط، والمستقيم الذى يراد به الميل إلى الحق؛ فالذى يسير فى الشارع مثلًا، ويسعى للابتعاد عن الرصيف والانتقال إلى الوسط، يقال عنه «حنيف»، ويقال كذلك عن الذى رجله مستقيمة ومائلة إلى الوسط بأنه «أحنف»، ولذلك ومن باب «تسمية الشيء باسم ضدّه» يقال عن الذى اعوجّت رجله وانحرفت: بأنه «أحنف»؛ كما يقال عن الأعمى (بصير).

حنيفية المشركين:

إنّ القرآن الكريم، ومن أجل الفصل بين الحنيفيّة بمعناها الآنف الذكر، والحنيفية المتداولة بين المشركين، فقد قيّدها بكلمة «مسلماً»؛ لأنهم كانوا يؤدّون مناسك الحجّ والزيارة، مع كونهم مشركين، ولهذا السبب فقد كانوا يسمونهم حنفاء (۱). ولذا ينفى القرآنصفة الشرك الموجودة عند اليهودية والنصرانية عنه عليه السلام فى نهاية الآية من باب التأكيد. «وما كان من المشركين».

إبراهيم عليه السلام مسلم:

بعد أن سلب القرآن الكريم اليهودية والنصرانية عن إبراهيم الخليل، فقد قال عنه: إنه مسلم «ولكن حنيفاً مسلماً».

معنى الإسلام:

تطلق كلمة الإسلام أحياناً بمعناها الشائع والمتعارف عليه- الذى يشمل الأصول والفروع وما جاء به خاتم الأنبياء- وأحياناً يراد بكلمة الإسلام الخطوط العامة والأصول الأساسية، ويذكر بهذا المعنى فى المصطلح القرآنى، وإن

۱- ۱ ورد فى مكان آخر أنه لو لم يكن قيد «مسلماً» موجوداً، فإن الموضوع كان واضحاً أيضاً، وإنما جاء القيدلغرض التوضيح ليس الّا.

ص: ۲۱

بعض الآيات وردت بلحاظ هذا المعنى، مثل قوله تعالى: «إنّ الدّين عند اللّه الإسلام» (۱).

المراد بكون إبراهيم عليه السلام مسلماً:

أما كون المسلمين يعدّون إبراهيم الخليل عليه السلام مسلماً، وينسبونه لهم فى مناظراتهم، فإنّ السبب فى ذلك يعود أولًا: إلى أنهم يستظهرون سيرته عليه السلام من كتابهم السماوى. ويعود ثانياً: إلى أن مرادهم من كلمة الإسلام هو أنه عليه السلام منسجم ومتطابقٌ مع الدين الإسلامى فى الخطوط الأصلية والأصول الأساسية، وإن كان عليه السلام متطابقاً مع الخطوط العامّة للتوراة والإنجيل أيضاً، ولكن بما أن ذينك الكتابين ابتليا بالتحريف وبقى القرآن مصوناً منه، لذا يمكننا أن نقول:

إنّه عليه السلام وبقية الأنبياء الإبراهيميين يتوافقون مع أصول القرآن ودين المسلمين.

«إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتّبعوه وهذا النّبى والذين آمنوا واللّه ولى المؤمنين» (۲).

ارتباط ثلاثة مجاميع بسيدنا إبراهيم:

بعد أن نفت الآية الكريمة فى الجزء السابق، ارتباط سيدنا إبراهيم باليهود والنصارى، ونفت كذلك انتساب وارتباط تلك المجموعتين به، فقد قدّمت ثلاثة مجاميع على أنّهم ورثته وأتباعه:

۱- المؤمنون به من الذين عاصروه واتّبعوه ونصروه «للّذين اتّبعوه».

۲- خاتم الأنبياء «وهذا النبىّ».

۳- المؤمنون بخاتم الأنبياء «والذين آمنوا».

۱- ۱ تطرقنا إلى شرحه بالتفصيل آخر الآية.

۲- ۲ آل عمران: ۶۸.

ص: ۲۲

البحث الأدبى والتفسيرى الصحيح:

قرأ البعض «هـذا النبىّ» على النصب، وفسـروه بهـذا المعنى «أن أولى النـاس بإبراهيم، لّلـذين اتبعوه وأتباع خاتم الأنبياء». إلّاأنّه ناهيك عن عدم تناسب هذه القراءة مع ظاهر الآية، فإن عبارة «والذين آمنوا» ستلغى أيضاً.

وبناءً على ذلك، فإنّ قراءة الرفع هى الأرجح.

القرآن واحترام خاتم الأنبياء:

بما أنّ القرآن الكريم ينظر باحترام خاص للسـيد الخاتمصـلى الله عليه و آله، ويرى أنّه أعظم من أن يكون تابعاً لأحـدٍ، لـذا فإنه عندما يذكر الأنبياء الإبراهيميين، يخاطبه بالقول: «فبهداهم اقتده» (۱)

. إلّاأنّه يخاطبهم ويخاطب المسلمين أيضاً للاقتداء بملّة إبراهيم عليه السلام: «... ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين ...» (۲).

نوح عليه السلام من أول الدعاة إلى التوحيد:

يعـدّ نوح عليه السـلام أول نبىّصـاحب كتـاب وشـريعة، وحصـل على لقب شـيخ الأنبيـاء. لـذا عـدّه القرآن الكريم من أول الـدعاة إلى التوحيد، ويسلِّم عليه بكل عظمة وإجلال، ويقول: «سلامٌ على نوح فى العالمين» (۳)

، حيث لم يَرِد مثل هذا التعبير بحق باقى الأنبياء، كما فى قوله تعالى: «سلامٌ على موسى وهارون» (۴)

، «سلامٌ على إبراهيم» (۵).

النبى نوح عليه السلام مؤسس التوحيد الإبراهيمى:

بعـد ذلك عـدّ القرآن الكريم سـيدنا إبراهيم عليه السـلام من أتباع نوح عليه السـلام، وأنّ التوحيد الذى وضع أسـسه نوح- سـلام اللَّه عليه- أساسٌ لدين إبراهيم، كما فى

۱- ۱ الأنعام: ۹۰.

۲- ۲ الحج: ۷۸.

۳- ۳ الصافات: ۷۹.

۴- ۴ الصافات: ۱۲۰.

۵- ۵ الصافات: ۱۰۹.

ص: ۲۳

قوله تعالى: «وإنّ من شيعته لإبراهيم» (۱)

. أى «وإن من شيعة نوح إبراهيم الخليل - سلام اللَّه عليه -».

معنى الشيعة:

يسمى الشيعة «شيعة»؛ لأن رشحات الشريعة تشيع وتنتشر، على أثر اتّباع مجموعةٍ ما لصاحب تلك الشريعة.

ولاية اللَّه أساس اتّباع الأنبياء:

وتذكر الآية الكريمة فى نهايتها، السبب فى جعل سيّدنا إبراهيم عليه السلام محوراً:

تمتعه بالولاية الإلهية، حيث تقول الآية الكريمة: «واللَّه ولى المؤمنين»، ويتضحُ من ذلك أنه عليه السلام وأتباعه، وأنّ خاتم الأنبياءصلى الله عليه و آله والمسلمين، يعدّون من المصاديق الواضحة للمؤمنين، وأن امتلاك سيدنا إبراهيم لمثل هذا المقام، يعود إلى تمتعه بإيمان الولاية الإلهية الشامل الذى حباه اللَّه تعالى به.

صفات أتباع إبراهيم عليه السلام:

مَن أراد أن يكون من أتباعه عليه السلام، عليه أن يتّخذه أسوة له، ويعمل وفق تعاليمه؛ «قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه» (۲).

البراءة من المشركين:

من جملة واجبات اتباع سيدنا إبراهيم عليه السلام، الوقوف بوجه الطواغيت، وإعلان البراءة من معتقدات المشركين، كما قال هو عليه السلام والذين آمنوا به: «إنّا بُرءؤا منكم»، والاقتداء به عليه السلام فى قضية البراءة من الطواغيت والمشركين،

۱- ۱ الصافات: ۸۳.

۲- ۲ الممتحنة: ۴.

ص: ۲۴

كاقتدائهم به فى الجانب الإيجابى من الاقتداء أى المولاة، كمناسك الحج والزيارة.

إثبات الإمامة فى نهج البلاغة:

الآية الكريمة: «إن أولى الناس بإبراهيم» من جملة الآيات التى استفاد منها أمير المؤمنين عليه السلام لإثبات حقّه كما ورد فى نهج البلاغة، وجعلها محوراً لاستدلاله على هذا الأمر.

نموذجان من كلام الإمام عليه السلام:

النموذج الأول: عبارة عن الكتاب الذى أرسله الإمام عليه السلام إلى معاوية، حيث استنطق فيه سمةً من فضائل أهل البيت.

ويقول عليه السلام أيضاً: إن قوماً يقتلون فى جبهات القتال، ولكن قتيلنا يحظى بلقب «سيد الشهداء»، وإن قوماً قطّعت أيديهم فى المعارك، حتّى إذا قطعت يدُ أحدنا، بلغ مقام «الطيار فى الجنّة» و «ذو الجناحين».

صلة الرحم وطاعة النبىّ عاملا تثبيت الخلافة:

يقول عليه السلام فى نهاية الكتاب: «فإسلامُنا قد سُمِع، وجاهليتنا لا تُدفع، وكتابُ اللَّه يجمع لنا ما شَذَّ عنّا»؛ أى: إن سوابقنا ولواحقنا واضحة، وآيات القرآن الكريم جمعت ما شذّ عنّا؛ وهو قوله سبحانه وتعالى: «... وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب اللَّه ...» (۱)

، وقوله تعالى: «إن أولى الناس بإبراهيم لَلّذين اتبعوه وهذا النبىّ والذين آمنوا». وطبقاً لما جاء فى هاتين الآيتين، نحن أولى بالإمامة والخلافة لو كانتا على أساس القرابة. وإن كانتا على أساس الطاعة والاتّباع، فنحن أولى بالأمر أيضاً، وإننا أقرب إلى النبىّ فى كلتا الحالتين، فنحن

۱- ۱ الأنفال: ۷۵.

ص: ۲۵

مرّهً أولی بالقرابهٔ وتارهً أولی بالطاعهٔ.

بنـاءً علی ذلـک وطبقـاً لمـا جـاء فی الآیـهٔ الأولی، فنحن أقرب إلی النبی وأنتم أبعـد، ولما جاء فی الآیـهٔ الثانیـهٔ، نحن المطیعون وأنتم العاصون.

النموذج الثانی:- ورد فی باب حِکَمِهِ علیه السلام: «إنّ أولی الناس بالأنبیاء، أعلمهم بما جاءوا به».

وقد جاءت کلمهٔ «أعملهم» بدل «أعلمهم» فی بعض النسخ والکتب التفسیریهٔ، ولکن یستفاد من القرائن المستحصلهٔ، بأن أعلمهم هی الصحیحهٔ، لأن المراد من کلمهٔ العلم، فی کلامه علیه السلام، لیس خصوص العلم النظری؛ لکی یتسنّی لأولئک الذین یقرءُونها أعملهم أن یستندوا فی ذلک إلی مطابقهٔ الروایهٔ مع الآیهٔ القائلهٔ بجعل التبعیهٔ العملیهٔ هی المحور الأساس. بل إن کلمهٔ العلم یصطلح بها- أیضاً- علی من ینسجم عمله مع قوله؛ کما جاء فی إحدی الروایات: «العالم منصدق قوله فعلُه»، وکذلک قوله تعالی: «إنما یخشی اللَّهَ من عباده العلماءُ»؛ هذه الآیهٔ والروایهٔ تدلان علی هذه المسألهٔ دلالهً واضحهٔ؛ لأن الخوف مرحلهٔ «عملیهٔ» ترتبط بالعقل العملی، ولا علاقهٔ له «بالعقل النظری».

بعد ذلک یقول الإمام علی علیه السلام فی استنطاق الآیهٔ الشریفهٔ: «إنّ أولی الناس بابراهیم لَلّذین اتبعوه وهذا النبیّ»؛ یقول: «إن ولی محمدصلی الله علیه و آله من أطاع اللَّه وإن بعدت لحمته، وعدوّ محمدصلی الله علیه و آله من عصی اللَّه وإن قربت قرابته». وبناءً علی ذلک، فإن الإمام یبیّن للجمیع، أنه من کان مطیعاً للنبیصلی الله علیه و آله فهو من أقربائه وأولیائه وإن بعدت لحمته. وعدوّه من عصاه ولم یطع أوامره، وإن کان من أقربائه ولحمته.

ص: ۲۶

الهوامش:

الحجّ فی السنّهٔ

ص: ۲۷

الحجّ فی السنّة

واعظ زاده الخراسانی

الحـجّ والعمرة فی اللغـة یعنیان القصد والذهاب إلی مکان معین للزیارة (۱)، غیر أنّ العرب أطلقت اللفظین- حتی قبـل الإسـلام- علی نوعین من العبادة والزیارة لبیت الکعبة. والقرآن استعمل اللفظین مراراً بهذا المعنی الشائع لهما کقوله تعالی: «وأتمّوا الحجّ والعمرة للَّه» (۲)

. من هنا فإنّ المعنی الشائع لهذین اللفظین لیس «حقیقة شرعیة» ولا هو اصطلاح شرعی إسلامیّ کما تصوّر البعض ذلک.

کلمة «الحجّ»- بکسر الحاء- فی الآیة: «وللَّه علی الناس حجّ البیت مَنِ استطاع إلیه سبیلًا» (۳)

وکذلک کلمتا «حَجَّ» و «اعتمَرَ» فی الآیة: «فمن حجّ البیت أو اعتمر» (۴)

تدلّ جمیعاً علی أنّ الحجّ والعمرة بمعناهما الشائع الیوم کانا

۱- ۱ فی القاموس وأقرب الموارد، إحـدی معانی الحـج القصـد، وکثرة التردد، یقولصاحب أقرب الموارد حـجّفلاناً حجّاً: قصده، وبنو فلاـن فلانـاً: إذا أطـالوا الاختلاف إلیه، أی یقصـدونه ویزورونه. هـذا أصـله، ثم تُعورف اسـتعماله فی القصـد الی مکـة للنسک. الحِجّ بالکسـر لغـة فی الحـج، وقیل بالکسـر الاسم وبالفتـح المصـدر، ویقول فی العمرة: اسم من الاعتمار، وهی لغـةً: القصد إلی مکان عامر والزیارة التی فیها عمارة الودّ، وشرعاً أفعال مخصوصة تسمّی بالحج الأصغر ....

۲- ۲ البقرة: ۱۹۶.

۳- ۳ آل عمران: ۹۷.

۴- ۴ البقرة: ۱۵۸.

ص: ۲۸

موجودین فی اللغة العربیة قبل الإسلام.

السورة ۲۲ من القرآن تحمل اسم الحج، ویطلق أحیاناً علی الحجّ اسم «الحجّ الأکبر» وعلی العمرة اسم «الحجّ الأصغر» لمناسبة ما ورد فی الآیة:

«وأذانٌ من اللّه ورسوله إلی الناس یوم الحج الأکبر» (۱)

، مع أنّ هذا الیوم موضع اختلاف بین أن یکون یوم عرفة أی یوم التاسع من ذی الحجة (۲)، أو یوم النحر أی یوم العاشر منه.

تـوافرت الروایات عن طریق الفریقین أنّ الحـج من دعـائم الإسـلام، وأنه واحـد من الأسـس الخمسـة الـتی بنی علیهـا الإسـلام وهی: الشـهادتان، والصلاة، والصوم، والحجّ (۳)، وفی الروایـات الشـیعیة ذکر اسم ولایـة أهل البیت مکان الشـهادتین (۴) فی آخر الأسـس الخمسة.

إحـدی الروایات النبویة (۵) تصـف کـلّ واحـد من أرکـان الـدین بوصف معین، فتصف الصوم أنه جنّة، والزکـاة أنه مطهّر للأمـوال، والجهاد بأنه عزّ الإسلام، وتصف الحج بأنه الشریعة، دلالة علی أهمیة هذه العبادة حتّی کأنه الشریعة بأجمعها.

أهمیة فریضة الحج فی الإسلام تبلغ درجة بحیث إن ترکها فی لسان القرآن کفر: «ومن کفر فانّ اللّه غنیّ عن العالمین» (۶)

. وفی الجـواب عن السؤال بشـأن (الأهلّة) یـذکر القرآن الحـجّ بشـکل منفصـل، إلی جـانب مواقیت سـائر الأعمـال والعبـادات فیقول: «یسألونک عن الأهلة قل هی مواقیت للناس والحج» (۷).

یمکن دراسـة الحـج علی أربعـة أصـعدة: القرآن، والسـنّة، والفقه، وعمـل المسـلمین، وواضـح أن البحث الوافی والکامل لکلّصـعید لا یمکن أن ینفصل عن بقیة الأصعدة. غیر أننا نستهدف دراسة الحج علیصعید السنّة، ولابدّ قبل ذلک من استعراض سریع لآیات الحج.

۱- ۱ التوبة: ۳.

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۶۵ عن قول الصادق: الحج الأکبر الوقوف بعرفة ورمی الجمار، والحجّ الأصغر العمرة، فیبحار الأنوار، ط کمبانی ۱: ۷۴ روایات بهـذا المضـمون، وروایـة بأنه یوم النحر وروایـة فی ردّ قول ابن عباس تشـرح أنه یوم النحر لا یوم عرفـة، جامع الترمذی ۴: ۱۶۲ ویقال للحج الأکبر: یوم النحر، وللحج الأصغر: العمرة.

۳- ۳صحیح البخاری ۱: ۹.

۴- ۴ فی جامع أحادیث الشـیعة ۱: ۴۶۱ وما بعـدها، روایات عدیـدة بطرق وألفاظ مختلفـة عن الرسول الأعظم وأئمة أهل البیت، هذه الروایة فی دعائم الاسلام ۱: ۲ کالتالی: بنی الاسلام علی سبع دعائم: الولایة، والطهارة، والصلاة، والزکاة، والصوم، والحج، والجهاد.

۵- ۵ جامع أحادیث الشیعة ۱: ۴۷۵ نقلًا عن خصال الصدوق وعلل الصدوق.

۶- ۶ آل عمران: ۹۷.

۷- ۷ البقرة: ۱۸۹.

ص: ٢٩

عرض لآيات الحجّ في القرآن:

الآيات المرتبطة بالحج والكعبة تبلغ ثلاثين آية ووردت في خمس سور هي: البقرة ١٣ آية (١) وآل عمران: ١٢ آية (٢)، والمائدة: ۴ آيات (٣)، والتوبة:

٣ آيات (۴)، والحج: ٨ آيات (۵). هذا إلى جانب آيات سورة البقرة بشأن القبلة (۶)، وحرمة القتل في الحرم (٧)، وإلى جانب آيات سورتي «الفيل» و «إيلاف» التي ترتبط بالكعبة بشكل من الأشكال.

المواضيع التي تناولتها الآيات حول الحجّ بالتفصيل حينا، وبالإجمال حيناً آخر عبارة عن: بيت الكعبة أوّل معبد، وبناء البيت بيد إبراهيم وإسماعيل، ودعوة إبراهيم للناس بالحج، والآيات البيّنات ومقام إبراهيم، وكون الحرم آمناً، ووعد اللَّه للمسلمين بدخول المسجد الحرام، ووجوب الحج على المستطيع، ووجوب إتمام الحج والعمرة للَّه، وأشهر الحج، وبعض محرّمات الإحرام، والحجّ الأكبر، وسقاية الحاج، والطواف وصلاته، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف في المشعر الحرام والإفاضة من المشعر وعرفات، والحلق والتقصير، وذكر اسم اللَّه على الهدى بدل اسم الأوثان، وأكل الأضحية والتصدّق بها، وحكم المعذور عن الحج، والتكبير في أيام منى ومقدار الوقوف فيها، وحرمة الصيد في الحرم وكفارته، وحليّةصيد البحر، وحرمة الشعائر والقلائد، والأشهر الحرم وتعظيم الشعائر الإلهية، وجواز الهجوم في الحرم على من يصدّ الناس عن الحج، كما تتضمّن إشارة إلى فلسفة الحج كما في الآية: «ليشهدوا منافع لهم» (٨).

لو ألقينا نظرة سريعة على آيات الحج في القرآن الكريم لاستخلصنا منها المسائل التالية:

١- الكعبة والحرم والمشاهد المقدسة، وهكذا أعمال الحج ومناسكه ذكريات بقيت عن عهد إبراهيم الخليل جدّ الرسول الأكرم، واستمرّت ما يقارب

١- ١ البقرة: الآيات ١٢۵- ١٢٩، ١۵٨، ١٨٩، ١٩۶- ٢٠١.

٢- ٢ آل عمران: ٩۶ و ٩٧.

٣- ٣ المائدة: ٩۴- ١٠٧.

۴- ۴ التوبة: ٣ و ١٩ و ٣٧.

۵- ۵ الحج: ٢۶- ٣٠ و ٣٢- ٣۴.

۶- ۶ البقرة: ١۴٢- ١۴۵ و ١۴٧- ١۵٠.

٧- ٧ البقرة: ١٩١- ١٩۴.

٨- ٨ الحج: ٣٨.

ص: ۳۰

من ألفی عام بین أبناء إسماعیل والعرب، لکنها انحرفت وتغیّرت بالتدریج، وهذه المناسک التوحیدیة المعبّرة عن الخلوص للّهالواحد الأحد، قد تلوّثت بالشرک والوثنیّة، وتبدل بیت التوحید إلی بیت للأصنام.

نفهم من القرآن أنّ سیدنا إبراهیم دعا الناس- لأوّل مرّة بأمر ربّه- إلی الحج، وذکرنا أن کلمتی الحج والعمرة کانتا شائعتین قبل الإسلام، من هنا فالحج لیس عبادة فحسب، بل رسالة ودعوة، والعمل به تلبیة لتلک الدعوة، والتلبیة فی الحج إجابة لدعوة اللّه فی المیثاق الأزلی، ودعوة شیخ الأنبیاء إبراهیم معاً.

۲- نظراً لعراقة مناسک الحجّ، فانّ آیات الحج إمّا أن تکون قبولًا، أو رفضاً للمناسک الشائعة بین العرب قبل الإسلام. فلم یتحدّث القرآن عن الحج بلغة التأسیس والإنشاء دون الالتفات إلی تاریخه، کما تحدّث عن سائر العبادات.

من هنا فانّ فهم کثیر من آیات الحجّ یحتاج إلی فهم تاریخه وسابقته، وهذا ما نجده فی محتویات السنّة، وفی الروایات والأحادیث الواردة بشأن الحج. أی أنّ الروایات الواردة عن الرسول والصحابة وأئمة آل البیت تتحدّث عن مراسم وآداب الجاهلیة فی بعض أعمال الحج، من خلال تفسیر الآیات المرتبطة بتلک الأعمال.

۳- نستطیع أن نفهم مما تقدّم سبب عدم بیان کیفیة مناسک الحج والعمرة بالترتیب فی القرآن الکریم. سائر العبادات طبعاً لم تُذکر أیضاً تفاصیلُها فی القرآن الکریم، بما فی ذلک الصلاة التی هی عمود الدین. بل ذَکر القرآن مسائلها العامة تارکاً للسنّة ذکر التفاصیل، ولذلک قال رسول اللّهصلی الله علیه و آله: «صلّوا کما رأیتمونی أُصلّی».

إضافة إلی هذه القاعدة العامة الشاملة لکلّ العبادات، هناک مسألة خاصّة بالحج. فالقرآن استند إلی فهم الناس لأعمال الحج فی العصر الجاهلی، واکتفی

ص: ۳۱

بالإشارة إلی نقاط الانحراف فی تلک المناسک الجاهلیة. لذلک فإنّ الحاجة ماسّة إلی السنّة فی تعیین التفاصیل، وتشخیص المواضع والأمکنة داخل مکة وخارجها بما فی ذلک مواقیت الإحرام. ولا تبلغ عبادة فی حاجتها إلی السنّة مبلغ هذه العبادة.

۴- مع أنّ القرآن ذکر فی مواضع عدیدة إشارة أو تصریحاً أکثر مناسک الحج وأعماله، فبعض أجزاء الحج لیس لها ذکر فی القرآن، وسندها الوحید نجده فی السنّة، مثل: استلام الحجر، ورمی الجمار، أو ترتیب الحجّ والعمرة والتفاوت بینهما، وأحکام الخلل والشکوک وکفارة کثیر من المحرّمات وأمثالها. ولندخل الآن فیصلب الموضوع لدراسة الحجّ فی السنّة.

ما هی السنّة؟

السنّة فی اللغة الطریقة والأسلوب، وفی عرف المسلمین سنّة رسول اللّه، ویعبّر عنها وعن القرآن الکریم بالکتاب والسنّة. وهذا الاقتران بین الکتاب والسنّة باعتبارهما مصدرین أساسیین للإسلام، ورد علی لسان الرسول الأعظم، وکان شائعاً دون شک فی عصر الرسول (۱). فحدیث الثّقلین فی أکثر مصادر أهل السنّة والشیعة ورد بعبارة «کتاب اللّه وعترتی» لکنّه ورد فی بعض مصادر أهل السنّة بلفظ «کتاب اللّه وسنّتی» وإلی هذا اللفظ الأخیر استند کثیر من الکتّاب والمفکّرین من أهل السنّة فی کتاباتهم وأحادیثهم، ناسین عبارة «کتاب اللّه وعترتی» (۲) بینما تمسک الشیعة بهذه العبارة التی بلغت حدّ التواتر فی کثرة رواتها.

غیر أن تعبیر «الکتاب والسنّة» شائع علی لسان الشیعة فی مصادرهم الحدیثیة والفقهیة مثلما هو شایع فی المصادر السنّیّة باعتبارهما مصدرین

۱- ۱ شواهد ذلک فی سنن الدارمی ۱: ۴۶، ۵۷، ۵۸، ۵۹، ۶۰.

۲ - ۲ مصادر هذا الحدیث تجدها فی مفتاح کنوز السنة، کلمة عترة، المراجعات: ۲۲- ورسالة حدیثالثقلین للشیخ قوام الدین الوشنوی القمی- وجامع أحادیث الشیعة ۱: ۲۲- ۳۵ و ۱۸۶ وما بعدها، فیص ۲۲ ذکر أنّ هذا الحدیث منقول عن ۳۴صحابی وصحابیة وأکثر من ۱۸۰ من أکابر أهل السنة إضافة الی الشیعة، وفیص ۲۰۴ ذکر اسم هؤلاء الأفراد نقلًا عنصاحب کتاب «العبقات».

ص: ۳۲

أساسیین للشریعة (۱). ففی الکافی للکلینی باب تحت عنوان «باب الردّ إلی الکتاب والسنّة، وأنه لیس شیء من الحلال والحرام، وجمیع ما یحتاج الناس إلیه إلّا وقد جاء فیه کتاب أو سنّة» (۲) وباب آخر تحت عنوان «باب الأخذ بالسنّة وشواهد الکتاب» (۳). وثمة روایات عن الإمامین الصادق والباقر مضمونها أنّ:

«ما من شیء الّا وفیه کتاب أو سنّة».

جمیع الفرق الإسلامیّة تؤمن بأنّ الکتاب والسنّة مصدران أساسیان من مصادر الفقه، وتجمع علیهما، وإن اختلفت فی أصول الفقه الأخری.

السنّة باعتبارها طریقة الرسول وسیرته قُسّمت بالتدریج إلی القول والفعل والتقریر. أی إنّ کلّ قول أو فعلصدر عن الرسول، ویُنبئ بحکم من الأحکام التکلیفیة أو الوضعیة علیصعید الأعمال الفردیة والاجتماعیة والعبادیة ولو بالایحاء والإشارة المعتبرة، أو السکوت ذی المعنی، هو سنّة، وقابل للاستناد إلیه. ومن هنا نستطیع أن نقول: إنّ کلّ حیاة الرسول بعد النبوّة بما فی ذلک الحرکة والسکون والإقدام والامتناع والقول، والسکوت المفید لحکم حسب القواعد المقرّرة فی علم الأصول، هی سنّة قابلة للتأسی بها، ومصداق الآیة الکریمة:

«ولکم فی رسول اللّه أسوة حسنة» (۴)

؛ ولذلک اهتمّ المسلمون بتقصّی تفاصیل أعمال وأقوال وسیرة الرسول وحفظها فی الصدور، ثمّ تدوینها ونقلها من جیل إلی جیل. وبین أیدینا الیوم کنوز قیّمة، ومجامیع واسعة نفیسة فی سنّة الرسول هی کتب السنن وجوامع الحدیث، التی هی حصیلة الجهد العلمی لعلماء المذاهب الإسلامیة المختلفة. هذا وإنّ جرح الأحادیث الواردة فی هذه الکتب وتعدیلها وقبولها أو رفضها یحتاج إلی تخصّص فی عدد من الفروع العلمیة. وهذه الفروع العلمیة هی أیضاً حصیلة الجهود العلمیة لعلماء الحدیث.

مصطلح السنّة الذی کان أساساً یطلق علی سنّة رسول اللّه اتّسع فیما بعد،

۱- ۱ جامع أحادیث الشیعة ۱: ۱۲۶، عن أبی عبد اللّه علیه السلام: إنا إذا لقینا ربّنا قلنا یا ربّنا عملنا بکتابک وسنّةنبیّک، ویقول القوم برأینا، وعنه: إنا لا نعدل بکتاب اللّه وسنّة نبیّه.

۲- ۲ الکافی ۱: ۵۹.

۳- ۳ الکافی ۱: ۶۹.

۴- ۴ الأحزاب: ۲۱. انظر الی آیات حجیة سنّة النبی فی جامع أحادیث الشیعة ۱: ۱۲۰ وما بعدها.

ص: ۳۳

وأضحی یشمل عند أهل السنّة أقوال الصحابة الذین یثقون بعدالتهم وقداستهم واجتهادهم. وأصبح قول مثل هؤلاء الصحابة تعبیراً عن قول الرسول. وفی مقابلهم وسّع الشیعة وأتباع مدرسة آل البیت مفهوم السنّة مستندین إلی حدیث الثقلین وإلی أدلّة أخری، لتشمل أقوال وأفعال أئمة آل البیت المعصومین الوارثین لعلم الرسول. ولم یفرّقوا عملیاً بین سنّة الرسول وسنّة الإمام. وعلی أیّ حال، کلّ فریق یطلق کلمة السنة علی الأحادیث والروایات المعتبرة لدیه الدالّة علی سنّة الرسول، ولو أنها کانت قول الصحابی أو فعله (أو قول الإمام أو فعله عند الشیعة)، التی یطلق علیها اسم السنّة الحاکیة، مقابل ما یسمّی بالسنّة المحکیة وهی: السنّة الواقعیة لرسول اللّه أو الإمام.

نقصد بالسنّة هنا المعنی العام الشائع لها عند الفریقین، ونستهدف تقدیمصور عن أعمال الحج ومناسکه فی الروایات والأحادیث الإسلامیة، أو کتب السیرة والتاریخ، التی توضّح بأی حال أقوال الرسول وأفعاله فی الحج، بما فی ذلک آثار أهل السنّة المعتبرة، أو الشیعة الإمامیة والزیدیة والإسماعیلیة. وسنحصر البحث فی إطار السنّة، ولا نتطرّق إلی المباحث القرآنیة والفقهیة ذات العلاقة الأساسیة بمباحث السنّة، إلّاإذا اقتضت الضرورة ذلک.

جولة فی أحادیث الحجّ:

الرجوع إلی جمیع المصادر الحدیثیة الموثقة عند المسلمین، لیس بالأمر الیسیر، ولا بمقدور هذا البحث المحدود أن یستوعب ذلک. لذلک لابدّ من الاقتصار علی کتب معیّنة. فمن کتب أهل السنّة نرجع إلی الصحاح الستّة، أیصحیح البخاری ومسلم وسنن النسائی، وجامع الترمذی، وسنن أبی داود، وابن ماجة، إضافةً إلی السنن الکبری للبیهقی وسنن الدارمی .. وإلی طبقات ابن سعد

ص: ۳۴

وموطأ مالك ... وإلى تاريخ الطبرى، وسيرة ابن هشام. ومن كتب الشيعة الإمامية: الكافى للكلينى، والتهذيب للشيخ الطوسى، ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، وبحار الأنوار للعلامة المجلسى، ووسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملى، والوافى للفيض الكاشانى، ومن الزيدية، مسند زيد بن على، ومن الإسماعيلية، دعائم الإسلام للقاضى النعمان، ونرجع أيضاً عند الضرورة إلى مصادر أخرى.

سنستعرض أولًا الموضوعات العامة للحج، وأحاديثه فى هذه الكتب، وتجنباً للإطالة نركز البحث بعدها على أحاديث حجّة الوداع.

نستطيع تقسيم محتويات أحاديث الحج إلى عدّة موضوعات:

۱- موضوعات غير فقهية لها علاقة بالكعبة ومكة والحج مثل: خلق أرض الكعبة وامتداد الأرض منها (دحو الأرض)، وبدء بناء الكعبة، وحج آدم، وإبراهيم، وإسماعيل، وسائر الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ الحجر الأسود، وسبب الحثّ على استلامه، وارتباط هذا العمل بمسألة عالم الذر، وأخذ الميثاق من الناس، وامتحان الخلائق عن طريق الكعبة، وأسرار الحج وعلل أعماله، وقصة أصحاب الفيل، وحفر زمزم، وهدم الكعبة وتجديد بنائها، وأمثال ذلك، المتوفّرة فى روايات الشيعة المجموعة فى الكافى (۱)، ومَن لا يحضره الفقيه (۲)، وبحار الأنوار (۳)، أكثر من كتب أهل السنّة، وتحكى بشكل عام عن علاقة الحج بابراهيم وإسماعيل.

هذا عرض لمواضيع الحج التى لا ترتبط كثيراً بالجانب الفقهى له، وهذه الموضوعات قلّما نجدها فى الكتب الحديثيّة المقتصرة على السنن والأحكام، مثل التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسى ووسائل الشيعة، وجامع أحاديث الشيعة، ومستدرك الوسائل من كتب الشيعة، وفى الصحاح والسنن- غيرصحيحى

۱- ۱ الكافى ۴: ۱۸۴ وما بعدها.

۲- ۲ من لا يحضره الفقيه ۲: ۱۳۴ وما بعدها.

۳- ۳ بحار الأنوار، ط كمپانى ۲۱: ۶ وما بعدها.

ص: ۳۵

البخاری وجامع الترمذی اللذین لا یختصان بالسنن- من کتب أهل السنّة المعتبرة، لکن کتب التفسیر والتاریخ مفعمة بهذه الموضوعات.

۲- الموضوعات التی تُشکّل مقدمة لسفر الحج مثل: آداب السفر، وآداب تربیة الراحلة المذکورة غالباً فی بدایة کتب الحج أو فی نهایتها، وهکذا آداب زیارة النبی، والمزارات الشریفة، وسائر الأماکن المقدّسة، المذکورة غالباً فی نهایة أکثر هذه الکتب.

۳- أحکام الحجّ التی هی موضوع بحثنا. القسم الأعظم من روایات الحج فی کتب أهل السنّة تتضمّن شرحاً لأعمال وأقوال الرسول الأکرم فی حجة الوداع، وأحیاناً فی عمرة الحدیبیة، وعمرة القضاء، وفتح مکة، أو بشکل عام أحکام الحج دون ذکر الزمان والمکان. أما الکتب الحدیثیة للشیعة فتتضمّن عرضاً لحجة الوداع- کما سیأتی- وباباً تحت عنوان «حجّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله» فی بعض هذه الکتب مثل الکافی للکلینی (۱)، والوافی للفیض الکاشانی (۲)، وبحار الأنوار (۳)، لکن أکثر الروایات فیهذه الکتب تتضمّن أقوال وفتاوی وآراء أئمة آل البیت فی مسائل الحج، التی کانوا یُسألون عنها، أو التی ترتبط بمظاهر الانحراف فی الحج، وبمسألة حج التمتع، وهکذا تتضمن نقلًا لأحکام الحج عن رسول اللَّه عن طریق أئمة آل البیت علیهم السلام.

عناوین أبواب کتب الحدیث تفصح عن مضمونها، ویمتاز کتاب «وسائل الشیعة» من بین الکتب الحدیثیة بوضع عناوین دقیقة للأبواب مستنداً إلی الأحکام المستفادة من الروایات. وفهرس هذا الکتاب الذی أسماه المؤلف «من لا یحضره الإمام» (۴) یضمّ خلاصة وعصارة للروایات الفقهیة عند الشیعة الإمامیة.

۴- الأحادیث المرتبطة بتفسیر آیات الحج، وهو جزء من سائر الأقسام.

۱- ۱ الکافی ۴: ۲۴۴.

۲- ۲ الوافی ۲: ۳۰.

۳- ۳ بحار الأنوار، طبعة دار الکتب الإسلامیة ۲۱: ۳۹۰.

۴- ۴ وسائل الشیعة ج ۱ مقدمة الفهرست.

ص: ۳۶

والبخاری فیصحیحه (۱) اتّخذ من هذه الآیات عنواناً لعدد من أبوابصحیحه، وذکر الروایات الواردة فی شرحها. لکن هذه الأحادیث وردت فی عدد آخر من کتب الحدیث موزّعة علی الأبواب الأخری، کلّ فی محلّها. بعض الکتب الحدیثیة مثل الوافی للفیض الکاشانی، وبحار الأنوار للمجلسی، وجامع الأحادیث، دأبت علی ذکر الآیات المرتبطة بکلّ باب فی بدایة ذلک الباب، وفی مکان واحد.

والعلامة المجلسی فی بحار الأنوار شرح الآیات أیضاً بعد ذکرها وقبل أن یبدأ بذکر الأحادیث.

ذکرنا حتّی الآن النقاط المشترکة فی کتب الحدیث بشأن الحج. ونستعرض الآن روایات الحج، ورواتها فی کلّ واحد من کتب أهل السنّة والشیعة، لکی نستطیع أن نقارن بینها بعد ذلک.

روایات الحج فی کتب أهل السنّة، ورواتها:

التدقیق النسبی فی کتب أهل السنّة المذکورة آنفاً، دلّنا علی أنّ أحادیث الحجّ والعمرة نقلت عمّا یقارب من خمسة ومائةصحابی (۲) وهذه الروایات تتضمّن غالباً مشاهدات الرواة، ومسموعاتهم فی حجّة الوداع، بیّنوها بشکلصریح حیناً، وبشکل مبهم حیناً آخر. بین هؤلاء عددٌ روی أحادیث عن عمرة الحُدَیبیة (۳)، وعمرة القضاء (۴)، وفتح مکة (۵)، أو خروج النبیّ وهجرته من مکّة (۶)، ممّا له علاقة بالحج. بین هؤلاء الصحابة أربعة فقط ممّن اشترکوا تأکیداً فی حجّة الوداع، ورووا القسم الأعظم من الواقعة، أو رووا أحکام الحجّ بشکل عام، وهؤلاء الصحابة بترتیب عدد الروایات المنقولة عنهم:

۱- عبد اللّه بن عباس؛ ما یقارب من ۴۵ حدیثاً.

۲- عائشة؛ ما یقارب من ۴۲ حدیثاً.

۱- ۱صحیح البخاری ۲: ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۷۳، ۱۷۹، ۱۸۲، ۲۰۴، ۲۰۵.

۲- ۲ علی النحو التالی: ۱. أبو أیوب الأنصاری: ۱؛ ۲. أبو أمامة عمن أبصر النبی: ۱؛ ۳. أبو رزین العقیلی: ۱؛ ۴. أبو موسی الأشعری: ۱؛ ۵. أبو سعید الخدری: ۱؛ ۶. أبو بکرة: ۱؛ ۷. أم الحصین: ۱؛ ۸. أبو غادیة رجل من أصحاب النبیصلی الله علیه و آله و سلم: ۱؛ ۹. أبو ملیکة أو ابن أبی ملیکة: ۱؛ ۱۰. أبو طلحة: ۱؛ ۱۱. أبو بکر: ۱؛ ۱۲. أبو الطفیل، عامر بن وائلة: ۱؛ ۱۳. أسماء بنت أبی بکر: ۱؛ ۱۴. أبو ذر الغفاری: ۳؛ ۱۵. أم ولد شیبة: ۱؛ ۱۶. أم جندب أو أم سلیمان بن عمرو: ۱؛ ۱۷. أبو هریرة: ۹؛ ۱۸. أم سلمة: ۲؛ ۱۹. أسامة بن زید: ۲؛ ۲۰. أنس بن مالک: ۱۳؛ ۲۱. أم الفضل: ۱؛ ۲۲. أم حبیبة: ۱؛ ۲۳. أم معقل: ۱؛ ۲۴. أبو بردة بن دینار: ۱؛ ۲۵. أبو شریح العدوی: ۱؛ ۲۶. البراء بن عازب: ۱؛ ۲۷. بلال بن رباح: ۱؛ ۲۸. بلال بن الحارث: ۱؛ ۲۹. بدیل بن الورقاء: ۱؛ ۳۰. بریدة: ۱؛ ۳۱. ثوبان مولی رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم: ۱؛ ۳۲. جابر بن عبد اللّه: ۲۱؛ ۳۳. جبیر بن مطعم: ۱؛ ۳۴. جریر بن عبد اللّه: ۱؛ ۳۵. حارثة بن وهب الخزاعی: ۱؛ ۳۶. حجاج بن عمرو الأنصاری: ۱؛ ۳۷. حفصة بنت عمر: ۱؛ ۳۸. الحصین بن عوف: ۲؛ ۳۹. الحکم والد مسعود بن الحکم الزرقی: ۱؛ ۴۰. رافع بن عمرو المزنی: ۱؛ ۴۱. رجل من الصحابة: ۱؛ ۴۲. زید بن ثابت: ۱؛ ۴۳. زید بن أرقم: ۱؛ ۴۴. زید بن خالد الجهنی: ۱؛ ۴۵. زید بن الخطاب: ۱؛ ۴۶. ذویب أبی قبیصة: ۱؛ ۴۷. سبرة والد ربیع بن سبرة: ۱؛ ۴۸. سودة بنت زمعة: ۱؛ ۴۹. سعد بن مالک: ۱؛ ۵۰. سعد بن أبی وقاص:؛ ۵۱. سراقة بن خثعم:؛ ۵۲. سعدی بنت عوف: ۱؛ ۵۳. سهل بن سعد: ۱؛ ۵۴. السائب أبو خلاد الأنصاری: ۳؛ ۵۵. سائب بن یزید: ۱؛ ۵۶.صعب بن جثامة: ۱؛ ۵۷. طلحة بن عبد اللّه: ۱؛ ۵۸. عاصم والد أبی البداع: ۱؛ ۵۹. عثمان: ۳؛ ۶۰. علی علیه السلام: حوالی ۱۳؛ ۶۱. عمر بن الخطاب: ۷؛ ۶۲. عبد اللّه بن عباس: ۴؛ ۶۳. عائشة: ۳۴؛ ۶۴. عمرو بن

الأحرص: ۱؛ ۶۵. عبد اللَّه بن مسعود: ۳؛ ۶۶. عبيد اللَّه بن العباس: ۱؛ ۶۷. عبد اللَّه بن أبي بكر: ۱؛ ۶۸. عمران بن الحصين: ۲؛ ۶۹. عبد اللَّه بن عمرو بن العاص: ۲؛ ۷۰. عبد اللَّه بن السائب: ۱؛ ۷۱. عبد اللَّه بن أبي مغيث: ۱؛ ۷۲. عبد اللَّه بن يعمر الديلي: ۱؛ ۷۳. عمرو بن خارجة: ۱؛ ۷۴. عبد الرحمن بن معاذ: ۱؛ ۷۵. عبد اللَّه بن قذافة: ۱؛ ۷۶. العلاء الحضرمي: ۱؛ ۷۷. عبد اللَّه بن قرط: ۱؛ ۷۸. عروة بن مضرّس الطائي: ۱؛ ۷۹. عبد الرحمن بنصفوان: ۱؛ ۸۰. عبد الرحمن بن أبي بكر: ۱؛ ۸۱. عبد اللَّه بن الزبير: ۱؛ ۸۲. عبد اللَّه بن عدي بن حمران: ۱؛ ۸۳. عبد اللَّه بن بُجينة: ۱؛ ۸۴. عباس بن مُرداس: ۱؛ ۸۵. عبد اللَّه بن عمر: ۳۲؛ ۸۶. عقبة بن عامر الجهني: ۱؛ ۸۷. الفضل بن عباس: ۲؛ ۸۸. قدامة بن عبد اللَّه: ۱؛ ۸۹. كعب بن عُجزة: ۱؛ ۹۰. المطلب بن أبي دراعة السهمي: ۱؛ ۹۱. مسوّر وردان: ۱؛ ۹۲. منبط بن شُريط الأشجعي: ۱؛ ۹۳. محرّس الكعبي: ۱؛ ۹۴. مردان: ۲؛ ۹۵. ناجية الأسلمي: ۱؛ ۹۶. نبيثة: ۱؛ ۹۷. نبط والد سلمة بن نبط: ۱؛ ۹۸. والد أبي البداخ: ۱؛ ۹۹. الهرماس بن زياد الجاهلي: ۱؛ ۱۰۰. يحيى بن أبي كثير: ۱؛ ۱۰۱. يزيد بن شيبان: ۱؛ ۱۰۲. يعلى بن أميّة: ۱؛ ۱۰۳. أبو رافع: ۱؛ ۱۰۴. ابن أبي أوفى: ۱؛ ۱۰۵. أسماء بنت عميس: ۱

۳- ۳ ۱. عبد اللَّه بن أبي قتادة: سنن النسائي ۵: ۱۸۵- ۲. أبو قتادة: سنن النسائي ۵: ۱۸۶- ۳. عبد اللَّه بن عمر: التاخ ۲: ۱۵۱ نقلًا عن البخاري- ۴. كعب بن عُجزة: التاج ۲: ۱۵۳ رواه الخمسة.

۴- ۴ ۱. محرس الكعبي: سنن الدارمي ۲: ۵۲- سنن النسائي ۵: ۱۹۹ و ۲۰۰- التاج ۲: ۱۴۹- ۲. أنس بن مالك: سنن النسائي ۵: ۲۱۳- ۳. جابر بن عبد اللَّه: سنن الدارمي ۲: ۶۶- ۴. عبد اللَّه بن أبي أوفى: سنن الدارمي ۲: ۶۹- سنن ابن ماجة ۲: ۹۹۵- ۵. على عليه السلام: سنن الدارمي ۲: ۶۸.

۵- ۵ ۱. يعلى بن أميـة، التاج ۲: ۱۰۵ رواه الخمسة- ۲. أنس بن مالك، سنن الدارمي ۲: ۷۳- ۳. جابر بن عبد اللَّه، سنن الدارمي ۲: ۷۴- ۴. عبد الرحمن بنصفوان، التاج ۲: ۱۲۰ نقلًا عن أبي داود- ۵. عبد اللَّه بن عباس، التاج ۲: ۱۵۸ و ۱۶۲ رواه الشيخان- ۶. أبو شريح العدوي، التاج ۲: ۱۵۸ رواه الشيخان والترمذي.

۶- ۶ ۱. عبد اللَّه بن عدي بن الحمراء، ....

ص: ۳۷

۳- عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب؛ ما يقارب من ۳۲ حديثاً.

۴- جابر بن عبد اللَّه الأنصارى؛ ما يقارب من ۲۲ حديثاً.

هـذه النتيجـة التى توصّـلنا إليها وجـدناها بعـد ذلك عنـد الإمام الشافعى إذ يقول: لهؤلاء الأربعة ميزة فى حجّة الوداع (۱). إضافةً إلى هؤلاء الأربعـة، روى عن أنس بن مالكصـحابى الرسول وخادمه ما يقارب من أربع عشـرة روايهٔ، وعن علىّ عليه السـلام فى كتب أهل السنّة هذا العدد نفسه تقريباً، لكن الكتب الحديثية الشيعية كما سنرى نقلت عن علىّ روايات كثيرة.

ولابـدّ من الإشـارة إلى مسألـة لا تخفى على المتخصّصـين فى هـذا الحقل: هى أنّ روايـة الراوى فى كتب الصـحاح والسـنن تكرّرت، بطريق واحـد أحيانـاً، أو بطرق متعـددة أحياناً أخرى، مع وجود اختلاـف فى ألفاظهـا. وفى إحصـاء روايـات الراوى ينبغى أن نحـذف المكرّر، وهـذا ما فعلناه. ومع أننا فهرسـنا روايات الحج فى الكتب المذكورة، راجعنا- تجنباً للمكرّر- كتاب «التاج الجامع للأصول من أحـاديث الرسول» الـذى أدغم مكرّر كتـابٍ أو عـدّة كتب، واحتسـبنا أيضـاً الروايات التى لم ترد فى هـذا الكتاب، ورويت فى مصادر أخرى. ومع ذلك لا ندّعى أن إحصاءنا يطابق الواقع تماماً، لكنّه يقترب منه حتماً.

بين هؤلاء الأربعـة، ينفرد جابر بن عبد اللَّه الأنصارى بروايته لحجة الوداع كاملة كما رآها، ونحن سـندرس هذا الحديث، وحديثاً آخر شبيهاً له روى عن طرق الشـيعة دراسة مقارنة. أما الثلاثة الآخرون فَرَووا حجة الوداع بشكل متفرّق من خلال روايات متعددة، وروايات كلّ منهم تتضمّن قسماً رئيساً من أحداث حجة الوداع. وهذا استعراض لمكانة الصحابة الأربعة من حجّة الوداع:

۱- عبـد اللَّه بن عبـاس بن عبـد المطلب: ابن عم الرسول، كـان فى حجـة الوداع مع أسـرة الرسول الأعظم، وشاهـد عن كثب مجريات حجة الوداع. كان له

۱- ۱ شرحصحيح مسلم ۸: ۱۳۵ فى هذا المصدر ذكرت خصائص كلّ واحد من هؤلاء الأربعة بالتفصيل.

ص: ۳۸

آنـذاک من العمر مـا يقـارب ثلاثـة عشـر عاماً. ومع أنّ القسم الأعظم من رواياته فى هـذا المجال تعتمـد على مشاهـداته ومسـموعاته مباشرةً- كماصرّح بذلک، هو- فمن المؤكد أنّ القسم الآخر سمعه عن الآخرين، وذكر أسماءهم أحياناً من أمثال:

الفضل (۱)وعبد اللّه (۲)، شـقيقيه الأكبرين، وأبى طلحة (۳)، وأحيانـاً رجع الى أفراد من أمثـال أبى أيوب الأنصـارى (۴) للسؤال عن الحج، ورجع أيضاً إلى الحصين بن عوف (۵)، وعمر (۶).

توصـلتُ من خلال دراستى لروايات ابن عباس أن أكثر رواياته التى رواها عن رسول اللّه فى الموضوعات المختلفـة وصـلته عن طريق الآخرين، وابن عباس وسائر الصحابة لم يذكروا أسماء مَنْ رووا عنهم بسبب الثقة المتبادلة السائدة بين المسلمين آنذاک. وإلّا فإن سنّ ابن عباس لم يقتض أن يسـمع ويدوّن هذا العدد من الروايات مباشرةً عن الرسول، وابن عباسصرّح بنفسه أنه استفاد من معلومات أكثر الصحابة.

إبن عباس مثل علىّ وجابر، وبعض الصحابة الآخرين، قاوم بشدّة رأى الخليفة الثانى بشأن منع حجّ التمتع الذى أقرّه الرسول الأكرم فى حجّة الوداع.

وهذا الموقف ظاهرٌ فى رواياته (۷).

۲- عائشة زوج الرسول، وابنة الخليفة الأول أبى بكر،صـحبت الرسول فى هذا السـفر، وروت حادثة حيضـها فى بداية السـفر، وما قرّره الرسول لها من حكم، وكيفيـة عمرتها مع أخيها عبـد الرحمن بن أبى بكر من «التنعيم» (محلّ خارج مكـة) بأمر الرسولصـلى الله عليه و آلـه، وقصـة الأضـاحى الـتى قـدّمها الرسـول عن أزواجه، وحـوادث أخرى عن هـذه السـفرة (۸) رواياتهـا حـول كيفيـة إحرام الرسول والمسـلمين فى حجّة الوداع المرتبطة بمسألة عمرة التمتع الخلافية، فيها اختلاف حيّرت المحدّثين (۹). يبدو أنّ هذه الروايات المنسوبة إلى أمّ المؤمنين

۱- ۱ طبقات ابن سعد ۳: ۱۸۰- وسنن ابن ماجة ۲: ۹۷۱، ۱۰۱۱، ۱۰۱۷.

۲- ۲ ...

۳- ۳ سنن ابن ماجة ۲: ۹۹۰.

۴- ۴ سنن ابن ماجة ۲: ۹۷۸.

۵- ۵ سنن ابن ماجة ۲: ۹۷۱.

۶- ۶ سنن ابن ماجة ۲: ۹۹۱- وسنن أبى داود ۱: ۲۸۴.

۷- ۷ سنن النسائى ۵: ۱۵۳، ۱۵۴-صحيح البخارى ۲: ۱۵۵، ۱۵۷- جامع الترمذى ۲: ۳۸- مستدرک الحاكم النيسابورى ۱: ۴۶۵.

۸- ۸ فيصحيح البخارى ۲: ۱۷۴ وما بعدها-صحيح مسلم ۸: ۱۳۴ وما بعدها، ۱۵۷.

۹- ۹

ص: ۳۹

فیها تحریف لطریقهٔ الإحرام، وانحیاز بشکل غیر مباشر لتأیید رأی الخلیفهٔ الثانی بشأن «التمتع»، وهذا الانحیاز تجلّی فی آل الزبیر بمن فیهم ابن أخت عائشهٔ عروهٔ بن الزبیر (۱).

۳- عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب. کان یوم حجهٔ الوداع شاباً، عمره بضع وعشرون سنهٔ، وکان بدلالهٔ روایاته حاضراً فی تلک الحجهٔ. استند فی روایاته مراراً إلی مشاهداته فی حجهٔ الوداع، لکن موقفه من «حجّ التمتع» الذی منعه والده خلال فترهٔ خلافته، غیر واضح. بعض الروایات تحکی معارضته، ومقاومته الشدیدهٔ لرأی والده (۲)، غیر أنّ إصرار خلفاء بنی أمیهٔ علی اتباعه فی مناسک الحجّ (۳)، تدلّ علی أنه انتهج فی هذه المسألهٔ السیاسهٔ العامهٔ نفسها للحکم الأموی، القائمهٔ علی أساس الدفاع عن رأی الخلیفهٔ فی هذه المسألهٔ، التی اتّخذت منذ زمن عثمان طابعاً سیاسیاً.

۴- جابر بن عبد اللَّه الأنصاری، أحد أصحاب الرسول الأوفیاء، وبعد الرسول استمرّ وفاؤه لعلیّ وأهل بیته حتی نهایهٔ عمره الطویل. وتوفّی سنهٔ ۷۸ للهجرهٔ.

جابر فی حجهٔ الوداع کان أیضاً شاباً ینیف علی العشرین، وتابع کلّ شیء بدقّهٔ رؤیهً وسماعاً، واحتفظَ به فی ذاکرته، ونَقَله.

عدد روایاته فی الحج، مع أنها أقل من عدد روایات الثلاثهٔ الآخرین، انفردت- کما ذکرنا وسنفصّل الحدیث فی ذلک- بروایهٔ حجهٔ الوداع من أولها إلی آخرها، وإن نقل الرواهٔ بعد ذلک فقرات من ذلک الحدیث بطرق مختلفهٔ، وأحیاناً بالطریق نفسه، کما رووا عن جابر ما لم یرد فی ذلک الحدیث المفصّل أحیاناً أخری.

جابر نقل بصراحهٔ «حجّ التمتع» عن الرسول، ونقل المنع الذیصدر عن

۱- ۱صحیح مسلم ۸: ۲۱۹.

۲- ۲ سنن الدارمی ۲: ۷۰- سنن النسائی ۵: ۱۵۱- جامع الترمذی ۴: ۳۹.

۳- ۳صحیح البخاری ۲: ۹۸ و ۹۹.

ص: ۴۰

الخليفة لهذا الحج، وفى الخلاف الذى ثارَ بين الصحابة بشأن هذه المسألة أصرّ جابر على العمل بسنّة الرسول (۱).

من خصائص جابر الأخرى، أن روايته فى حجة الوداع كانت نقطة التقاء بين فقه وحديث الشيعة وأهل السنّة فى الحج. فهذه الرواية، وإن كانت قد رويت فى كتب أهل السنّة بأسانيدهم وطرقهم، تضمّنت طرقها إمامين من أئمة الشيعة هما: الإمام محمد بن علىّ الباقر، والإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، وكما سنرى فإنّ جميع الطرق تنتهى إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد اللّه.

وفى الوقت نفسه، أحداث حجّة الوداع رويت بالشكل نفسه مع بعض التفاوت بطرق الشيعة عن الإمام جعفر بن محمد الصادق. وسنفصّل الحديث فى أسانيد كلّ من الروايتين، ومواضع اختلاف نصّهما. كما سنقدّم للقارئ فى نهاية المقال النصّ الكامل للحديثين. ولعلّ هذه المقارنة فريدة من نوعها بشأن هذين الحديثين. ولكن قبل ذلك نلقى نظرة على روايات الحج، ورواتها فى آثار فرق الشيعة، بما فى ذلك الشيعة الإمامية ....

له تابع فى العدد القادم

الهوامش:

اضواء من اسرار الحجّ

۱- ۱صحيح مسلم ۸: ۱۶۱ وما بعدها.

ص: ۴۱

ص: ۴۲

ص: ۴۳

ص: ۴۴

أضواء من أسرار الحجّ

جعفر السبحانى

إنّ جميع الأنبياء قد بعثوا لمحاربة الشرك، وعبادة الأصنام، ولفهم هذا الأمر بشكل واضح يكفينا مطالعة هذه الآية الشريفة:

«وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّانوحى إليه أنّه لا إله إلّاأنا فاعبدون» (۱).

إنّ هذه الآية المباركة توضح وبشكل جلىٍّ، بأن من أهم واجبات الأنبياء إزالة مظاهر الشرك بأنواعه كافة فى كلّ آنٍ ومكان.

من هنا ومن خلال أخذ هذا الأصل بنظر الاعتبار، فإنّ بعض الأعمال فى الصلاة ومراسم الحج تبدو فى ظاهر الحال وكأنها لا تتلائم مع مبدأ التوحيد؛ من قبيل: التوجه نحو الكعبة أثناء الصلاة، وما هى سوى أحجارٍ وطين، أو لمس «الحجر الأسود» باليد الذى لا يعدو كونه جماداً ليس إلّا، أو السعى بين جبلى

۱- ۱ الأنبياء: ۲۵.

ص: ۴۵

«الصفا» و «المروة» وغيرها من الأعمال. وعليه يفرض هذا التساؤل نفسه، ما هو السرّ الكامن فى هذه الأعمال والواجبات؟ وما هو وجه الاختلاف بينها وبين أعمال المشركين؟

وقبل البدء فى بيان أسرار هذه الأعمال، نُشير إلى أن هذا التساؤل سبق أن طرح قديماً. ففى عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام حضر ابن أبى العوجاء- رئيس الماديين آنذاك- مع جماعةٍ من أصحابه عند الإمام الصادق عليه السلام، وتوجّه له بالسؤال التالى:

«يا أبا عبد اللَّه! إنّ المجالس أمانات، ولابد لكلّ من به سعال من أن يسعل أتأذن لى فى الكلام؟

فقال: تكلّم، فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المعمور بالطوب والمدّر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، إن مَن فكّر فى هذا وقدّر علم أن هذا فعلٌ أمسه غير حكيم ولا ذى نظر. فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسّه وتمامه فقال أبو عبد اللَّه عليه السلام: إنّ مَن أضلّه اللَّه وأعمى قلبه استوخم الحق، ولم يستعذبه، وصار الشيطان وليّه وربّه وقرينه، يورده مناهل الهلكة ثمّ لا يصدره. وهذا بيت استعبد اللَّه به خلقه؛ ليختبر طاعتهم فى إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محلّ أنبيائه، وقبلة للمصلّين إليه، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدى إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه اللَّه قبل دحو الأرض بألفى عام فأحقّ من أطيع فيه أمر، وانتهى عما نهى عنه وزجر اللَّه المنشئ للأرواح والصور» (۱).

فمن خلال المنطق القويم والحديث الحكيم، كشف الإمام الصادق عليه السلام النقاب عن بعض أسرار الحج. حيث سننقل نفحاتٍ ورشحاتٍ من حديثه المبارك وسائر أئمة الهدى، الوارد فى الإجابة عن هذا السؤال:

والهدف المتوخى من وراء هذا النقل،

۱- ۱ الكافى ۴: ۱۹۷ ح ۱.

ص: ۴۶

الإشارة إلى قِدَمِ هذا السؤال، ليتّضح لنا بأن هذه التساؤلات، كان لها حضورٌ فى أذهان الناس.

۱- سرّ التوجّه إزاء الكعبة أثناء الصلاة:

على العكس ممّا كان يجول فى ذهن ابن أبى العوجاء، المادى المعروف فى عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فانّ الهدف من التوجه نحو الكعبة أثناء الصلاة، لا يعنى عبادة الكعبة أو حجرها وطينها. فإنّ جميع المصلّين يعبدون اللَّه تعالى، وحال توجههم نحو الكعبة، فإنّ الجميع يخاطب اللَّه الواحد الأحد بقوله: «إياك نعبد وإياك نستعين» والعلة فى توجهنا نحو الكعبة حال الصّلاة، تكمن فى أن الكعبة تعدّ أقدم معبدٍ وبيت للتوحيد، بنى بأيدى أنبياء اللَّه العظام للموحّدين من أهل الأرض، ولا يسبقه فى هذا القِدَم أىّ معبد آخر، كما يقول القرآن الكريم:

«انّ أوّل بيت وضع للناس لَلَّذى ببكّة مباركاً وهدًى للعالمين» (۱).

إنّ الشريعة الإسلامية المقدّسة، ومن أجل إيجاد الوحدة بين المصلّين، وتوحيدصفوف المتوسّلين، أوجبت على الجميع أداء الصلاة بلغةٍ واحدة، والتوجّه إلى أقدم المعابد حال الصلاة، لتحفظ من خلال هذا السبيل وحدتهم حال العبادة والتعبّد؛ أى أن يتفوّه ملايين البشر فى آنٍ واحدٍ بكلام واحد، ويتّجهون نحو نقطة واحدة. وأن يعلنوا وحدتهم واتّحادهم بشكل واضح وعلنى. وبناءً على ذلك، فإنّ التوجّه نحو هذا المعبد ليس بمعنى عبادته، بل بمعنى جعله رمزاً لوحدتهم واتّحادهم حال العبادة.

لقد كان المسلمون فيصدر الإسلام، يقيمون الصلوات جماعة، وصلاة الجماعة من المستحبّات المؤكدة فى الإسلام. فلو أراد جمعٌ أداءَ فريضةٍ ما معاً، عليهم أن يتوجهوا جميعاً إلى وجهةٍ واحدة، وبغير هذه الصورة لا

۱- ۱ آل عمران: ۹۶.

ص: ۴۷

يمكن أداء الفريضة.

إنّ نبی الإسـلام والمسلمين جميعاً، ظنّوا يصلّون لفترة من الزمن متّجهين فيصلاتهم تلك نحو «المسجد الأقصى» إلّاأنّه وبعد سبعة عشر شهراً من تاريخ الهجرة، جاء الأمر بأن يتّجه المسـلمون نحو المسـجد الحرام والكعبة حيثما كانوا، لأسـبابٍ وعللٍ ذكرت فی محلّها قال اللَّه- عزّ وجلّ-:

«... فولّوا وجوهكم شطره ...» (۱).

لقـد ذكّر الإمام الصادق عليه السـلام هذا المعترض المادی فی عصـره بواحدةٍ من أسـرار التوجه نحو الكعبة حال الصّـلاة وقال: «وهذا البيت استعبد اللَّه به خلقه؛ ليختبر طاعتهم فی إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محلَّ أنبيائه، وقبلة للمصلّين إليه. فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدی إلى غفرانه».

۲- لماذا نستلم الحجر الأسود باليد؟

يسـتفاد من الأحاديث الإسـلامية، أن بناء الكعبة كان موجوداً، قبل عصـر سـيّدنا إبراهيم عليه السلام، وأن جداره تهدم على أثر طوفان نوح عليه السـلام. وبعـد أن أُمِرَ النبیّ إبراهيم بإعادة بناء الكعبـة، وَضَعَ «الحجر الأسود» وهو جزءٌ من جبل «أبو قبيس»، وضـعه بأمر اللَّه تعالى فی جدارها. والآن يطرح هذا السؤال:

لماذا نستلم هذا الحجر بأيدينا؟ وما هو الهدف من هذا العمل؟

وجواب ذلك: أنّ اسـتلام الحجر ووضع اليد عليه، يعدّ نوعاً من العهد والبيعة مع سيدنا إبراهيم؛ لمحاربة مظاهر الشرك وعبادة الأوثان بأنواعها كافة، أسوةً ببطل التوحيد، وأن لا ننحرف عن الحنيفية، ولا نخرج عن جادة التوحيد فی مظاهر الحياة كافة.

وتتم البيعة مع الفرد أحياناً، بمصافحة يده وغمزها، أو بمسك طرف الثوب، وأحياناً أُخرى تتم بشكل أو بآخر. ونقرأ فی التاريخ عندما نزلت الآية المباركة «يا أيّها النبیّ إذا جاءك

۱- ۱ البقرة: ۱۴۴.

ص: ۴۸

المؤمنات يُبايعنك على أن لا يشركن باللّه شيئاً ...» (۱)

، فإنّ النبيّصلى الله عليه و آله أمر بإحضار إناءٍ فيه ماء، ووضع يده المباركة فيه، ثمّ أخرجها من الماء وقال:

مَنْ أرادت منكنّ أن تبايعنى، فلتضع يدها فى الماء، وتبايعنى على ما فى هذه الآية. ومن هنا فإنّ مبايعة رسول اللّه تمت عن طريق وضع اليد فى شيء وضع هو يده فيه. ومسألة استلام «الحجر الأسود» من هذا القبيل أيضاً.

فالهدف إذن، أن نبايع بطل التوحيد ونبيّنا الأكرمصلى الله عليه و آله عليصيانة التوحيد. لذا يقول الإمام الصادق عليه السلام:

وقل عند استلامك الحجر:

«أمانتى أدّيتها وميثاقى تعاهدتُه لِتَشْهَد لى بالمؤافاة» (۲).

يقول ابن عباس: «واستلامه اليوم (أى الحجر) بيعة لمن لم يدرك بيعة رسول اللّهصلى الله عليه و آله» (۳).

وبناءً على ذلك فإنّ الهدف من تقبيل الحجر واستلامه، تجسيدٌ لميثاق قلبى مركزه روح الإنسان. وحقيقة الأمر، فإنّ زائرى بيت اللّه بعملهم هذا، يجسّدون ذلك الميثاق القلبى على هيئة أمرٍ ملموس ومحسوس.

وفى الكثير من بلدان العالم، يقدّس الجنود أعلام بلدانهم، ويقفون أمامها بإجلال وإكبار مجددين العهد باليمين. ومن المسلم به، أن العَلَم بضعة أمتار من القماش ليس إلّا. إلّاأنّه يمثل رمز استقلال البلد، وعنوان إرادته الوطنية والشعبية. وفى هذه الحالة، فإنّ الجندى بدلًا من مصافحة أيدى الناس أو القادة وغمزها، فإنّه يشير إلى العلم ويؤدى اليمين والعهد. وستقرأ فى الجزء الآخر من الجواب، بأن الهدف من بعض مراسم الحج، هو تجسيدُ نوعٍ من الحقائق، التى جسّدت نفسها عن طريق أعمال الحج.

۳- ما الهدف من السعى بين الصفا والمروة؟

إنّ حجاج بيت اللّه، ومن خلال السعى بين الصفا والمروة، يجسّدون

۱- ۱ الممتحنة: ۱۲.

۲- ۲ وسائل الشيعة ۹: ۴۰۰ باب ۱۲ ح ۱.

۳- ۳ وسائل الشيعة ۹: ۴۰۶ باب ۱۲ ح ۱۵ أبواب الطواف.

ص: ۴۹

حالة السيدة هاجر أمّ إسماعيل عليه السلام.

وبشهادة التأريخ، فإنّها- ومن دون أن تيأس من رحمة اللّه تعالى- سعت فى تلك الصحراء العارية من الزرع والماء، سبع مرّات بين ذنيك الجبلين بحثاً عن الماء، وفى نهاية المطاف شملها لطف اللّه تعالى، ونالت مقصودها، وبعد أن فار الماء تحت أقدام إسماعيل عليه السلام نجت هى وابنها من العطش.

ويستفاد من بعض الأحاديث، بأنّ الشيطان قد تجسّد لسيّدنا إبراهيم عليه السلام فى هذا المكان، وأخذ يعقّبه فى سعيه، ليبعده عن حرم بيت اللّه.

وبأدائنا لهذا العمل، إنّما نجسّد ذلك العمل المعنوى (۱).

وبذبح القرابين فيصحراء منى، فإنّنا نحيى ذكرى فداء سيّدنا إبراهيم عليه السلام الذى ضحّى بكلّ شىء فى سبيل اللّه حتى ولده.

۴- ما الهدف من رمى الجمرات؟

إنّ حجاج بيت اللّه الحرام يرجمون فى أيام العاشر والحادى عشر والثانى عشر، أعمدة معيّنة فى أرض منى (قرب مكّة) بالحجر. وبهذا العمل فإنّهم يرمون فى الظاهر نقطة معيّنة بالحجر، إلّاأنّهم يرجمون الشيطان فى باطنهم.

والأحاديث الإسلامية بيّنت ماهية هذا العمل بقولها: إنّ الشيطان قد تجسّد لسيدنا إبراهيم عليه السلام فى الأماكن الثلاثة هذه، ورجمهُ إبراهيم بالحجر ليظهر تنفّره منه. وبقى عمل إبراهيم هذا سنّةً إلهية فى أعمال الحج.

إنّ حجاج بيت التوحيد، وإظهاراً لنفرتهم من الشيطان والشياطين، يرجمون تلك النقطة بالحجر تعبيراً عن إبراهيميتهم. وبهذا الشكل فإنّهم يعبرون عن غضبهم من كلّ موجود شرير خبيث ونجس. وإن النفرة من النجاسة وهى أمر معنوى وقلبى، يعبرون عنها بهذه الطريقة بشكل ملموس ومحسوس.

واليوم فإنّ الشعوب المستضعفة،

۱- ۱ وسائل الشيعة ۹: ۵۱۲ ح ۱۲ أبواب السعى.

ص: ۵۰

التی تعـانی من الظلم والجور، تقوم بإحراق أعلام الـدول المسـتكبرة السـلطوية، والعلم ليس أكثر من بضـعةِ أمتارٍ من القماش الملوّن. إلّاأنّ الشـعوب- ومن أجـل إظهـار غضـبها تجـاه الفضائع والجرائم التی ترتكبها القوی العظمی- تقوم بإحراق رموزهم، وكأنهم قاموا بإحراقهم وإبادتهم والقضاء عليهم، وعلی الأقل فإنّ هذا العمل يبيّن إنزعاجهم الشديد من أولئك الظّلمة.

وخلاصة القول: فإنّ الذی يتأمل فی تاريخ فرائض الحج، يتلمس الحقيقة التالية: وهی أنّ الكثير من هذه الأعمال، الغرض منها تجسـيد طائفة من الذكريات البنّاءة من حياة وسيرة سيّدنا إبراهيم عليه السلام، ومجموعة من الأمور المعنوية والأخلاقية، التی تؤدّی بسلسلة من الأعمال بشكل نموذجی ومنظّم، وليس الغرض منها عبادة الحجر والطين والجبل مطلقاً.

الهوامش:

شرح فقرة من دعاء عرفة

ص: ۵۱

شرح فقرة من دعاء عرفة

تحقيق: فارس حسّون كريم

تأليف السيد ماجد بن إبراهيم الحسينى الكاشانى- من أعلام القرن الثانى عشر-

الحمـد للّٰهسـامع الـدعاء، ودافع البلاء، ومفيض الضـياء، وكاشف الظماء، وباسط الرجاء، وسابغ النعماء، ومجزل العطاء، ومردف الآلاء، حمداً يكافى نعمه، ويوافى مننه، ويوجب مزيده.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وسيّد الأصفياء، الحجّة على مَنْ فى الأرض والسماء، وعلى آله الفائزين بخلوص الانتماء، ووجوب الاقتداء،صلاة باقية إلى يوم البعث والجزاء.

وبعد: حقيقة لا شكّ فيها: أنّ تراث الدعاء الأثيل والخالد لمدرسة أهل البيت عليهم السـلام منهل عذب، قد ضمَّ من عيون الدرر ما لا يمكن جردها وحصرها، ولا سيّما أنّ الذى قد أرسى أُسس هذا التراث الضخم سيّدنا خاتم الرسل، وصاحب الحوض والكوثرصلى الله عليه و آله. وتبعه باب مدينة علومه وحكمته سيّد

ص: ۵۲

الوصيّين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، كما يتجلّى ذلك فى دعاءيه: «دعاء الصباح» و «دعاء كميل بن زياد رضى الله عنه» وغيرها. ومن ثمّ ابنه قتيل العبرات، وأسير الكربات، سيّد الشهداء من الأوّلين والآخرين الحسين بن علىّ عليه السلام كما يتجلّى ذلك فى دعائه فى يوم عرفة- وهو موضوع كتابنا هذا- وسائر أدعيته عليه السلام.

وأمّا الذى أغناه، وأبدى به اهتماماً خاصّاً، فهو إمام العارفين، وقائد الزاهدين، وسيّد الساجدين، وزين العابدين، ذو الثفنات، ورابع أئمّة بيت العصمة والطهارة عليهم السلام. فقد أبدع فى إنشاء جملة وافرة من الأدعية، والأحراز الشهيرة، أضحت خير زاد يتقوّى به على مواصلة الطريق المؤدّى إلى مرضاة اللَّه- تعالى-. ولقد تركت أثرها البارز فى إرساء دعائم المجتمع الإسلامى، وتنزيهه من الشوائب، فى مرحلةٍ هى من أقسى وأحلك المراحل التى مرّت بها الأُمّة الإسلاميّة بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام، خلال النصف الثانى من القرن الأوّل، ومن أجل ذلك سميّت بإنجيل أهل البيت عليهم السلام، وبزبور آل محمد عليهم السلام (۱).

ترجمة المؤلّف (۲) اسمه:

هو السيّد ماجد بن السيّد إبراهيم الحسينى الكاشانى، كان فاضلًا، أديباً، حكيماً، فقيهاً، أريباً.

حفيده:

العالم المتّقى الحاج السيّد محمد تقى بن المير عبد الحىّ بن إبراهيم بن السيّد ماجد بن إبراهيم اليشت مشهدى الحسينى الكاشانى، من أعاظم علماء عصره،

۱- ۱ أوّل من أطلق هذين الاسمين هو ابن شهر آشوب، المتوفّى سنة «۵۸۸ ه» فى معالم العلماء: ۱۲۵ و ۱۳۱ فى ترجمة: متوكّل بن عمير بن المتوكّل، ويحيى بن علىّ بن محمد بن الحسين الرقّى.

۲- ۲ ترجمه الشيخ آقا بزرگ الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة- الكواكب المنتشرة فى القرن الثانى بعد العشرة-: ۶۲۸، وترجمه أيضاً الملّا حبيب اللَّه الكاشانى فى لباب الألقاب فى ألقاب الأطياب: ۶۳- ۶۴.

ص: ۵۳

ومن تلامذةصاحب «رياض المسائل» (۱)، توفىّ سنة «۱۲۵۸ ه» (۲).

معاصره:

الميرزا إبراهيم بن الميرزا غياث الدين محمد الإصفهانى الخوزانى- قاضى اصفهان، ثمّ قاضى عسكر السلطان نادر شاه-، المتوفّى سنة «۱۱۶۰ ه»، كتب رسالة فى الغناء فى الردّ على رسالة السيّد ماجد (۳).

مؤلّفاته:

۱- «إيقاظ النائمين وإيعاظ الجاهلين».

رسالة فى أحكام الغناء وموضوعه وإثبات حرمته، فى مقدّمة ومقصدين، المقدّمة فى مسائل من علوم مختلفة يحتاج إليها فى أبحاث الرسالة (۴).

قال الملّا حبيب فى لباب الألقاب: له رسالة فى تحقيق الغناء، وحواشٍ على الإشارات والشفاء- على ما حكاه بعض أسباطه-، وقد نقلنا بعض كلماته فى رسالتنا التى أفردناها لهذه المسألة (۵).

۲- «تخلّل السكون بين الحركتين».

بحث عن آراء المشائين من الفلاسفة ومذهب ابن سينا فى الموضوع، ويذهب المؤلّف إلى أنّ تخلّل السكون بين الحركتين جائز (۶).

۳- «التخلّل والتكاثف الحقيقيّان».

يستدلّ المؤلّف فى هذه الرسالة المختصرة على إمكان التخلّل بين الشيئين أو التكاثف فيهما، وهو بحث فلسفى كتبه فى جواب المنكرين للموضوع (۷).

۴- «التشكيك فى الذاتيات».

ردّ على من ذهب إلى نفى الذاتيات، وبيان أنّها من أىّ المعقولات هى (۸).

۱- ۱ هو «رياض المسائل فى بيان الأحكام بالدلائل» تأليف السيّد على الطباطبائى، المولود سنة «۱۱۶۱ ه»، والمتوفّى سنة «۱۲۳۱ ه».

۲- ۲ طبقات أعلام الشيعة- الكرام البررة-: ۲۱۹ رقم ۴۴۸، لباب الألقاب: ۷۴.

۳- ۳ ذكره فى تتميم أمل الآمل: ۵۷، طبقات أعلام الشيعة- الكواكب المنتشرة-: ۸- ۱۱، أعيان الشيعة ۲: ۲۰۳.

۴- ۴ الذريعة ۲: ۵۰۵ رقم ۱۹۸۰، فهرس مكتبة آية اللّه العظمى المرعشى: ۱۶/ ۲۸ رقم ۶۰۲۵ الكتاب الثامن.

۵- ۵ لباب الألقاب: ۶۳- ۶۴.

۶- ۶ فهرس مكتبة آية اللّه العظمى المرعشى: ۱۷/ ۲۲۱ رقم ۶۶۵۸.

۷- ۷ فهرس مكتبة آية اللّه العظمى المرعشى: ۱۶/ ۲۷ رقم ۶۰۲۵ الكتاب السادس.

۸- ۸ فهرس مكتبة آية اللّه العظمى المرعشى: ۱۶/ ۲۹ رقم ۶۰۲۵ الكتاب التاسع.

ص: ۵۴

۵- «شرح دعاء عرفة».

وهو هذا الکتاب، وسیأتی التعریف به.

۶- «ماهیة الزاویة».

تحقیق دقیق حول حقیقة الزاویة، وماهیتها المعرّفة فی الکتب بمختلف التعاریف (۱).

۷- «نفی الهیولی».

یثبت المؤلّف أنّ الهیولی لیس له وجود فی الخارج، ویردّ علی الذاهبین إلی أنّ له وجوداً خارجیاً (۲).

مدّة حیاته:

لم تذکر المصادر التی ترجمت السیّد المؤلّف رحمه الله تاریخ ولادته، ولا تاریخ وفاته، غیر أنّه کان حیّاً سنة «۱۱۵۲ ه»، وهو تاریخ تألیفه لکتابه هذا- شرح دعاء عرفة-.

التعریف بالکتاب:

روی بشر وبشیر ابنا غالب الأسدی، قالا: کنّا مع الحسین بن علی علیهما السلام عشیّة عرفة، فخرج علیه السلام من فسطاطه متذلّلًا خاشعاً، فجعل یمشی هوناً هوناً حتّی وقف هو وجماعة من أهل بیته وولده ومَوالیه فی میسرة الجبل مستقبل القبلة، ثمّ رفع یدیه تلقاء وجهه کاستطعام المسکین، ثمّ قال:

«الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِی لَیْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ، وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ، وَلَا کَصُنْعِهِصُنْعُصَانِعٍ، وَهُوَ الْجَوَادُ الْوَاسِعُ- إلی أن یقول:- اللَّهُمَّ لَاتَمْکُرْ بِی وَلَا تَسْتَدْرِجْنِی وَلَا تَخْدَعْنِی، وَادْرَأْ عَنِّی شَرَّ فَسَقَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»

، ثمّ رفع رأسه وبصره إلی السماء وعیناه ماطرتان کأنّهما مَزادتان، وقال

۱- ۱ فهرس مکتبة آیة اللَّه العظمی المرعشی: ۱۶/ ۲۹ رقم ۶۰۲۵ الکتاب العاشر.

۲- ۲ فهرس مکتبة آیة اللَّه العظمی المرعشی: ۱۶/ ۲۸ رقم ۶۰۲۵ الکتاب السابع.

ص: ۵۵

بصوتٍ عالٍ:

«يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ، يَا أَبْصَرَ النَّاظِرِينَ، وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ- إلى أن يقول:- لَکَ الْمُلْکُ، وَلَکَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ»

وكان يكرّر قوله «يا ربّ»، وشغل من حضر ممّن كان حوله عن الدعاء لأنفسهم، وأقبلوا على الاستماع له والتأمين على دعائه، ثمّ علت أصواتهم بالبكاء معه، وغربت الشمس وأفاض الناس معه.

أقول: إلى هنا تمّ دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عرفة على ما أورده الكفعمى فى كتاب «البلد الأمين» (۱)، وقد تبعه المجلسى فى كتاب «زاد المعاد» (۲).

ولكن زاد السيّد ابن طاووس رحمه الله فى كتاب «إقبال الأعمال» (۳) بعد «يا ربّ يا ربّ يا ربّ» هذه الزيادة:

«إِلهِى أَنَا الْفَقِيرُ فِى غِنَاىَ فَكَيْفَ لَاأَكُونُ فَقِيراً فِى فَقْرِى؟! إِلهِى أَنَا الْجَاهِلُ فِى عِلْمِى فَكَيْفَ لَاأَكُونُ جَهُولًا فِى جَهْلِى؟!- إلى أن يقول:- هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْکَ بِفَقْرِى إِلَيْکَ، وَكَيْفَ لَاأَتَوَسَّلُ إِلَيْکَ بِمَا هُوَ مَحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْکَ؟ ...».

وكتابنا هذا تناول شرح الجملة الأخيرة

«هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْکَ بِفَقْرِى إِلَيْکَ، وَكَيْفَ لَاأَتَوَسَّلُ إِلَيْکَ بِمَا هُوَ مَحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْکَ؟»

حيث تصدّى المؤلّف رحمه الله لرفع التناقض الذى يبدو فى هذه القطعة.

النسخة المعتمدة فى التحقيق:

هى النسخة الخطّيّة المحفوظة فى خزانة مخطوطات مكتبة آية اللّه العظمى المرعشى النجفى فى قم المقدّسة، وهى مذكورة فى فهرسها ج ۱۶ص ۲۶ ضمن المجموعة رقم ۶۰۲۵- الكتاب الثالث، ومذكورة أيضاً فى التراث العربى فى خزانة مخطوطات مكتبة المرعشى ج ۳ص ۳۱۲، والنسخة تقع فى ۱۰ أوراق كتبت بخطّ فارسى جيّد «نستعليق»- بخطّ تلميذ المؤلّف- وعناوينها بارزة بخطّ

۱- ۱ البلد الأمين: ۲۵۱- ۲۵۸- عنه البحار ۹۸: ۲۱۳ ح ۲.

۲- ۲ زاد المعاد: ۲۴۸- ۲۶۸.

۳- ۳ إقبال الأعمال: ۳۳۹- ۳۵۰- عنه البحار ۹۸: ۲۱۴ وعن حاشية البلد الأمين ومصباح الزائر لابن‌طاووس. وقال المجلسى رحمه الله فى البحار ۹۸: ۲۲۷ ح ۴: لا توجد هذه الزيادة فى بعض النسخ العتيقة من الاقبال، وعبارات هذه الزيادة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضاً، وإنّما هى على وفق مذاق الصوفيّة، ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الزيادة من مزيدات بعض مشايخ الصوفيّة ومن إلحاقاته وإدخالاته. وبالجملة: فهذه الزيادة إمّا وقعت من بعضهم، أوّلًا فى بعض الكتب، وأخذ ابن طاووس عنه فى الاقبال غفلة عن حقيقة الحال، أو وقعت ثانياً من بعضهم فى نفس كتاب الإقبال، ولعلّ الثانى أظهر على ما أومأنا إليه من عدم وجدانها فى بعض النسخ العتيقة، وفى مصباح الزائر، واللّه أعلم بحقائق الأحوال.- بتصرّف يسير.

ص: ۵۶

النسخ،صفحاتها ذات سطور مختلفة بقياس ۵. ۱۲* ۵. ۸ سم، كتبت النسخة فى المدرسة العمادية بكاشان سنة ۱۱۵۲ ه.

-صورة الصفحة الأولى من النسخة الخطّيّة-

الحمد للّهذى الطول والإحسان والنعم الجلائل، والصـلاة على محمّد وآله أُولى الفواضل والفضائل، الذين جعلت موالاتهم خير بضاعة وأقرب الوسائل.

ص: ۵۷

-صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الخطّيّة-

أمّا بعد:

يقول المفتقر إلى اللّه الغنىّ محمد بن إبراهيم المدعوّ بماجد الحسينى: لقد سألنى بعض أجلّة الخلّان، وأخصّ الأخوان أن أُحرِّر شرحاً لكلام سيّد الشهداء- عليه وعلى آبائه السلام- فى دعائه ليوم عرفة، وهو:

«هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ الَيْکَ بِفَقْرِی إِلَيْکَ، وَکَيْفَ لَاأَتَوَسَّلُ إِلَيْکَ بِمَا هُوَ مَحَالٌ أنْ يَصِلَ

ص: ۵۸

الَیْکَ»

بحیث یدفع أثر التناقض وغیره عنه ممّا لا یلیق بأمثاله علیه السلام.

فاعتذرت إلیه مع ظهور قصور باعث عن کشف جلیّات الخفاء عن وجوه أبکار المعانی، ورفع أستار الارتیاب عن تلقاء المقاصد المعضلة الأرکان والمبانی، تارة بضیق البال لتراکم أمواج بحار الأحزان، وأُخری بقلّة المجال لکثرة تواتر نزول أفواج الحدثان، فما حلّ موقع القبول وما زاد إلّاإعادة المسؤول فأسعفت مسؤوله، وأجبت مأموله، وتصدّیت لحلّه علی رأی کلّ فرقة مشتهرة بین الأنام أقوالهم واعتقاداتهم متداولة بین الناس أبلالهم ومدوّناتهم بحیث ینطبق علی أُصولهم وقواعدهم انطباقاً بیّناً، محترزاً عن الردّ والقبول، لا لمخافة الإطناب والإسهاب، بل لانحطاط درجتی عن درجات هؤلاء الأعلام فی کلّ بابٍ، مراعیاً للایجاز واختصار الکلام، ورتّبته علی مقدّمة ومقالات ثلاث:

أمّا المقدّمة فمشتملة علی فصلین:

الفصل الأوّل: فی بیان دأب الأنبیاء والأئمّة علیهم السلام فی التضرّع والابتهال، وما شاکلهما.

اعلم أنّ دأبهم علیهم السلام فیما ذکرناه فی بعض الأوان التشبّث بالأسباب، والتمسّک بالوسائل أوّلًا، ثمّ الإعراض عنها أخیراً، مشعراً ببیان فساده لوجهین:

أمّا أوّلًا: فلکونه بمنزلة الاستدلال علی کون المحتاج إلیه هو اللَّه- سبحانه-، وأنّ لا مؤثّر فی الوجود إلّاوینتهی إلیه، فهو المؤثّر بالذات، ومسبّب الأسباب، فإنّ المطلوب المستدلّ علیه أوقع قبولًا من غیره، فأمثال هذه منهم بمنزلة القیاس الاستثنائی، ولذا قال کثیر من المفسّرین: (۱) إنّ قول إبراهیم- علی نبیّنا وآله وعلیه السلام- بربوبیّة الکواکب مستدلًّا علیها بالإنارة والضیاء والکبر أوّلًا، ثمّ الرجوع عنه مستدلًّا بالافول أخیراً، إنّماصدر عنه علیه السلام عمداً عالماً بعدم ربوبیّتها فی کلا الحالین لوجوب عصمة الأنبیاء علیهم السلام عن الشرک قبل البعثة

۱- ۱ انظر مثلًا تفسیر مجمع البیان للطبرسی ۲: ۳۲۳- ۳۲۴، ففیه تفصیل واف لما أشار إلیه المؤلّف رحمه الله.

ص: ۵۹

أيضاً.

وأمّا ثانياً: فللإشعار بتفاوت مراتب التنزيه المسبّب عن تفاوت درجات مراتب المعرفة وترتّبها، والإشارة إلى أنّ من بلوغ المرتبة العليا يُعلَم عدم جواز الرجوع إلى المرتبة الدنيا، وأنّ ما يصل به العالم إلى نعيم قربه- تعالى- سبب لبعد الأعلم منه أن جعله وسيلة، ألا ترى أنّه- سبحانه- قال: «إنّ الأبرار لفى نعيم» (۱)؟

وقد ورد فى الخبر: «إنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين».

الفصل الثانى: فى تحقيق معنى الفقر.

قد اختلفت الآراء فى تحقيقه، فجعله بعضهم ضدّ الغنى، وحكم بكونهما أمرين وجوديّين.

وقال بعضهم بكون الغنى عدم ملكة الفقر، فحكم بكون التقابل بينهما تقابل العدم والملكة.

والحقّ عكس الثانى، وما قيل فى تعريف الغنى من أنّه عدم الحاجة فتعريف له بلازمه لا تحديده، لأنّ الفقر بحسب النظر الدقيق ليس إلّافقد الكمال مطلقاً، أو ما يوصل إليه.

وبالجملة كلّ ما يكون وجوده شيء أولى من عدمه له فعدمه له من حيث هو كذلك نفس فقره، وفاقده من هذه الحيثيّة فقير وإن كان غنيّاً باعتبار وجود أمر آخر كمال له من جهة أُخرى، كما أنّ الجاهل فقير لفقدان العلم الذى هو كمال لنفسه، وغنى بحسب وجود الشبع مثلًا الذى هو كمال لبدنه، أو ما يتوصّل به إليه، فالفقر نفس العدم، والغنى عين الوجود، فإن كان الوجود ذاتيّاً للشيء يكون غنيّاً بالذات، وإن كان من غيره يكون فقيراً بالذات غنيّاً بالغير، فالغنىّ بالذات هو اللَّه- سبحانه-، وما سواه فقير إليه مطلقاً.

۱- ۱ الانفطار: ۱۳- المطفّفين: ۲۲.

ص: ۶۰

المقالة الأُولی:

فی حلّه علی طریقة الصوفیّة (۱) وهو موقوف علی بیان مقدّمة، وهی أنّ الفرق بین الواجب والممکن عندهم بالإطلاق والتقیید، ویعبّرون عنه بالتعیّن، ویقولون: هو أمر اعتباری لا حقیقی، ویعنون من الاعتباری ما لا یتّصف بالوجود، فالکثرة وما یلزمها من الغیریّة أُمور اعتباریّة غیر موجودة؛ لأنّ الوجود بما هو وجود لا یقبل الکثرة، فالأمر الحقیقی هو الوجود المطلق، وهو عین حقیقة الواجبیّة، وما یعرضه من التعیّنات أُمور اعتباریّة، فالواجب هو الوجود المطلق، والمراد منه الوجود اللّابشرط لا المقیّد بقید الإطلاق، لأنّ کلّ قید عندهم اعتباری، والممکن هو

۱ – ۱ فرقة ظهرت فی أواسط القرن الثانی أو فی النصف الأخیر منه؛ قیل: سمّوا بذلک للبسهم الصوف وقد اختاروه لرفضهم زینة الدنیا، واستغراقهم فی أمر الآخرة؛ وقیل: لأنّهم آثروا الذبول والتواضع والتخفّی عن أعین الناس کانوا کالخرقة الملقاة والصوفة المرمیّة التی لا یرغب فیها، فقیل عنهمصوفیّة نسبة إلی الصوفة المرمیّة، فتکون نسبة الصوفی إلی الصوفة کنسبة الکوفی إلی الکوفة؛ وقیل: لأنّهم فی الصفّ الأوّل بین یدی اللَّه- عزّوجلّ- بارتفاع هممهم وإقبالهم علی اللّه بقلوبهم، ووقوفهم بسرائرهم بین یدیه؛ وقیل ... وأکثر معتقدات الصوفیّة وطرقهم لا تلتقی مع ما جاء به الإسلام من قریب أو بعید، کالحلول والاتّحاد، ووحدة الوجود، والحقیقة المحمّدیّة، ونظام الکون، والجنّة والنار، وغیرها. ومن أقطابهم: إبراهیم بن أدهم، وحبیب العجمی، وذو النون المصری، وغیرهم. «بین التصوّف والتشیّع: ۲۸۴ و ۳۳۷ و ۴۸۸».

ص: ۶۱

الوجود المتعيّن لكن لا بما هو موجود، بل بما هو متعيّن، فالفقر عندهم هو نفس التعيّنات الاعتباريّة؛ لأنّها إعدامصرفه كما عرفت.

وإذا تمهّدت هذه نقول: حلّ كلامه عليه السلام على رأيهم: انّه أراد أن يشير إلى بيان مراتب قرب السالكين إلى اللّه، والسائرين إليه، وترتّب درجاته، وتفاوت مراتبه وغير المرتبة العليا من القرب الذى هو الوصول من المراتب التى وقعت فى البين إنّما يحصل للمتمسّكين بالوسائل، وتختلف مراتب قربهم حسب اختلاف الوسائل قوّة وضعفاً، وهى من الكثرة بحيث لا يكاد تنضبط، ولا شكّ أنّ أقوى الوسائل هو ما يجده المتوسّل من نفسه، لأنّ الوسيلة إذا كانت ذاتيّة يكون أتمّ وأقوى منها إذا كانت خارجيّة.

فأشار عليه السلام فى الفقرة الأُولى إلى هذا المقام وجوب الفقر الذى نفس التعيّن وسيلة للقرب، وعلّة محوجة إليه ضرورة احتياج المقيّد إلى المطلق، فمعناها: ها أنا أتوسّل بسبب تعيّنى وهويّتى إليك، وهذا القرب المطلق هو القرب الذى لم يبلغ درجة الوصول لكون الوسيلة فاصلة بين المتوسّل والمتوسّل إليه، والسالك فى هذا المقام ملاحظ لنفسه فارق بينها وبين الذات الأحديّة، وكمال القرب هو الاتّصال الذى عبارة عن ملاحظة العبد عينه متّصلًا بالوجود الأحدى بقطع النظر عن تعيّن وجوده، وإسقاط إضافته إليه حتّى يبقى موجوداً به، ولا يرى إلّا واحداً كما قال قائلهم:

در چنين حال ديده بگشايد در نظر جز يكيش ننمايد ولا شكّ أنّ هذه المرتبة لا تحصل للعبد ما دام ملاحظاً لنفسه إذ لا يمكن أن يصل غبار التعيّن إلى ذيل جلال الإطلاق، فانقطع عن الوسيلة التى هى سبب للقرب المفصول طالباً للقرب الذى هو الاتّصال، وقال: كيف أتوسّل بما هو محال أن يصل إليك؟

ص: ۶۲

المقالة الثانية:

فی حلّه علی دأب الأشاعرة (۱) وهو موقوف علی بیان مقدّمتین مترتّبتین:

الأولی: انّ ما یصدر عنه- تعالی- لیس علی سبیل الایجاب بمعنی امتناع انفکاک الأثر عن الذات کما یقول به الحکماء، ولا علی سبیل الوجوب العقلی کما یقول به المعتزلة (۲)، بل کلّ ما یصدر عنه- تعالی- یصدر بالقدرة والاختیار، بمعنیصحّة الفعل والترک مطلقاً، سواء کان بالنظر إلی ذاته کما یوافقهم فیه جمهور المعتزلة، أو بالنظر إلی غیره بخلاف ما ذهب إلیه المعتزلة من عدمصحّة الترک بالنظر إلی الداعی والعلم بالأصلح.

وبنوا علی هذه المقدّمة أنّ فعله- تعالی- لیس لغایة ولا عرض، بل نفس إرادته القدیمة کافیة فیصدور الفعل من غیر إفضائه إلی الإیجاب والوجوب المذکورین.

الثانیة: أنّ لا مدخلیّة لشیء من الأشیاء فی وجود أمر من الأُمور، ولا فی عدمها بنحوٍ من الأنحاء حتّی انّهم نفوا ربط الشرطیّة واللزوم والآلیّة وغیرها بین الأشیاء بعضها بالنسبة إلی بعضٍ.

وبالجملة نفوا افتقارها إلی ما سوی اللَّه مطلقاً حتّی حکموا بعدم افتقار العرض إلی الموضوع، وما یری فی الوجود من الارتباط بین الأشیاء لیس ارتباطاً ذاتیّاً، بل هو ممّا جرت سنّته- تعالی- علیه.

وبنوا علی هذه المقدّمة جواز تعذیب المطیع، وإثابة العاصی منه- تعالی- لعدم مدخلیّة الإطاعة والعصیان فی الثواب والعقاب، لکن جرت سنّته بإثابة المطیع، وتعذیب العاصی «ولن تجد لسنّة اللَّه تبدیلًا» (۳)

، فکلّ ما یصل من اللَّه الی العبد من الخیر والثواب تفضّل منه- سبحانه- لا لأهلیّة العبد واستحقاقه.

۱- ۱ الأشعریّة: هم أصحاب أبی الحسن علیّ بن إسماعیل بن إسحاق الأشعری؛ قیل: ولد سنة سبعین ومائتین؛ وقیل: سنة ستّین ومائتین بالبصرة، وقد توفّی سنة نیّف وعشرین وثلاثمائة. جدّه الأعلی أبو موسی الأشعری، المتوفّی سنة ۴۲؛ وقیل: ۴۴ وهو ابن ثلاث وستّین سنة. وإنّ أبا الحسن هذا کان معتزلیّاً فی بادئ أمره إلّاأنّه رجع عن الاعتزال بسبب أسئلته التی کان یوجّه بها إلی أستاذه المعتزلی أبی علی الجبائی وما کان یجد لها جواباً. وقد جاء الإمام الأشعری بمنهج معتدل، وقد أعلن أنّ المصدر الرئیس للعقائد هو الکتاب والسنّة، وفی الوقت نفسه خالف أهل الحدیث- الذین یکتفون بظواهر النصوص والأحادیث- بذکاء خاصّ عن طریق استغلال البراهین العقلیّة والکلامیّة علی ما جاء فی الکتاب والسنّة. ومن أعلامهم: القاضی أبو بکر الباقلانی، وأبو منصور عبد القاهر البغدادی، وإمام الحرمین الجوینی، وغیرهم. «الملل والنحل للشهرستانی ۱: ۸۵ والملل والنحل للسبحانی ۲: ۶- ۲۹».

۲- ۲ هم الّذین کانوا یتمسّکون بالعقل أکثر من النقل، ویؤولون النقل إذا وجدوه مخالفاً لفکرتهم وعقلیّتهم، وکان التشاجر قائماً علی قدم وساق بینهم وبین أهل الحدیث الّذین تعبّدوا بظواهر الآیات والروایات من دون غور فی مفاهیمها. قیل: إنّ سبب تسمیتهم هو اعتزالهم عن علی علیه السلام فی محاربته لمخالفیه؛ وقیل: اعتزالهم عن الحسن بن علی علیه السلام ومعاویة، وقیل غیر ذلک. من أقطابهم: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبید، وأبو الهذیل العلّاف، وأبو علی الجبائی، وغیرهم. «الملل والنحل للسبحانی ۲: ۵، و ۳: ۱۵۵- ۱۸۴».

۳- ۳ سورة الأحزاب: ۶۲، سورة الفتح: ۲۳.

ص: ۶۳

إذا تمهّدت هذه نقول: على وفق قواعدهم المذكورة: إنّه علیه السلام لمّا علم جریان سنّته بإفاضة الخیر والجود عند تمسّک العبد بالوسائل- وکان من أعظم الوسائل هو الفقر-، قال: «ها أنا أتوسّل إلیک بفقری إلیک». ولما کان هذا موهماً کونه مستحقّاً المسؤول بهذه الوسیلة، وأنّ لها أثراً فی فعله- تعالی- نفاه بقوله: «وکیف أتوسّل إلیک بما هو محال أن یصل إلیک؟» نافیاً کونه مؤثراً، مثبتاً قدرته واختیاره- سبحانه- فی کلا الحالین، فأثبت کونه وسیلة بحسب عادة اللّه وسنّته، ونفی کونه وسیلة مؤثرة بحسب الواقع لعدم إمکان التأثیر من غیره- تعالی- فارتفع الاشکال واندفع التناقض.

المقالة الثالثة:

فی حلّه علی رأی الحکماء

ویتوقّف بیانه علی مقدّمتین:

إحداهما: أنّ الممکن بما هو ممکن زوج ترکیبی؛ لأنّ کونه لیس من ذاته غیر کونه من فاعله، وهو مرکّب الحقیقة منهما، وهذا هو المراد من قولهم: الممکن فی حدّ ذاته لیس وبفاعله یصیر، أی فکلّ ممکن مشتمل علی هاتین الجهتین، ویعبّرون عن هذا العدم بالعدم الذاتی بمعنی عدم الاقتضاء، ویحکمون باجتماعه مع الوجود الفائض من العلّة، ولا یلزم اجتماع النقیضین لاختلاف الإضافة، فجمیع الممکنات معدومة فی حدود ذواتها، موجودة بفاعلها.

الثانیة: أنّه لابدّ من مناسبة بین العلّة والمعلول مطلقاً، سواء کانت العلّة من العلل الذاتیّة أو العرضیّة، وإلّا لجاز استناد کلّ شیء إلی کلّ شیء، وکون کلّ شیء مصدراً لکلّ شیء، وما یری فی الوجود من الاختصاص (۱) یکون ترجّحاً من غیر مرجّح، وهو محال، فتعیّن ضرورة المناسبة.

۱- ۱ أی اختصاص بعض الآثار ببعض المؤثرات دون بعض.

ص: ۶۴

إذا تقرّرت هـذه فنقول: حلّه على رأيهم أنّه عليه السـلام أراد أن يشـير إلى أنّه- تعـالى- كما يعطى الوجود الـذى هو أعلم الكمالات، وأجلّ النعم إذ به ينال العبـد كلّ خير وكمال، ولـذّة ووصال، وبه يصل إلى سـعادة الـدارين، ومقاصـد النشأتين، إذ لا يمكن أن يكون للمعـدوم بما هو معـدوم خير وسـعادة ضـرورة توقف الكمالات الثابتـة، وما يتفرّع عليها على الكمال الأوّل الـذى هو أصل آنيته، إذ به يظهر ماهيته وما يتفرّع عليها من خواصّه واعراضه، كـذلك يعطى الوسائل إلى تحصـيل السـعادات، واسـتفاضة الخيرات، فجوده منوط بجوده، ورحمته مرتبطة برحمته.

وهذا غاية التنزيه، وكمال التوحيد، ونفى الشرك الخفىّ الذى لا ينفكّ عنه إلّا الخائضون فى قمامس (۱) أنوار معرفته، والغائصون فى بحار آثار قدرته. ولنعم ما قلت فى أثناء تحرير هذا المقام:

يا من تحقّقَ وجود العالمين من وجودك

من ذرّة جودك وكرمك ظَهَر الخلق

جاهلون بذاتك نحن، وكلّ ما نعلمه عنك هى معرفتنا بآثارك

لقد مزجتَ فيض الأزل بالعدم

وبعثت إلى الوجود عالم الآثار

الثرى إثر فيضك وإحسانك غدا وجهاًصبوحاً (۲) علقة الدم غذت قلباً عارفاً (۳) كلّ قطرة هى من بحرك

كما الشمس التى هى ذرّة تجوب المدار

الذهب بصفائه ولونه الزاهى منك

قدرة قبضة الأسد منك

۱- ۱ القاموس والقومَس: قعر البحر؛ وقيل: وسطه ومعظمه؛ وقيل: أبعد موضع غوراً فى البحر. «لسان العرب ۶: ۱۸۳- قمس-».

۲- ۲ إشارة إلى قوله- تعالى- فى سورة الحجّ: ۵: «يا أيّها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغةٍ ...».

۳- ۳ إشارة إلى قوله- تعالى- فى سورة الحجّ: ۵: «يا أيّها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغةٍ ...».

ص: ۶۵

الطمأنينة والعذاب والحزن والأمل

كلّ ما له وجود فهو منك يا كريم

أفصحَ كليمك عن هذا السرّ

وأنطقَ بلسان العجز والسؤال

لقد هَجَرَ الإيمان قلب السامرىّ

لأنّ لا أحـد غيرك يهب الجسد روحاً (۱) (۲) والوسيلة إلى قرب جنابه- سبحانه- إمّا أن تكون من ذات العبد الذى ليس أثراً لجعل الفاعل- أعنى العدم الذاتى- المعبّر عنه بالفقر فى كلامه عليه السلام أو من اللَّه- تعالى- أعنى الوجود الفائض منه- سبحانه- مطلقاً، سواء كان جزء ذات العبد المتوسّل كما عرفت فى المقدّمة الأولى، أو جزء ذات غيره، فإذا بطلصلوح كون الأوّل وسيلة تعيّن الثانى لامتناع الواسطة بين النفى والإثبات.

ولمّا كان الفقر مناسباً بالذات المتوسّل لضرورة مناسبة الذاتى لما هو ذاتى له، فيتوهّمصلوح كونه وسيلة أشار إليه عليه السلام فى الفقرة الأولى بقوله: «ها أنا أتوسّل إليك بفقرى إليك».

ولمّا كان من شرط الوسيلة أن تكون مناسبة للطرفين- أعنى المتوسِّل والمتوسَّل إليه- والفقر لا يناسب الغناء المطلق والإمكان أبعد من أن يصل إلى حضرة الحقّ أشار إليه عليه السلام فى الفقرة الثانية بقوله: «وكيف أتوسّل إليك بما هو محال أن يصل إليك؟».

فهذا الكلام منه عليه السلام بمنزلة القياس الاستثنائى كما علمت فى مقدّمة الرسالة، فتعيّن أن يكون الوسيلة أثراً منه- سبحانه- سواء كان جزء ذاته كما عرفت أوّلًا، ولا يخفى من مناسبة الأوّل للطرفين.

أمّا مناسبته للمتوسّل فلكونه مظهراً لهويّته مبيّناً مقتضيات ذاته.

۱- ۱ إشارة إلى قوله- تعالى- فى سورة طه: ۸۷ و ۸۸: «... فكذلك ألقى السّامرىّ فأخرج لهم عجلًا جسداً له خُوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى».

۲- ۲ كان المؤلف قد أنشأ شعراً بحدود ۱۱ بيت باللغة الفارسية، فأثبتّه بالهامش، وما فى المتن هو مدلول هذه الأبيات، وهى: اى ز وجود تو وجود همه ذره از جود تو بود همه ما كه نداريم ز ذاتت خبر از تو چه گوييم بغير از اثر فيض ازل با عدم آميختى عالم آثار برانگيختى دانه جود تو كشد دم بدم طاير ديگر ز شكاف عدم از تو هوا خلعت تقرير يافت نقد سخن قيمت اكسير يافت خاك ز فيضت رخ زيبا شده قطره خونى دل دانا شده باز همان قطره ز درياى تست ذرّه خورشيد فلك ساى تست قد خم و رنگ زر برى ز تو قوت سر پنجه شيرى ز تو راحت و رنج و غم و اميد و بيم هر چه بود از تو بود اى كريم كرد كليمت سر اين راز باز با تو بگفت از سر عجز و نياز گر چه شد از سامرى ايمان بباد جز تو بتمثال كسى جان نداد

ص: ۶۶

وأمّا للمتوسّل إليه فلكونه أثراً منه، ولا يخفى ما بين الشىء وأثره من المناسبة، وأمّا إذا لم يكن جزء ذاته فمناسبتها للمتوسّل إليه بيّن لكونها أثراً منه، ومناسبته للمتوسّل يعلم بحكم تشابه آثار المؤثر الواحد، بل من حيث اتّحادهما سنخاً.

وبالجملة مراده عليه السلام نفى كون وسائل ذاته الإمكانيّة، وذوات الممكنات من حيث إنّها ممكنات لأنّه لو أمكن هذا لكان الفقر الذاتى الذى ليس أثراً منه– سبحانه– وسيلة وهو محال فتعيّن أن يكون منه– تعالى– سواء كان نفس وجوده الذى هو جزء ذاته أوّلًا، وهذا لا ينافى ثبوت بعض الآثار لبعض الماهيات دون بعض؛ لأنّ هذه الآثار ليست مستندة إلى إمكانه الذاتى الذى ليس متعلّق الجعل لاشتراكه بين الجميع، فتعيّن استنادها إلى المهية من حيث هى هى، والمهية كما هو الحقّ متعلّق للفعل وأثر للجعل، فصحّة كون بعض الأمور وسيلة بحسب الظاهر لحدوث بعض الآثار دون بعض لا ينافى المقصود؛ لأنّه لا يكون من جهة عدمه الذاتى الذى ليس متعلّقاً للجعل وسيلة، بل يكون وسيلة بجهة أُخرى، واعتبار آخر، وهو بهذه الجهة والاعتبار أثر منه تعالى.

هذا آخر ما أردنا إيراده، والحمد للّه أوّلًا وآخراً.

تمّت فى يوم الاثنين الرابع عشر من شهر شعبان المعظّم سنة ۱۱۵۲.

فهرس مصادر التحقيق:

۱– القرآن الكريم.

۲– أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات– بيروت ۱۴۰۳ ه.

۳– إقبال الأعمال للسيّد رضى الدين على بن طاووس، نشر دار الكتب الإسلاميّة– طهران ۱۳۹۰ ه (طبعة حجرية).

۴– بحار الأنوار للعلّامة محمد باقر المجلسى، نشر مؤسّسة الوفاء– بيروت ۱۴۰۳ ه.

ص: ۶۷

۵- بحوث فی الملل والنحل للشیخ جعفر السبحانی، نشر لجنة إدارة الحوزة العلمیّة- قم ۱۴۰۸ ه.

۶- البلد الأیمن للشیخ تقیّ الدین إبراهیم الکفعمی (طبعة حجریة).

۷- بین التصوّف والتشیّع لهاشم معروف الحسنی، نشر دار القلم- بیروت ۱۹۷۹ م.

۸- تتمیم أمل الآمل للشیخ عبد النبی القزوینی، نشر مکتبة آیة اللّه المرعشی- قم ۱۴۰۷ ه.

۹- الذریعة إلی تصانیف الشیعة للشیخ آقا بزرگ الطهرانی، نشر دار الأضواء- بیروت ۱۴۰۳ ه.

۱۰- زاد المعاد للعلّامة محمد باقر المجلسی (طبعة حجریة).

۱۱- فهرس مخطوطات مکتبة آیة اللّه العظمی المرعشی النجفی- المطبوع بالفارسیّة.

۱۲- الکرام البررة فی القرن الثالث بعد العشرة «طبقات أعلام الشیعة» للشیخ آقا بزرگ الطهرانی، نشر دار المرتضی- مشهد ۱۴۰۴ ه.

۱۳- الکواکب المنتشرة فی القرن الثانی بعد العشرة «طبقات أعلام الشیعة» للشیخ آقا بزرگ الطهرانی، نشر جامعة طهران.

۱۴- لباب الألقاب فی ألقاب الأطیاب للمولی الآقا ملّا حبیب اللّه الشریف الکاشانی، المتوفّی سنة (۱۳۴۰ ه)، نشر مکتبة «أبوذر الجمهری المصطفوی»- سمّاه فی الذریعة ۱۸: ۲۷۷ رقم ۹۳:

لباب الألباب فی ألقاب الأطیاب.

۱۵- لسان العرب لابن منظور الأفریقی المصری، نشر أدب الحوزة- قم ۱۴۰۵ ه.

۱۶- مجمع البیان فی تفسیر القرآن للشیخ أبی علی الفضل بن الحسن الطبرسی، نشر مکتبة آیة اللّه العظمی المرعشی النجفی- قم ۱۴۰۳ ه.

۱۷- معالم العلماء لابن شهر آشوب المازندرانی، المتوفّی سنة ۵۸۸، نشر المطبعة الحیدریّة- النجف ۱۳۸۰ ه.

۱۸- الملل والنحل للشهرستانی، منشورات الرضی- قم ۱۳۶۴ ه. ش.

ص: ۶۸

الهوامش:

اقلّ ما یجب معرفته من تالیف الشهید الثانی

ص: ۶۹

ص: ۷۰

ص: ۷۱

أقلّ ما یجب معرفته من تألیف الشهید الثانی

أحکام الحجّ والعمرهٔ

تحقیق رضا المختاری

ترجمهٔ الشهید الثانی:

وُلـد العـالم الجلیـل والفقیه النبیـل، بـدیعُ زمـانه ونادرهٔ أوانه، الشـیخ زین الـدین بن علی بن أحمـد العاملی الشامی المعروف بالشـهید الثانی- أفاض اللَّه علی روحه المراحِمَ الربانیهٔ، وأسـکنه فی جناته العلیهٔ- فی یوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوّال سنهٔ ۹۱۱، واستُشهد فی شهر رجب سنهٔ ۹۶۵.

قال فی وصفه المحقق التستریصاحب المقابس:

أفضل المتأخرین وأکمل المتبحّرین، نادرهٔ الخلف وبقیّـهٔ السـلف، مُفتی طوائف الأمم، والمرشد إلی التی هی أقوم، قُدوهٔ الشـیعهٔ ونور الشـریعهٔ، الذی قصـرت الأکارم الأجلاء عن اسـتقصاء مزایاه وفضائله السـنیّهٔ، وحارت الأعاظم الألبّاء فی مناقبه وفضائله العلیّهٔ .. المؤیَّد المسدَّد بلطف اللَّه الخفی والجلی

ص: ۷۲

.. وله كتبٌ ورسائل كثيرة فاخرة مهذَّبة فى فنون مختلفة ومطالب متشعِّبة .. (۱).

ووصفه العلامة الأمين بقوله:

كان عالماً فاضلًا جليل القدر رفيع المنزلة تقياً نقياً ورعاً زاهداً عابداً، حائزاً لصفات الكمال، متفرّداً منها بما لا يشاركه فيه غيره، مفخرة من مفاخر الكون وحسنة من حسنات الزمان .. كان فقيهاً ماهراً فى الدرجة العليا بين الفقهاء .. والفقه أظهر وأشهر فنونه، وكتبه فيه .. مدار التدريس من عصره حتّى اليوم، ومحطّ أنظار المؤلّفين والمصنّفين، ومرجع العلماء والمجتهدين ...

وما ظنّك برجل يؤلّف مؤلّفاته الجليلة الخالدة على مرور الدهور والأعوام فى حالة الخوف على دمه، لا يشغله ذلك عنها مع ما تقتضيه هذه الحالة من توزّع الفكر، واشتغال البال عن التفكير بمسألة من مسائل العلم، يؤلّفها بين جدران البيوت المتواضعة وحيطان الكروم، لا فى قصور شاهقة ورياض ناضرة، ولا مساعدَ له ولا معين حتّى على تدبير معاشه ...

وما ظنّك برجل من أعظم العلماء وأكابر الفقهاء يحرس الكرم ليلًا ويطالع الدروس، وفى الصباح يلقى الدروس على الطلبة- وكرمه الذى كان له فى جُبَع معروف محلّه إلى الآن- ويَحْتَطِبُ لعياله ليلًا .. ويباشر بناء داره ومسجده الذى هو جنبها فى قرية جبع- وقد رأيتهما- وداره مفتوحة للضيوف والواردين وغيرهم، يخدمهم بنفسه، ويباشر أمور بيته ومعاشه .. ولا يدع لحظة تمضى من عمره فى غير اكتساب فضيلة وإفادة مستفيد .. (۲).

وقال فى وصفه تلميذه ابن العودى:

... ولقد كان مع علوّ همّته وسموّ منزلته على غايةٍ من التواضع ولين الجانب، ويبذل جهده مع كلّ وارد فى تحصيل ما يبتغيه من المطالب. إذا اجتمع بالأصحاب عدَّ نفسه كواحدٍ منهم، ولم تملْ نفسه إلى التمييز بشىء عنهم ...

۱- ۱ مقابس الأنوار: ۱۵.

۲- ۲ أعيان الشيعة ۷: ۱۴۴- ۱۴۶.

ص: ۷۳

ولقـد شاهـدت منه سـنة ورودى إلى خـدمته أنّه كان ينقل الحطب على حمارٍ فى الليل لعياله، ويصـلّى الصّبح فى المسـجد، ويشـتغل بالتدريس بقيّة نهاره ...

وكان يصلّى العشاء جماعة، ويذهب لحفظ الكرم، ويصلّى الصبح فى المسجد، ويجلس للتدريس والبحث كالبحر الزاخر ...

... فقـد كـان غـالب الزمـان فى الخوف الموجب لإتلاـف النفس، والتستّر والاختفاء الـذى لا يسع الإنسان معه أن يفكّر فى مسألـة من الضروريات البديهية ...

... كـانت أصـابع يـديه أقلام فضـة، إذا نظر النـاظر فى وجهـه، وسـمع عذوبـة لفظه لم تسـمح نفسه بمفـارقته، وتسلّى عن كـلّ شـىء بمخاطبته، تمتلئ العيوم من مهابته، وتبتهـج القلوب لجلالته. وأيمُ اللّه، إنّه لفوق ما وصـفتُ، وقـد اشـتمل من حميد الخصال على أكثر مما ذكرت (۱).

وتحدّث عنه الشيخ على العامليصاحب الدر المنثور حفيد الشهيد، فقال:

مما سـمعته فى بلادنا مشـهوراً، ورأيته أيضاً مشهوراً فى غيرها أنّه- قدّس اللّه روحه- لمّا سافر إلى اصطنبول، ووصل إلى المكان الذى قُتِلَ به تغيّر لونه.

فسأله أصحابه عن ذلك، فقال ما معناه: «إنّه يقتل فى هذا المكان رجل كبير- أو عظيم- له شأن». فلمّا أُخذ قتل فى ذلك المكان (۲).

وقال العلامة الأمينى أعلى اللّه مقامه فى ترجمته:

... فى رسالة مسائل السيد بدر الدين ... الحسينى المدنى التى سألها عن الشيخ حسين بن عبد الصمد والد شيخنا البهائى ماصورته:

سؤال: «مـا يقول مولانا فيما يروى عن الشـهيد الثانى أنّه مرّ بموضع فى اصـطنبول، ومولانا الشـيخ معه، فقال: يوشك أن يُقتل فى هـذا الموضع رجلٌ له شأن- أو قال شيئاً قريباً من هذا المعنى- ثمّ إنّه استشهد رحمه الله فى ذلك الموضع، ولا

۱- ۱ الدرّ المنثور ۲: ۱۵۵- ۱۵۷.

۲- ۲ الدر المنثور ۲: ۱۸۹.

ص: ۷۴

ريب أنّ هذه من كراماته».

الجواب: «نعم، هكـذا وقع منه قدّس اللَّه روحه، وكان الخطاب للفقير، وبلغنا أنّه استُشـهِدَ في ذلك الموضع، وذلك ممّا كُشِفَ لنفسـه الزكيّة، حشره اللَّه مع الأئمة الطاهرين» (۱).

وفي بعض المصادر توجـد بعـد الجواب هـذه الزيادة: «كتبه حسـين بن عبد الصـمد الحارثي ثامن عشـر ذي الحجّة سـنة ۹۸۳ في مكّة المشرّفة زادها اللَّه شرفاً وتعظيماً» (۲).

ونقل عن بعض مؤلفات شيخنا البهائي رحمه الله أنّه قال:

أخبرني والدي قدس سره أنّه دخل فيصبيحة بعض الأيّام على شيخنا الشهيد المعظّم عليه [كذا] فوجده متفكراً، فسأله عن سبب تفكّره، فقال: «يا أخي، أظنّ أنّي أكون ثاني الشـهيدين- وفي رواية: ثاني شـيخنا الشـهيد في الشـهادة- لأنّي رأيت البارحة في المنام أنّ السيد المرتضـي علم الهدى رحمه الله عمل ضـيافة جمع فيها علماء الإماميّة بأجمعهم في بيت، فلمّا دخلتُ عليهم قام السيد المرتضى ورحّب بي، وقال لي: يا فلان اجلس بجنب الشـيخ الشـهيد. فجلست بجنبه، فلمّا اسـتوى بنا المجلس انتبهتُ من المنام، ومنامي هـذا دليل ظاهر على أنّي أكون تالياً له في الشهادة» (۳).

ورثاه ابن العودي بقصـيدة مُفجعةٍ مؤلمة لمّا بلغه خبر شـهادته- وكان تلميذه الملازم له، كان وروده إلى خدمته في عاشـر ربيع الأول سنة ۹۴۰، وانفصل عنه بالسفر إلى خراسان في عاشر ذي القعدة سنة ۹۶۲ (۴)- وإليك بعضها:

هذي المنازلُ والآثارُ والطَلَلُ مُخبِّرات بأنّ القوم قد رحلوا

ساروا وقد بَعُدت عنّا منازلهم فالآن لا عوضٌ عنهم ولابدل

۱- ۱ شهداء الفضيلة: ۱۳۷، وانظر الدرّ المنثور ۲: ۱۹۰ الهامش.

۲- ۲ الدر المنثور ۲: ۱۹۰ الهامش، أعيان الشيعة ۷: ۱۵۷.

۳- ۳ روضات الجنّات ۳: ۳۸۳، وانظر كلام الشهيد نفسه في عناية اللَّه تعالى به في منية المريد: ۱۶۰.

۴- ۴ انظر منية المريد: ۱۰ و ۴۳ مقدمة التحقيق.

ص: ۷۵

فسرت شرقاً وغرباً فى تطلّبهم وكلّما جئت ربعاً قيل لى: رحلوا

فحين أيقنت أن الذكرَ منقطعٌ وأنّه ليس لى فى وصلهم أملُ

رجعت والعين عبرى والفؤاد شج والحزن بى نازل والصبرُ مرتحلُ

وعاينت عينىَ الأصحاب فى وجلٍ والعين منهم بميل الحزن تكتحلُ

هل نالكم غيرُ بعد الإلف عن وطنٍ؟ قالوا: فُجعنا بزين الدين يا رجلُ

أتى من الروم لا أهلًا بمقدمه ناع نعاه فنارُ الحزن تشتعلُ

يقول: إنّ أولى العدوان قد شهروا سيف الضلال وللمذكور قد قتلوا

لما سمعت كلام القوم خامرنى وجد وحلّ بقلبى المبتلى وجلُ

وصار حزنى أنيسى والبكا سكنى والنوح دأبى ودمع العين ينهملُ

لهفى له نازح الأوطان منجدِلًا فوق الصعيد عليه الترب مشتملُ

مضرّجاً بالدما لا غُسل لا كفن لا قبر فيه يوارى ذلك البطلُ

لا بلّغ اللّه عينى طيب رؤيته ان حلّ فى خاطرى يوماً له بدلُ

أشكو إلى اللّه رُزْءاً ليس يُشبههُ الّا مصيبة من فى كربلا قُتلوا

لكن تسلّت هُمومى مذ رأيتهم فى النوم فى جنّة الفردوس قد نزلوا

منعّمين مع الأصحاب قاطبةً فى جنّة الخلد لا بؤس ولا وجلُ

هذا، وحُزنى عليهم لا انقضاء له حتى أراهم عياناً حيثما نزلوا (۱) *** تتلْمَذَ الشهيد الثانى على عدد كبير من علماء عصره من الخاصّة والعامّة فى مختلف العلوم، منهم: والده على بن أحمد، والشيخ على بن عبد العالى الميسى، والسيد بدر الدين حسن بن السيد جعفر الأعرجى الحسينى الكركى، والمحقق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكّىّ، وشهاب الدين أحمد الرملى الشافعى، والشيخ أبو الحسن البكرى، وشمس الدين ابن طولون الدمشقى الحنفى.

۱- ۱ الدر المنثور ۲: ۱۹۷- ۱۹۸، والأبيات طبعت فى هذا الكتاب مغلوطة، وصححناها بقدر الإمكان بعد المراجعة إلى سائر المصادر ونسخه المخطوطة.

ص: ۷۶

وتتلْمَـذَ علیه جمع غفیر من العلماء منهم: الشیخ عزّ الدین حسـین بن عبد الصـمد والد الشیـخ البهائی، والشـیخ علی بن زهرهٔ الجبعی، والسـید علیّ العـاملی والـدصاحب المـدارک، والسـید عطاء اللّه بن السـید بـدر الـدین الحسـینی الموسوی، والمولو محمود بن محمد اللاهجانی، والسـید جمال الدین حسن بن السـید نور الدین، وابن شـعیر العاملی، والسید علی بن الصائغ العاملی، والسید نور الدین بن السـید فخر الـدین عبـد الحمیـد الکرکی، وبهاء الـدین محمد بن علیّ بن الحسن العودی الجزینی وهو من خواصّ تلامیذه، وهو الذی ألّف کتاباً فی ترجمهٔ الشهید وسمّاه «بغیهٔ المرید فی الکشف عن أحوال الشیخ زین الدین الشهید».

ألّف الشـهید الثانی فی عمره القصـیر (۵۴ سـنهٔ) زهـاء ستّین کتابـاً ورسالـهً فی مختلف الموضوعـات، کان الکثیر منها ولا یزال المورد الصافی لإفادهٔ العلماء. منها:

الروضهٔ البهیّهٔ فی شـرح اللمعهٔ الدمشـقیّهٔ، وهو أشـهر مصـنّفاته، مسالک الأفهام إلی تنقیح شـرائع الإسـلام، وهو أکبر مصـنّفاته، رَوْض الجنان فی شـرح إرشاد الأذهان، المقاصد العلیّهٔ فی شـرح الرسالهٔ الألفیهٔ، الفوائد الملیهٔ لشرح الرسالهٔ النفلیهٔ، وتمهید القواعد الأصولیهٔ والعربیهٔ، وهذه الکتب طبعت طبعهٔ حجریهٔ.

ولقـد فقـد عـدد من آثار الشـهید مثل: غُنْیـهٔ القاصدین فی معرفهٔ اصـطلاحات المحدّثین، منار القاصدین فی أسـرار معالم الدین، بغیهٔ المرید مختصر منیهٔ المرید، مبرّد الأکبار مختصر مسکّن الفؤاد، ورسالهٌ فی عشرهٔ مباحث من عشرهٔ علوم.

وهناک عـددٌ من آثار الشـهید الموجوهٔ لم یطبع بعـد مثل: تقلیـد المیت، رسالـهٔ فی النیّـهٔ، مناسک الحـج، نیّات الحجّ والعمرهٔ، تحقیق الإجماع فی زمن الغیبهٔ، حاشیهٔ الألفیّهٔ، تفسیر آیهٔ البسملهٔ، أجوبهٔ المسائل السماکیهٔ وحاشیهٔ خلاصهٔ الأقوال.

ص: ۷۷

لقد بدأتُ قبل عدّة أعوام تحقيق رسائل الشهيد الثانى، واللّه أسأل أن يوفّقنى لإتمام هذا العمل، وقد تجلّت أُولى عنايات الربّ لى أنْ ثقفتُ مصورة عددٍ من رسائل الشهيد كتبها بخطه الشريف قدس سره.

وهذه الرسالة هى إحدى رسائله فى الحجّ، ولم تطبع بعدُ- سوى طبعتنا هذه-.

وقد حقّقناها اعتماداً على مخطوطتين منها، إحداها ضمن مجموعة محفوظة فى مكتبة الأستاذ حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيّد محمد على الروضاتى

ص: ۷۸

دامت افاضاته، وثانيتها ضمن مجموعة محفوظة فى مكتبة الفاضل المعاصر فخر الدين النصيرى الأمينى دام بقاه.

ولم أعثر لهذه الرسالة على مخطوطة غير هاتين سوى مخطوطة محفوظة فى المكتبة الوطنيّة بطهران برقم ۳/ ۲۵۷۳، مذكورة فى فهرسها ج ۱۲،ص ۵۰۲- ۵۰۳، ولكن لم يعلم مفهرس المكتبة أنّها من تأليف الشهيد الثانى قدس سره.

الحمد للّه مُسَهِّلِ الصعاب وميسّر الحساب، والصلاة على أشرف الأحباب وعلى آله وأصحابه خير آل وأصحاب.

وبعد، فهذه جملةٌ كافلةٌ ببيان أقلّ ما يجب معرفته من أحكام الحجّ والعمرة؛ تسهيلًا على المكلّفين وتيسيراً على المتعلّمين، فإنّ التيسيرَ مُرادُ اللّه تعالى، وهو حسبنا ونعم المعين.

اعلم أنّ الواجب على الآفاقى- وهو من نأى منزلُهُ عن مكّةَ بمرحلتين مع استطاعته إلى الحجّ- حجُّ التَّمَتُّع، وهو الذى يقدِّم عمرتَه على حجّه.

والواجب إذا وصل إلى ميقات الإحرام- وهو مسجد الشجرة لمن حجّ على طريق المدينة، والجُحْفَةُ لمن حجّ على طريق مصر، ويَلَمْلَمْ لأهل اليمن ولمن قربه، والعَقيقُ لأهل العراق ومن فى معناهم، ومحاذى أحد المواقيت ولو ظنّاً لمن لم يصادف طريقه أحدها- أن يحرم منه بأن ينزع المخيط ويكشف رأسه وقدمَيْه إلّا ما يتوقّف عليه لبس النعلين إن كان رجلًا، ويزل ما على بدنه من رائحة الطيب.

ثمّ ينوى العمرة، وصفتها: «أُحْرِمُ بعمرة التمتّع لوجوبه قربة إلى اللّه»، ولو اقتصر على قوله- ناوياً-: «أُحرِمُ بالعمرة للّه» كفى- ثمّ يُلبّى ناوياً: «أُلبّى لوجوبه قربة إلى اللّه»، ويكفى «ألبّى للّه» ويقول: «لبّيك اللّهمّ لبيك، لبّيك، إنّ الحمد والنعمة

ص: ۷۹

والملك لك، لا شريك لك لبّيك».

ويُسَنُّ قبل الإحرام توفير شعر الرأس من أول ذى القعدة، والتنظيف عنده بإزالة شعر العانة والإبط، وقصّ الأظفار، والغسل، ثمّ يصلّى سنّة الإحرام، وهى ستّ ركعات، وأقلّه ركعتان، ونيّتها: «أُصلّى ركعتين من سنّة الإحرام للّه تعالى».

فاذا نزع المخيط لبس ثوبى الإحرام، يأتزر بأحدهما ويرتدى بالآخر أو يتوشّح به. ويعتبر كونهما من جنس ما تصحّ الصلاة فيه اختياراً، وتجوز الزيادة عليهما، ويسنّ كونهما من القطن الأبيض الخالص.

فاذا عقد الإحرام بالتلبية حرم عليهصيد البرّ الممتنع بالأصالة المحلّل، وستّة من المحرّم: الأسد والثّعلب والأرنب والضبُّ واليربوعُ والقنفذ، وأكله والإعانة عليه، والاستمتاع بالجماع ومقدّماته، وعقد النكاح، واستعمال الطيب مطلقاً، والاكتحال بالسواد، والادّهان بالدهن المطيَّب وغيره، واخراج الدم وازالة الشعر اختياراً فيهما، وقلْمُ الأظفار، وقطع الشجر والحشيش النابتين فى الحرم إلّاالإذخِر وما فى معناه، والفسوق وهو الكذب مطلقاً، والجدال وهو الحلف مطلقاً، ولبس الخاتم والحناء للزينة لا للسنّة- فيهما- والفارِقُ القصد، وقتل القمل وغيره من هوامّ الجسد، والنظر فى المرآة، ولبس المخيط للرجل وإن قلّت الخياطة- عدا المنطقة والهميان- وفى معناها الزَرّ، والخِلال ولبس ما أحاط بالبدن من اللِبْد والدِرْعِ، والتظليلُ سائراً اختياراً، وتغطية الرأسِ ولو بالارتماس، وستر ظهر القدم بالخفّ ونحوه، وتغطية المرأة وجهها إلّاالقدر الذى يتوقّف عليه تغطية رأسها، ويجوز لها سُدْلُ ثوبٍ على وجهها على وجه لا يصيبه، ويحرم عليها لبس ما لم تعتده من الحَلْى، وما اعتادته بقصد الزينة أو مع إظهاره للزوج.

ص: ۸۰

فإذا فعل المحرم شيئاً من هذه المحرّمات: فإنْ كان جاهلًا أو ناسياً فلا شيءَ عليه إلّافى الصيد، فلا يفرُقُ فيه بين العامد وغيره، وإنْ كان عامداً أثِمَ ووجبت عليه الكفّارة إلّافى الاكتحال والادّهان بغير المطيَّب وإخراج الدم ولبس الخاتم والحنّاء والنظر فى المرآة والفسوق ولبس الحَلْى، فلا شيء فيها سوى الإثم.

والكفّارة فى الباقى مفصّلةٌ فى بابها.

فإذا وصل إلى مكّة وجب أنْ يبتدئ بطواف العمرة فيتطهّر من الحدث والخبث على حدّ ما يعتبر فى الصلاة، ويستر عورته، «ويختتن إن كان رجلًا مع المُكْنة» كالصلاة.

وكيفيّة الطواف: أن يقف بإزاء الحجر الأسود مستقبلًا له، جاعلًا أوّل جزء منه ممّا يلى الركن اليمانى، محاذياً لأوّل كتفه الأيمن ولو ظنّاً، ثمّ ينوى: «أطوف طواف العمرة لوجوبه قربةً إلى اللَّه» ثمّ ينتقل ويجعل البيت على يساره، ويطوف به سبعة أشواط من غير زيادة ولا ـ نقصان فى القدر الذى بين البيت والمقام، مدخلًا للحِجْرِ فى الطواف، مخرِجاً لجميع بدنه عن البيت، فلا يَمُسُّ الحائط ماشياً بل يقف إن أراده، ولا ينتقل حتّى يخرج يده عنه.

فإذا فرغ من الطواف وجب عليهصلاة ركعتيه خلف المقام أو مع أحد جانبَيْه ونيّتهما: «أُصلِّى ركعتى طواف العمرة لوجوبه قربةً إلى اللَّه».

فإذا فرغ من الصلاة خرج إلى السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط بادئاً بالصفا خاتماً بالمروة، مستقبلًا للمطلوب بوجهه، ذاهباً بالطريق المعهود، ونيّته- وهو على الصفا-: «أسعى سعى العمرة لوجوبه قربة إلى اللَّه».

فإذا فرغ من السعى قصّر من ظفره أو من شعره مسمّاه ناوياً: «أُقصِّرُ لوجوبه قربةً إلى اللَّه».

وبالتقصير يتحلَّلُ من عمرة التمتّع- لا الحلق- وهو آخر أفعالها، ويبقى

ص: ۸۱

على إحلاله إلى أن يحرم بالحج.

ويُستحبّ كونه يوم الثامن من ذى الحجّة من المسجد الحرام، وأفضلُه المقام أو الحِجْرُ تحت الميزاب، ونيّته: «أُحْرِمُ بحجّ التمتّع لوجوبه قربةً إلى اللَّه» ثمّ ينوى التلبية: «أُلبّى لوجوبه قربةً إلى اللَّه» [ويقول:] «لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك، إنّ الحمد والنعمة والملك لك، لا شريك لك لبّيك».

فإذا وصل إلى عرفاتٍ وجب عليه الكونُ بها من زوال الشمس يوم التاسع إلى غروبها ناوياً- قبل الزوال أو بعده بغير فصل تقريباً-: «أقِفُ بعرفةَ لوجوبه قربةً إلى اللَّه».

فاذا غربت الشمس أفاض إلى المشعر الحرام، ووجب عليه المبيتُ به بقيّة تلك الليلة ناوياً: «أبيتُ بالمشعر لوجوبه قربةً إلى اللَّه»، فإذا أصبح وجب عليه الكونُ به إلى طلوع الشمس ناوياً بعد الفجر أو قبله- كما مرّ-: «أقِفُ بالمشعر لوجوبه قربةً إلى اللَّه». ولو اقتصر على نيّةٍ واحدةٍ حين الوصول إليه ليلًا تشتملُ على قصد الكونِ به إلى طلوع الشمس كفى.

فإذا طلعت الشمس أفاض إلى منى، ووجب عليه بها ثلاثة أفعالٍ: رمى جمرة العقبة بسبع حصيات حرميةٍ أبكارٍ، مبتدئاً به عند وصوله إلى منًى، ثمّ ذبح الهدْى، وهو ثَنيٌّ من النعم تامُّ الخلقة سمينٌ بحيث يكون على كليتيه شحمٌ ولو ظنّاً، وتفريقه ثلاثة أجزاء: فيأكل شيئاً منه، ويُهْدِى ثُلثَه لبعض إخوانه من المؤمنين، ويتصدّق بثُلْثِه على فقيرٍ من فقرائهم. ونيّة الرمى: «أرمى هذه الجمرة بسبع حصيات لوجوبه قربةً إلى اللَّه». ونيّة الذبح: «أذبَحُ هذا الهَدْىَ لوجوبه قربةً إلى اللَّه». ونيّة الأكل والإهداء والصدقة: «آكُلُ من هذا الهَدْى لوجوبه قربةً إلى اللَّه، أُهْدِى ثُلثَ هذا الهَدْى لوجوبه قربةً إلى اللَّه، أتصدّقُ بثُلْثِ هذا الهدى لوجوبه قربةً إلى اللَّه».

ص: ۸۲

فإذا فرغ من ذلك حلق رأسه أو قصّر من شعره أو ظفره- كما مرّ- ناوياً:

«أَحلِقُ رأسی- أو أُقصِّرُ- لوجوبه قربةً إلی اللَّه».

فإذا فعل ذلک أحلَّ من کلّ شیءٍ عدا النساء والطيّب والصيد، فإذا طاف للحجّ وسعی حلّ له الطيب، فإذا طاف للنساء حللن له.

ثمّ يخرج إلی مكّة من يومه إنْ أمكنه الرجوع قبل الغروب، وإلّا فمن غده أو بعد انتصاف الليل.

فإذا وصل إلی مكّة وجب عليه طواف الحجّ وصلاة ركعتيه، ثمّ السعی بين الصفا والمروة سبعاً- كما مرّ- ثمّ طواف النساء ثمّصلاةُ ركعتيه، وكيفيّاتها وواجباتها كما مرّ، إلّاأنّه ينوی طواف الحجّ وسعيه وطواف النساء، وصفته:

«أطوف طواف الحجّ لوجوبه قربةً إلی اللَّه، أصلّی ركعتی طواف الحجّ لوجوبه قربةً إلی اللَّه، أسعی سعی الحجّ لوجوبه قربةً إلی اللَّه، أطوف طواف النساء لوجوبه قربةً إلی اللَّه، أصلّی ركعتی طواف النساء لوجوبه قربةً إلی اللَّه».

فإذا فرغ من ذلك وجب عليه الرجوع إلی منًی للمبيت بها ليالی التشريق الثلاث، وهی الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة.

ويجوز لمن اتّقی الصيد والنساء الاقتصار علی مبيت الليلتين الأُوليين ما لم تغرب عليه الشمس فی الليلة الثالثة، فيجب عليه مبيتها مطلقاً ناوياً عند الغروب: «أبيتُ هذه الليلة بمنًی لوجوبه قربةً إلی اللَّه».

ويجب رمیُ الجمرات الثلاث كلّ واحدةٍ بسبع حصياتٍ فی كلّ يوم يجب مبيت ليلته. ونيّة الرمی: «أرمی هذه الجمرة بسبع حصياتٍ لوجوبه قربةً إلی اللَّه».

ولو اقتصر فی جميع هذه النيّات علی قوله: «أفعل كذا للَّه» من غير تعرّض للوجوب ولفظ القربة كفی.

ص: ۸۳

والنائب عن غيره يُضِيفُ إلى ذلك: «نيابةً عن فلانٍ» أو «عمّن استؤجرت عنه».

وحسبنا اللَّه وكفى، والحمد للَّهربّ العالمين، وصلّى اللَّه على سيّدنا محمّد وآله أجمعين.

الهوامش:

امارة الحج وبيت الموسوى

ص: ۸۴

فارس تبريزيان الحسّون

إمارة الحج وبيت الموسوى

بعد النظر والتأمّل فى أُمّهات مصادر التاريخ التى لهاصلة بتاريخ الحج، وما جرى على حجاج بيت اللَّه الحرام من أنواع العذاب والزجر، يتبيّن أنّ مسلمى القرن الرابع الهجرى كانوا أكثر مَن تحمّل القتل والنهب بسبب إقامتهم مراسم الحجّ، وعدم تعطيلهم لهذه الفريضة الإلهية، فقد عاشوا فى زمن وظروفصعبة للغاية، حيث اضطربت أحوال الدولة، وتنازعت السلطة على الحرمين الشريفين فئات مختلفة، حتى إنّ بعض الأعراب كانت مهنتهم وعملهم اعتراض قوافل الحجاج ونهبها، ومنع الناس من مواصلة المسير نحو مكة لأداء فريضة الحج، حتّى بلغ بهم الأمر إلى أسر الحجاج واسترقاقهم، وفرض الضرائب عليهم. وكانت هذه المسائل فى تزايد حتّى بلغت ذروتها فى أواسط القرن الرابع الهجرى، وتعدّت إلى القرن

ص: ۸۵

الخامس الهجرى.

هكذا كانت ظروف الحج فى هذه البرهة من الزمن بل أكثر بكثير من ذلك، وفى مثل تلك الأزمنة وأوضاعها لم يكن الإعداد للحج، ورعاية قوافله، وأداء الشعائر، ثمّ العودة إلى الوطن أمراً سهلًا، وقد كانت هذه المهام تقع على عاتق أمير الحج أو مَن ينوب عنه.

وفى مثل تلك الفترة الشديدة- التى تعدّ أشد وأصعب فترة مرّ بها الحجاج على مرّ العصور- كانت مباشرة بيت أبى أحمد الموسوى لإمارة الحج، ومن هنا تتضح جسامة المهمّة التى تقلّدها هذا البيت الشريف.

وظائف أمير الحج:

الولاية على الحج ضربان:

أحدهما: أن تكون على تسيير الحجيج.

الثانى: أن تكون على إقامة الحج.

أما الولاية على تسيير الحجيج:

فهى ولاية سياسية وزعامة وتدبير، ويشترط فى المولى والأمير على هذه المهمّة أن يكون مطاعاً، ذا رأى وشجاعة وهيبة وهداية.

وتجب على أمير الحج فى هذه الولاية عشرة أشياء:

۱- جمع الناس فى مسيرهم ونزولهم حتى لا يتفرّقوا فيخاف التوى والتغرير.

۲- ترتيبهم فى المسير والنزول بإعطاء كلّ طائفة منهم مقاداً، حتى يعرف كلّ فريق منهم مقاده إذا سار، ويألف مكانه إذا نزل، فلا يتنازعون فيه ولا يضلّون عنه.

۳- يَرفق بهم فى السير حتى لا يعجز عنه ضعيفهم، ولا يضلّ عنه منقطعهم، فقد روى عن النبيصلى الله عليه و آله أنه قال: «الضعيف أمير الرفقة»، يريدصلى الله عليه و آله: أن من ضعفت دوابه كان على القوم أن يسيروا بسيره.

۴- أن يسلك بهم أوضح

ص: ۸۶

الطرق وأخصبها، ويتجنب أجدبها وأوعرها.

۵- أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت، والمراعى إذا قلّت.

۶- أن يحرسهم إذا نزلوا، ويحوطهم إذا رحلوا، حتى لا يتخطفهم داعر، ولا يطمع فيهم متلصص.

۷- أن يمنع عنهم من يصدّهم عن المسير، ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج، بقتالٍ إن قدر عليه، أو ببذل مال إن أجاب الحجيج إليه. ولا يسعه أن يجبر أحداً على بذل الخفارة إن امتنع منها، حتى يكون باذلًا لها عفواً، ومجيباً إليها طوعاً، فإنّ بذل المال على التمكين من الحجّ لا يجب.

۸- أن يصلح بين المتشاجرين، ويتوسط بين المتنازعين، ولا يتعرض للحكم بينهم إجباراً إلّاأن يفوّض الحكم إليه، على أن يكون من أهله، فيجوز له حينئذٍ الحكم بينهم، فإنْ دخلوا بلداً فيه حاكم جاز له ولحاكم البلد أن يحكم بينهم، فأيهما حكم نفذ حكمه.

۹- أن يقوّم زائغهم ويؤدّب خائنهم، ولا يتجاوز التعزير إلى الحدّ، إلّا أن يؤذن له فيستوفيه إن كان من أهل الاجتهاد فيه.

۱۰- أن يراعى اتساع الوقت حتى يؤمن الفوات، ولا يلجئهم ضيقه إلى الحثّ فى السير، فإذا وصل إلى الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سننه.

وأما الولاية على إقامة الحج، فالوالى فيه بمنزلة الإمام فى إقامة الصلوات، فمن شروط الولاية عليه مع الشروط المعتبرة فى أئمة الصلوات: أن يكون عالماً بمناسك الحج وأحكامه، عارفاً بمواقيته وأيامه، وتكون مدّة ولايته مقدرة بسبعة أيام: أولها منصلاة الظهر فى اليوم السابع من ذى الحجة، وآخرها يوم الثالث عشر من ذى الحجة.

وعلى الذى يختص بولايته خمسة أحكام متفق عليها، وحكم سادس مختلف فيه:

ص: ۸۷

۱- إشعار الناس بوقت إحرامهم، والخروج إلى مشاعرهم، ليكونوا له متبعين، وبأفعاله مقتدين.

۲- ترتيبهم للمناسك على ما استقرّ الشرع عليه؛ لأنه متبوع فيها، فلا يقدّم مؤخراً ولا يؤخّر مقدماً، سواء كان الترتيب مستحقاً أو مستحباً.

۳- تقدير المواقف بمقامه فيها ومسيره عنها، كما تقدّرصلاة المأمومين بصلاة الإمام.

۴- اتباعه فى الأركان المشروعة فيها، والتأمين على أدعيته بها؛ ليتّبعوه فى القول كما اتّبعوه فى العمل.

۵- إمامتهم فى الصلوات.

وأما السادس المختلف فيه:

حكمه بين الحجيج فيما لا يتعلّق بالحج وإقامة التعزير والحدّ فى مثله (۱).

هذه هى شروط أمير الحاج آنذاك، وهى ذات فروع كثيرة ومتشتتة وصعبة.

وبيت أبى أحمد الموسوى- الذى كان مشهوداً له بالإقدام عليصعاب الأمور، وتحمّل المسؤوليات- تقلّد مهمّة أمير الحاج والولاية على الحج، سواء فى ذلك الولاية على تسيير الحجيج، أم الولاية على إقامة الحج، وأدّى هذا البيت المبارك هذه المهمّة أحسن أداء، وسيأتى تفصيل ذلك.

بيت أبى أحمد الموسوى:

عرف هذا البيت المبارك من بدوّ أمره بالبركة واليمن والصلاح والكرم والتديّن والإباء و ...، لأنه غصن من أغصان شجرة النبوّة، وفرع من فروع ذلك البيت الطاهر الذى أَذهب اللّه عنه الرجس. وقد عرف من هذا البيت الشريف ثلاثة أعلام:

۱- أبو أحمد الموسوى.

۲- الشريف الرضى.

۳- الشريف المرتضى.

أبو أحمد الموسوى:

الحسين بن موسى بن محمد بن

۱- ۱ الغدير ۴: ۲۴۰- ۲۴۲.

ص: ۸۸

موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام بن الإمام محمد الباقر عليه السلام بن الإمام على زين العابدين عليه السلام، بن الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام بن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

ولد سنة ۳۰۴، وتوفى سنة ۴۰۰ ه، ودفن أولًا فى داره، ثمّ نقل إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام.

كان جليل القدر، عظيم المنزلة فى دولة بنى العباس ودولة بنى بويه، ولقّب بالطاهر ذى المناقب، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه: الطاهر الأوحد.

ولّى نقابة الطالبيين خمس دفعات، ومات وهو متقلّدها، وكان السفير بين الخلفاء وبين الملوك من بنى بويه، والأمراء من بنى حمدان وغيرهم.

كان مبارك الغرة، ميمون النقيبة، مهيباً نبيلًا، ما شرع فى إصلاح أمر فاسد إلّاوصلح على يديه، وانتظم بحسن سفارته وبركة همّته، وحسن تدبيره ووساطته.

واجه الشريف أبو أحمد الموسوى ظروفاًصعبة وعسيرة، وذلك من قبل أعداء مذهب أهل‌البيت عليهم السلام، لأنهم كانوا يموتون غيضاً عندما ينظرون إلى أحد علماء الشيعة يتقلّد منصباً ما، حتى أنهم لفّقوا عليه الاتهامات، وزوّروا عليه كتاباً نسبوه إليه فى إفشاء الأسرار، مما أدّى إلى عزله عن النقابة وإمارة الحج. ثم قبض عليه، وقد نصّ أكثر المؤرخين بأنه كان مظلوماً. ولمّا ولّاه بهاء الدولة قضاء القضاة، هذا المنصب المهمّ اشتدّ غيظ الأعداء، وسعوا بكلّ قدراتهم حتى تمكّنوا من تغيير هذا المنصب عنه (۱).

الشريف الرضى:

محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، أبو الحسن الرضى الموسوى.

نقيب العلويين ببغداد، أخو

۱- ۱ شرح نهج البلاغد لابن أبى الحديد ۱: ۳۱- ۳۲، المنتظم ۷: ۲۴۷، البداية والنهاية ۱۱: ۲۹۵، الكامل فى التاريخ ۹: ۱۰۵، أعيان الشيعة ۶: ۱۸۳.

ص: ۸۹

المرتضى، كان فاضلًا عالماً ورعاً، عظيم الشأن رفيع المنزلة.

ولد سنة ۳۵۹ ه، وتوفى سنة ۴۰۶ ه فى السادس من المحرم، وشهد جنازته الوزير فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة، ورثاه أخوه الشريف المرتضى وغيره بأبيات.

وكان شاعراً مبرزاً، حتى قيل:

إنه أشعر قريش، نظم الشعر وهو ابن عشر سنين.

تعلّم فى نشأته العلوم العربية وعلوم البلاغة والأدب، والفقه والكلام والتفسير والحديث على مشاهير العلماء ببغداد، كالشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، وأبى الفتح عثمان بن جنى.

كان أوحد علماء عصره، أديباً بارعاً متميّزاً، وفقيهاً متبحّراً، ومتكلّماً حاذقاً، ومفسّراً لكتاب اللّه وحديث رسوله.

قال بعض العلماء: لولا الرضى لكان المرتضى أشعر الناس، ولولا المرتضى لكان الرضى أعلم الناس (۱).

ولم يمنع الشريف الرضى انتظامه فى سلك العلماء والفقهاء وأعاظم الأدباء من تولّى أعلى المناصب، بل كان يرى أنه أحقّ بالخلافة من غيره، وذلك من باب النيابة العامة التى جعلت فى زمن الغيبة الكبرى للعلماء العدول الصائنين لدينهم، المخالفين لهواهم، المطيعين لأمر مولاهم.

فتقلّد الشريف الرضى نقابة الطالبيين مراراً، وكانت إليه إمارة الحج والمظالم، كان يتولى ذلك نيابة عن أبيه، وبعد وفاة أبيه مستقلًا. وحجّ بالناس مرّات، وله فيها مواقف عظيمة سجّلها التاريخ وأبقى له ذكرى خالدة، وقصائده الحجازيات من أشهر شعره (۲).

قال حسن محمود: وقد تولى الرضى هذه الإمارة منذ صباه، وفى أكثر أيام حياته وزيراً لأبيه ونائباً عنه ومستقلًا بها، وقد عانى الكثير، وكانت دافعاً له لتغذية طموحه نحو المجد والعلى؛ لأن تلك الإمارة مهما كانت محدودة هى مثال مصغّر لتلك المرتبة

۱- ۱ رجال النجاشى: ۳۹۸، خلاصة الأقوال: ۱۶۴، الكامل فى التاريخ ۹: ۲۶۱- ۲۶۲، مرآة الجنان ۳: ۱۸، العبر ۳: ۹۵، شرح نهج البلاغة، الجزء الأول، مقدّمة المؤلف، روضات الجنات ۶: ۱۷۹- ۱۸۰، أعيان الشيعة ۹: ۲۱۶، سفينة البحار ۳: ۳۷۲.

۲- ۲ أعيان الشيعة ۹: ۲۲۰، روضات الجنات ۶: ۱۷۹ و ۱۸۱، الغدير ۴: ۲۴۲.

ص: ۹۰

الّتى يتوق إليها منذصغره، ويرى أنه الأجدر بها.

وكانت إمارة الحج متشعّبة، فهى إما إمارة على تسيير الحجيج أو على إقامة الحجّ، والإمارة التى تولّاها أبو أحمد وولده الرضى كانت تجمع بين الأمرين؛ لأنهما كانا إذا تخلّفا عن الركب أنابا عنهما من يحج بالناس.

وتسيير الحجيج ولاية سياسة، تقتضى تدبيراً لأمر القافلة قبل الرحلة وتأمين السبل لها، ويشترط فى أميرها أن يكون مطاعاً شجاعاًصاحب رأى وهيبة وهداية، يقيم حدود اللَّه، ويقضى بين الناس، ويدبّر لهم ما يحتاجون اليه وكذلك فإنّ الولاية على إقامة الحج تقتضى منصاحبها فقهاً فى الدين، وبصراً بشعائر الحج، وأن يكون قدوةصالحة (۱).

ومرّ الشريف الرضى- رضوان اللَّه عليه- بظروفصعبة جدّاً، وهى على قسمين:

الأول: زمن اعتقال والده حيث لفّقوا عليه التهم وهو برىءٌ منها، وقد سبق ذكره.

الثانى: اتهامه بالميل إلى ولاة الدولة الفاطمية بمصر، بعد أن اشتهرت قصيدة مطلعها:

ما مُقامى على الهوانِ وعندى مِقولٌصارِمٌ وأنفٌ حَمىُ إلى آخر الأبيات التى فيها إظهار أمنيته بالالتحاق بمصر، وأنّ بقاءه فى بغداد فيه ذلّ وضيم وهوان، ونسبت هذه القصيدة إلى الشريف الرضى، فعقد القادر باللَّه مجلساً، أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوى، وابنه أبا القاسم المرتضى، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضى، وقال للنقيب أبى أحمد:

قل لولدك محمد: أىُّ هوان قد أقام عليه عندنا؟ أىّ ضيم لقى من جهتنا؟

وأىّ ذل أصابه فى مملكتنا؟ وما الذى يعمل معهصاحب مصر لو مضى إليه، أكان يصنع إليه أكثر منصنيعنا؟ أَلم نولّه النقابة؟ أَلم نولّه الحجيج؟ فهل كان

۱- ۱ الشريف الرضى دراسة فى عصره وأدبه: ۱۴۴- ۱۴۵.

ص: ۹۱

يحصل له منصاحب مصر أكثر من هذا؟ ما نظنه يكون لو حصل عنده إلّا واحداً من أبناء الطالبيين بمصر.

فاعتذر والد الشريف الرضى بأنه لم يسمع هذه الأبيات منه، بل نسبها له الأعداء، فعندها أمر القادر باللَّه بترتيب محضر يتضمّن القدح فى أنساب ولاة مصر، وأمضى فيه الكثير، وامتنع الرضى من إمضائه، واعتذر بخوفه من غيلة دعاة المصريين (١).

هذه هى أصل الواقعة، وهى كانت الأشعار للشريف الرضى، أم نسبت إليه لتكون مقدمة لترتيب المحضر الذى يتضمّن القدح فى أنساب ولاة مصر؟ وهل وقّع فى المحضر الشريف الرضى بعد الامتناع، أم استمرّ امتناعه من التوقيع حتى النهاية؟

أسئلة تحتاج إلى مزيد من البحث ليس هذا محلّها.

الشريف المرتضى:

على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، أبو القاسم المرتضى ذو المجدين علم الهُدى.

حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد فى زمانه، متوحّد فى علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم فى علوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه، والأدب من النحو والشعر واللغة وغير ذلك، وسمع من الحديث فأكثر، عظيم المنزلة فى العلم والدين والدنيا،صنّف كتباً كثيرة فى شتّى العلوم، وبكتبه استفادت الإمامية منذ زمنه إلى زماننا هذا.

قال الشيخ أبو العباس النجاشى: مات رضى الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ۴۳۶ ه، وصلّى عليه ابنه فى داره ودفن فيها، وتولّيتُ غسله ومعى الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفرى وسلّار بن عبد العزيز، وكان مولده فى شهر رجب سنة ۳۵۵ ه.

قرأ على الشيخ المفيد محمد بن

۱- ۱ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۱: ۳۷- ۳۸.

ص: ٩٢

محمد بن النعمان وغيره من علماء الفريقين، وكان يدرّس فى علوم كثيرة ويجرى على تلامذته رزقاً، فكان للشيخ الطوسى أيام قراءته عليه كلّ شهر ١٢ ديناراً، وللقاضى ابن البراج كلّ شهر ٨ دنانير.

تولّى نقابة النقباء وإمارة الحج والمظالم بعد أخيه الرضى أبى الحسن، وهو منصب والديهما، وكان هو وأخوه الرضى ينوبان والديهما فى حياته فى سنين كثيرة لإمارة الحج.

إمارة بيت أبى أحمد الموسوى للحج حسب تسلسل السنين:

فى هذا الفصل من البحث نذكر ما سطره المؤرّخون فى كتبهم من إمارة بيت أبى أحمد الموسوى حسب تسلسل السنين، وهذا لا يعنى أن ما ذكره المؤرخون هو جميع ما كان من إمارتهم للحج، فإنّ الشواهد التاريخية تدلّ على أنّ إمارتهم كانت أكثر من هذا الذى ذكر بكثير، لكنه سقط من أقلام المؤرخين.

سنة ٣٥٤ ه:

وفيها رابع جمادى الآخرة تقلّد الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى والد الرضى والمرتضى نقابة العلويين، وإمارة الحاجّ، وكُتب له منشور من ديوان الخليفة (١).

سنة ٣٥٨ ه:

فيها حجّ بالناس من العراق أبو أحمد الموسوى (٢).

سنة ٣٥٩ ه:

فيها حجّ بالناس من بغداد أبو أحمد النقيب (٣).

سنة ٣٦٠ ه:

فيها حجّ بالناس من بغداد النقيب الشريف أبو أحمد الموسوى (۴).

وفى المنتظم ٧: ٢٤٧: ولى النقابة فى سنة ٣٥۴، ثمّصرفه أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازى وزير عزّ الدولة سنة ستين.

١- ١ الكامل فى التاريخ ٨: ۵۶۵- ۵۶۶، المنتظم ٧: ٢۴.

٢- ٢ النجوم الزاهرة ۴: ٢۶، تاريخ الإسلام: ۴٣ حوادث سنة ٣۵١- ٣٨٠.

٣- ٣ تاريخ الإسلام: ۴۶ حوادث سنة ٣۵١- ٣٨٠.

۴- ۴ النجوم الزاهرة ۴: ۵٨.

ص: ۹۳

سنة ۳۷۶ ه:

فيها أعيد أبو أحمد إلى النقابة لما مات عضدالدولة فيصفر سنة ۷۶ ه (۱).

ومن مستلزمات إعادته إلى النقابة إعادته إلى إمارة الحج.

سنة ۳۸۰ ه:

فى ربيع الأول قُلّد الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوى نقابة الأشراف الطالبيين، والنظر فى المظالم، وإمرة الحاج، وكتب عهده بذلك، واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم والرضى أبو الحسين على النقابة وخُلع عليهما من دار الخلافة.

وحجّ بالناس أبو عبد اللّه أحمد بن محمد بن عبد اللّه العلوى نيابة عن النقيب أبى أحمد الموسوى (۲).

سنة ۳۸۹ ه:

فيها حجّ بالناس محمد بن محمد بن عمر من العراق، وكان فى الحج الشريفان الرضى والمرتضى، فاعترض ركب الحاج أبو الجراح الطائى، فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما حتى أطلق الحاج (۳).

وهذا هو أحد المواقف المهمّة للشريفين، حيث بذلا من أموالهما الخاصّة لنجاة الحاج، ولهما- رضوان اللّه عليهما- مواقف كثيرة مهمة فى غير الحج لأجل الدفاع عن الحق والعقيدة وإقامة الشعائر.

سنة ۳۹۴ ه:

فيها قلّد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبيين، وكتب له من شيراز العهد، ولقبه الطاهر الأوحد «ذو المناقب» (۴).

أقول: تقليده قضاء القضاة لم يتمّ، لمخالفة البعض له.

سنة ۳۹۶ ه:

فيها قلّد الشريف الرضى نقابة الطالبيين بالعراق، ولقب بالرضى ذى الحسبين، ولقب أخوه المرتضى ذا المجدين، فعل ذلك بهاء الدولة (۵).

والظاهر اتّحاد هذا التقليد مع

۱- ۱ المنتظم ۷: ۲۴۷.

۲- ۲ الكامل فى التاريخ ۹: ۷۷- ۷۸، النجوم الزاهرة ۴: ۱۵۷، البداية والنهاية ۱۱: ۳۰۸.

۳- ۳ إتحاف الورى بأخبار القرى حوادث سنة ۳۸۹، النجوم الزاهرة ۴: ۲۰۰.

۴- ۴ تاريخ الإسلام: ۲۲۹ حوادث سنة ۳۸۱- ۴۰۰، المنتظم ۷: ۲۲۶- ۲۲۷.

۵- ۵ الكامل فى التاريخ ۹: ۱۸۹، البداية والنهاية ۱۱: ۳۳۵.

ص: ۹۴

التقلید فی السنة الآتیة (۳۹۷ ه)، والاختلاف فی سنة وقوعه، فلاحظ.

سنة ۳۹۷ ه:

فی یوم الاثنین لأربع خلون من جمادی الأولی ورد کتاب من بهاء الدولة بتقلید الشریف أبی الحسن محمد بن أبی أحمد الحسین بن موسی العلوی النقابة والحج وتلقیبه بالرضی ذی الحسبین، ولقب أخوه أبو القاسم بالشریف المرتضی ذی المجدین (۱).

سنة ۴۰۳ ه:

فیها قلّد الشریف الرضی الموسوی نقابة الطالبیین فی سائر الممالک (۲).

ویحتمل تقلیده إمارة الحج أیضاً مع النقابة.

سنة ۴۰۶ ه:

فی یوم السبت، الثالث من شهرصفر، قلّد الشریف المرتضی أبو القاسم الحج والمظالم ونقابة نقباء الطالبیین وجمیع ما کان یتولاه أخوه الرضی، وجمع الناس لقراءة العهد فی الدار الملکیة، وحضر فخر الملک والأشراف والقضاة والفقهاء قراءة العهد، وکان فی العهد:

هذا ما عاهد عبداللَّه أبو العباس أحمد الإمام القادر باللَّه أمیر المؤمنین إلی علی بن موسی العلوی، حیث قربته الأنساب الزکیة، وقدمته لدیه الأسباب القویة، واستظلّ معه بأغصان الدوحة الکریمة، واختصّ عنده بوسائل الحرمة الوکیدة، فقلّد الحج والنقابة، وأمره بتقوی اللَّه، وذکر کلاماً فیه طول من إیصاله بالخیر واللطف فیما استرعی (۳).

المراجع:

۱- إتحاف الوری بأخبار القری، أبو القاسم بن فهد الهاشمی.

۲- أعیان الشیعة، السید محسن الأمین، دار التعارف، بیروت، ۱۴۰۶ ه.

۳- البدایة والنهایة، إسماعیل بن عمر بن کثیر، مطبعة السعادة، مصر.

۴- تاریخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی، دار الکتاب العربی، بیروت.

۱- ۱ تاریخ الإسلام: ۲۳۶ حوادث سنة ۳۸۱- ۴۰۰، المنتظم ۷: ۲۳۴.

۲- ۲ تاریخ‌الإسلام: ۱۵ حوادث سنة ۴۰۱- ۴۲۰، البدایة والنهایة ۱۱: ۳۴۷، الکامل فی التاریخ ۹: ۲۴۲.

۳- ۳ المنتظم ۷: ۲۷۶، الکامل فی التاریخ ۹: ۲۶۳، البدایة والنهایة ۱۲: ۲، النجوم الزاهرة ۴: ۲۳۹، تاریخ الإسلام: ۲۳ حوادث سنة ۴۰۱- ۴۲۰.

ص: ۹۵

۵- خلاصة الأقوال فی معرفة الرجال، العلامة الحلی الحسن بن یوسف؛ المطبعة الحیدریة، النجف، ۱۳۸۱ ه.

۶- رجال النجاشی، الشیخ أحمد بن علی النجاشی، مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسین، قم.

۷- روضات الجنات، المیرزا محمد باقر الموسوی الخوانساری، الدار الإسلامیة، بیروت.

۸- سفینة البحار، المحدّث الشیخ عباس القمی، دار الأسوة للطباعة والنشر، ۱۴۱۴ ه.

۹- شرح نهج البلاغة، لابن أبی الحدید المعتزلی، دار إحیاء الکتب العربیة.

۱۰- الشریف الرضی دراسة فی عصره وأدبه، حسن محمود أبو علیوی، مؤسسةالوفاء، بیروت، ۱۴۰۶ ه.

۱۱- العبر فی خبر من غبر، الحافظ الذهبی، دائرة المطبوعات والنشر، الکویت.

۱۲- الغدیر فی الکتاب والسنة والأدب، العلامة الشیخ عبد الحسین الأمینی، مؤسسة الأعلمی، بیروت، ۱۴۱۴ ه.

۱۳- الکامل فی التاریخ، علی بن أبی أکرم محمد المعروف بابن الأثیر، دارصادر، بیروت.

۱۴- مرآة الجنان، عبد اللّه بن أسعد الیافعی، مؤسسة الأعلمی، بیروت.

۱۵- المنتظم، عبد الرحمن بن علی بن الجوزی، مطبعة دائرة المعارف العثمانیة، حیدر آباد.

۱۶- النجوم الزاهرة، یوسف بن تغری بردی الأتابکی، وزارة الثقافة والإرشاد القومی، مصر.

الهوامش:

الحجُّ والسلامُ العالمی

ص: ۹۶

ص: ۹۷

عبد الكريم آل نجف

الحجُّ والسلامُ العالمی

يمثل الحـج محوراً مهماً من محاور النهـج السـلمی للإسـلام، بل يمكن عـدّه المحور الأساس منها. وتأتی هـذه الأهمية المتميزة له من جهتين:

الأولى: أن الحـجّ بشـعائره، ومناسـكه، وأذكاره، يمثل جزءاً مهماً من النظام التربوی والروحی فی الإسـلام. وهـذا النظام يمثل المرحلة الثانية فی النهج السـلمی للإسـلام. ومن المعلوم أن هذا النظام يحظی بأهمية خاصة فی مختلف جوانب الحياة الإسـلامية؛ لأنّه هو الذی يمنح الإسلام الفاعلية، والتأثير، والايجابية العملية لمناهجه فی هذه الحياة. فأهمية الحج للنهج السلمی فی الإسلام جزء من أهمية النظام التربوی والروحی للحياة الإسـلامية ككل، وقـد وردت فی تأكيـده أخبار كثيرة، حتّی عـدّ أحـد أركان الإسـلام الخمسـة، وحكم على تاركه أن يموت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً (۱).

۱- ۱ المحجة البيضاء، الفيض الكاشانی ۲: ۱۴۵.

ص: ۹۸

الثانیة: أن المغزی السلمی أساس العدید من شعائر الحج ومناسکه، بحیث قد لا نری قضیة إنسانیة یخدمها الحج أکثر من قضیة السلم، ولا نری فریضة إسلامیة أخری تخدم قضیة السلم أکثر من الحج. وعندما یتّضح ذلک، سیکون بإمکاننا أن نقرّر باطمئنان أن الحج فی بعده السیاسی فریضة ذات مفهوم سلمی شدید الترکیز. وهو مفهوم یتکون من عدة أبعاد مهمة فی الحج، هی:

أولًا: البعد الزمانی:

فالحج فریضة مؤقتة بزمان خاص، وفی شهر خاص، هو شهر ذی الحجة، وهو أحد الأشهر الحرم، ویتوسط شهرین آخرین منها هما ذو القعدة ومحرم، والرابع منها هو شهر رجب، وهی الأشهر التی حرّمت الدیانةُ الإبراهیمیة القتالَ فیها، وأمضی الإسلامُ حرمتها.

إن تحریم القتال فی هذه الأشهر علی المسلمین، وإلزامهم قبل غیرهم به، یمثل محاولة رائعة لتجفیف دواعی الحرب، وتنشیط أسباب السلام فی المجتمع الإنسانی، لفترة زمنیة تساوی ثلث السنة، یقضیها المجتمع الإسلامی فی عملیة تربویة إیجابیة، هدفها السلام من خلال جانبین: الأول سلبی: وهو التخلی عن دواعی الحرب. وذلک بتحریمها فی هذه الأشهر، والثانی إیجابی: وهو التحلی بروح السلم، واحترام الأمن، وحق الحیاة للآخرین، وذلک عبر الأبعاد السلمیة الأخری فی الحج. الذی تهیمن أجواؤه النفسیة الایجابیة علی المجتمع الإسلامی کلّه مدة انشغاله بالحج، منذ الأیام الأولی لسفر الحجاج إلی الدیار المقدسة، وحتی أیام عودتهم إلی أوطانهم.

إن مبدأ الأشهر الحرم یجسد نزعة سلمیة عمیقة لا تجعل الإسلام یکتفی من مجتمعه بأن یکون مسالماً ومحافظاً علی الأمن فحسب، بل لابد له من أن

ص: ۹۹

یکون قدوة وداعیة فی هذا المجال، انسجاماً مع القاعدة التوحیدیة الکبری التی یقوم علیها هذا المجتمع، والتی تجعله رکیزة السلم فی المجتمع الإنسانی کلّه، فحیث ینحصر التوحید الحقیقی بالمجتمع الإسلامیّ یکون هذا المجتمع قاعدة السلم فی المجتمع الإنسانی.
من هنا فإنّ مبدأ الأشهر الحرم یمثل دعوة إلی إقامة نظام أمنی عالمی. فإنّ التمسک بهذا المبدأ من طرف واحد، مهما کان شدیداً، لا یحقّق الهدف المطلوب، فلابد من إقامة التزام دولی متبادل بهذا المبدأ. وهکذا فإن الإسلام أوقف مجتمعه علی أرقی درجة یمکن أن یلتزمها لصالح السلم، فیما علق درجة التحریم المطلق للحرب فی الأشهر الحرم علی ظهور نظام أمنی عالمی تتبادل فیه الأطراف الدولیة المختلفة الاحترام لمبدأ الأشهر الحرم. ولذلک أجاز للمسلمین القتال فی هذه الأشهر إذا کانوا فی حالة دفاعیة، أو کان خصمهم ممن لا یری لهذه الأشهر حرمة. وهما شرطان ینسجمان تماماً مع ذلک المبدأ، لأنهما یتفقان معه علی محاربة العدوان، وتضییق فرصه. فلیس من مفهوم السلم- بل مما یخالف السلم- أن یُمنع المظلوم من استرداد حقه، أو یقال لأحد طرفی النزاع: کُفَّ عن القتال فی هذه الأشهر، واسمح لعدوک أن یقضی علیک فیها. فإنها بهذه الصورة ستکون أشهر العدوان، لا أشهر الحرم.
وهکذا فإنّ مبدأ الأشهر الحرم هو مبدأ المسلمین الدائم حتّی یثبت عدم إیمان العدو به، لذلک «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص» فکما لا حرمة لدم القاتل ظلماً وعدواناً لهدره حرمة دم المقتول، کذلک لا یمکن التزام حرمة شهر لا یری العدو حرمة له. ولذلک «فمن اعتدی علیکم فاعتدوا علیه بمثل ما اعتدی علیکم» دون أن تتجاوزوا حدَّ القصاص العادل، أو تشتط بکم نزعة الانتقام إلی حدود الظلم «واتقوا اللَّه» فإنّ الشرَّ لا یعالج بالشر «واعلموا

ص: ۱۰۰

أنّ اللَّه مع المتقین» (۱)

. وتأکدوا من سلامهٔ مواقفکم، وخلوها من الشرِّ والعدوان.

ویبقی الإسلام یوالی تأکیداته علی المسلمین لکی یبقوا قاعدهٔ للأمن والسلم فی الأرض. قال تعالی:

«یا أیها الذین آمنوا لا تحلوا شعائر اللَّه ولا الشهر الحرام» (۲).

لأنّ مبدأ الأشهر الحرم نابع من قیمومهٔ هذا الدین علی الناس، وهمینته علی شؤونهم، وصلاحیته لقیادهٔ حیاتهم (۳). قال تعالی:

«إنّ عدّهٔ الشهور عند اللَّه اثنا عشر شهراً فی کتاب اللَّه یوم خلق السماوات والأرض منها أربعهٔ حرم ذلک الدین القیم فلا تظلموا فیهن أنفسکم» (۴).

وبما أن هذا المبدأ لا تکمن أهمیته فی نفسه فقط، کقانون دولی. وإنّما مرتبط بفریضهٔ الحج التی تمنحه الفاعلیهٔ والقدرهٔ علی التأثیر من خلال المحتوی الروحی والعرفانی لهذه الفریضهٔ. لذلک فقد شنّ القرآن الکریم جملهٔ شعواء علی المشرکین لتصرفهم فی الحکم الشرعی من خلال النسیء، الذی کانوا یقومون به، إذ کانوا یستبیحون حرمهٔ أحد الأشهر الحرم، ویعوضون عن ذلک بإسباغ الحرمهٔ علی شهر آخر یختارونه، فلا یقاتلون فیه. قال تعالی: «إنما النسیء زیادهٔ فی الکفر یُضَلُّ به الذین کفروا یُحلّونه عاماً ویحرمونه عاماً ...» (۵).

وما أحری العالم فی هذا الیوم أن یتمثل خطی الإسلام، ویجعل مبدأ الأشهر الحرم قاعدهٔ من قواعد الحیاهٔ الدولیهٔ فیه، لکی ینعم بالسلم فی ثلث حیاته، ویوفر علی نفسه الإمکانات الجیدهٔ لمعالجهٔ قضایا السلم فی الثلثین الآخرین منها.

ثانیاً: البعد المکانی:

وترتبط فریضهٔ الحج کذلک بمکان خاص یتّصف بالحرمهٔ والقداسهٔ، وهو

۱- ۱ البقرهٔ: ۱۹۴.

۲- ۲ المائدهٔ: ۱۲.

۳- ۳ المیزان فی تفسیر القرآن ۹: ۲۶۸.

۴- ۴ التوبهٔ: ۳۶.

۵- ۵ التوبهٔ: ۳۷.

ص: ۱۰۱

الحرم المکی الذی جعلته السماء منطقةً آمنةً منزوعة السلاح، ومعزولةً عن الحروب. قال تعالی:

«وإذ جعلنا البیت مثابةً للناس وأمناً» (۱)

فهو قطعة أمن وأمان، لا أنه مکان یتصف بالأمن والأمان فحسب. وهذا من أبلغ التعبیر وأدقه. قال تعالی:

«فیه آیات بینات مقام إبراهیم ومَن دخله کان آمناً» (۲).

وقد انعکست علیهصفة الأمن نتیجة لعلاقته بالتوحید، وکونه عاصمته ومرکزه فی الأرض. وإذا کان البعد الزمانی محدّداً من جهة الزمان، ومطلقاً من جهة المکان، فإنّ البعد المکانی بعکسه محدّد من جهة المکان، ومطلق من جهة الزمان. فحرمة الحرم المکی خاصة بأرض معینة، ولکنها لیست خاصة بزمان معین. ویلتقی البعدان عند حلول الأشهر الحرم فی الحرم المکی لتتأکد حرمة القتال، وتتعزّز الحاجة إلی السلم، وتأتی فریضة الحج لتزیدهما حرمة وتأکید السلم، ولیبلغ الشعور السلمی فی المجتمع المسلم ذروته وأوجه. ویفترق البعدان بعد ذلک فی الباقی من أشهر السنة، حیث یجوز القتال فی کلّ أرض. وفی الباقی من الکرة الأرضیة حیث یجوز القتال فی کلّ وقت.

وللعلة نفسها التی ذکرت سابقاً فی البعد الزمانی، نجد أنّ الإسلام لم یجعل حرمة القتال فی الحرم المکی بصورة مطلقة، فاستثنی القتال الدفاعی. وهذا الاستثناء یجسّد الکمال فی نظریة السلم والأمن فی الإسلام، لأنّ التحریم المطلق للقتال فی الحرم المکی، یعنی فسح المجال لظهور فرص واسعة من العدوان والظلم.

وهذا ما یتنافی مع مبدأ الحرم المکی.

قال تعالی: «ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتّی یقاتلوکم فیه» (۳).

وهذا یعنی أنّ مبدأ الحرم المکی یمثل دعوة إسلامیّة لقیام نظام عالمی، تتبادل فیه الأطراف الدولیة الاحترام لمبدأ الحرم المکی من جهة، ولقیام مجتمع

۱- ۱ البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ آل عمران: ۹۷.

۳- ۳ البقرة: ۱۹۱.

ص: ۱۰۲

إسلامیّ یقوم بدور القدوة الحسنة فی هذا المجال من جهة ثانیة.

وقد کان لهذه الدعوة أثر بالغ فی الحیاة الاجتماعیة للمسلمین. فقد کان المرء یری قاتل أبیه، أو أخیه فی الحرم المکی فلا یتّخذ ضدّه إجراءً، مع شدة التزام العرب تقالید الثأر. وهذا ما یمکن عدّه دلیلًا علی إمکان أن یلعب مبدأ الحرم المکی دوراً مماثلًا علیصعید الأمن والسلم فی العالم.

ولتأکید الأهمیة الأمنیة لمکّة المکرّمة، عدّ القرآن الکریم کلّ لون من ألوان الظلم فی مکة إلحاداً، وعدّ أیضاً الهمّ بذلک الظلم بمثابة القیام به من حیث استحقاق العقوبة علیه، بینما لم یأخذ بهذه الدرجة من الشدّة فی البقاع الأخری من العالم. وذلک ما یحمل دلائل واضحة علی ضرورة عدم الاکتفاء بمرحلة سلم الجوارح، بل لابدّ من أن یکون المسلم فی مرکز التوحید، وقد وصلت عنده المشاعر السلمیة والأمنیّة درجة من النضج بحیث تستولی علی قلبه أیضاً، وتمنعه من أن یخطر علیه الهمّ بالظلم والرغبة فیه.

فإذا کان المسلم فی باقی الأرض هو مَن سلم الناس من یده ولسانه، فإنّ المسلم حینما یکون فی مکّة المکرّمة یطلب منه أن یسلم الناس من یده ولسانه وقلبه، وأن یبلغ مرحلة سلم الجوارح والجوانح؛ لأنّ النزوع نحو السلم یجب أن یتناسب مع درجة التوحید التی یصل إلیها المؤمن. ولما کان المطلوب من المسلم أن یکون فی مکة قد وصل إلی ذروة ما یمکنه الوصول إلیه من التوحید، فلابدّ من أن یکون نزوعه السلمی قد بلغ أوجه أیضاً. وهذه هی المعادلة التی جعلت الحرم المکی یمتاز علی باقی بقاع الأرض بهذه الأبعاد السلمیة المرکزة.

قال تعالی: «ومَن یرد فیه بظلم بإلحاد نذقه من عذاب ألیم» (۱)

قال ابن مسعود: ما من بلد یؤاخذ العبد فیه بالهمة قبل العمل إلّامکّة.

وتلا هذه الآیة ... ونسب إلی الإمام الصادق علیه السلام فی تفسیر هذه الآیة قوله:

۱- ۱ الحج: ۲۵.

ص: ۱۰۳

«كلّ ظلم إلحاد، وضرب الخادم فى غير ذنب من ذلك الإلحاد» (۱).

وقال عليه السلام: «كلّ ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكّة من سرقة أو ظلم أحد أو شىء من الظلم، فإنّى أراه إلحاداً، ولذلك كان يتّقى الفقهاء أن يسكنوا مكّة» (۲) وقد سار العرب قبل الإسلام على تقديس مكّة واحترامها، ومنع وقوع القتال فيها، وكان شاعرهم يقول:

إنّ الفضول تعاقدوا وتعاهدوا أن لا يقرّ ببطن مكة ظالم ولم يكن لبيوت المكيين مصاريع بفضل الأمن الذى كان تنعم به مكة، والتزام المكيين واجب الضيافة تجاه الوافدين عليهم من الأقطار الأخرى.

إنّ عناية الإسلام بمنطقة معيّنة من العالم، وتحريمها عسكرياً، وعزلها عن السلاح، ثمّ ربط الحج كفريضة ذات مضمون سلمى بها، حيث تفد عليها سنوياً جموع هائلة من الحجيج، ومن ورائهم قلوب المسلمين كافة، تتطلع إلى هذه المنطقة روحياً وترتبط بها معنوياً فى أيام الحج. تعكس مستوى الرقى فى هذا الدين، ومدى اهتمامه بالسلم والطبيعة العملية لما يتّخذه من اجراءات فى هذه المضمار.

فإذا كانت الأرض كلّها مفتوحةً أمام الحروب والنزاعات التى تمزق المجتمع الإنسانى، فلماذا لا تعزل من الكرة الأرضية منطقة تعدّ منزوعة السلاح، يحرم فيها القتال والعدوان؟ وإذا كانت أيام السنة كلّها يمكن القتال فيها، فلماذا لا نعزل منها أربعة أشهر حرم تكون فرصة أمام الطرفين للتثبت من براءتهم فيما يتّخذونه من مواقف قتالية؟ ثم يلتقى الزمان الحرام بالمكان الحرام فى فريضة الحج التى تزيدهما حرمة، وتجعل الشعور السلمى يصل ذروته، وتحوّل مكة إلى مركز لبث الروح السلمية فى العالم، وخلع النزعة العدوانية عنه.

وما أحوج البشرية فى هذا الزمان- وفى كلّ زمان- إلى بقعة من الأرض تتخذها مركزاً لحلّ

۱- ۱ المحجة البيضاء ۲: ۱۵۵.

۲- ۲ المصدر نفسه ۲: ۱۵۶.

ص: ۱۰۴

الصراعات الدولیة المختلفة.

وإذا کان الغرب قد اتّخذ من جنیف مرکزاً لعقد المؤتمرات الخاصة بالسلم والأمن، وفضّ النزاعات الدولیة واتّخاذ القرارات والمواقف اللازمة لدعم الأمن العالمی، فإنّ الإسلام قد سبق الغرب فی هذا المجال. بل إنّ إبراهیم الخلیل علیه السلام- الذی رفع القواعد من البیت، وطلب من اللَّه- سبحانه وتعالی- أن یجعل مکة بلداً آمناً قبل أربعة آلاف سنة- یعدّ المؤسس الأوّل لهذه الفکرة. قال تعالی:

«وإذ قال إبراهیم ربّ اجعل هذا البلد آمناً واجنبنی وبنی أن نعبد الأصنام» (۱).

علی أنّ اختیار الإسلام لمکة أرجح بکثیر من اختیار الغرب لجنیف، فإنّ القانون وحده لم یکن- یوماً- کافیاً لحلّ مشکلة من المشاکل الإنسانیّة، فکیف إذا کانت هذه المشکلة هی مشکلة الأمن العالمی، التی لیست هناک مشکلة أعقد منها فی دنیا السیاسة؟ فلا مناص، إذن، من وجود قاعدة روحیة أخلاقیة تملأ الحیاة الإنسانیّة بإشعاعاتها الإیجابیة لأیحلّ قانونی یفترض، لتعمل بشکل إیجابی یخدم قضیة السلم العالمی، إمّا فی عمق وجدان أهل الحلّ والعقد من أطراف الصراع، وإمّا فی وجدان الجماهیر التابعة لهم؛ لتکون قوّة سیاسیة ضاغطة علیهم بهذا الاتجاه. ولیس هناک من یضمن وجود هذه القاعدة الروحیة الأخلاقیة غیر الإسلام، کما أنه لیس فی دنیا الإسلام مدینة یمکنها أن تستثیر المشاعر الروحیة والأخلاقیة، وتجعلها فوّارة متدفّقة ومؤثرة، کمکّة، مرکز التوحید، وموطن الکعبة، التی خلقها اللَّه- سبحانه وتعالی- أوّلًا ثمّ مدّ الأرض من حولها، والتی کان آدم قد أتی إلیها ألف مرّة علی قدمیه، والتی اختارها اللَّه من الأرض، فهی خیرته من أرضه، ویقوم الدین ما قامت، والتی حجت الملائکة إلیها قبل آدم بألفی عام، کما فی الأخبار عن أهل البیت علیهم السلام (۲).

۱- ۱ إبراهیم: ۳۵.

۲- ۲ المحجة البیضاء ۲: ۱۵۲- ۱۵۳.

ص: ۱۰۵

هـذا من جهـة. ومن جهـة ثانیـة فإنّ فریضـة الحج ترتبط بمكة دون سواها، وهذا ما یمنحها درجة إضافیة من التقدیس والإحترام الذی یكنه لها ملیار مسلم- أی خمس البشریة المعاصرة- ولا توجد مدینة أخری فی الأرض یمكنها أن تستنفر هذا القدر الكبیر من المشاعر الإنسانیّة الصادقـة، وتجـذب حولها قلوب هذا العدد من الناس. أضف الی ذلک أن مكة تقع فی منطقة كانت منطلقاً للتأریخ الإنسانی برمته، ومحطة لأعقدصراعات العالم، وهی منطقة الشرق الأوسط.

وكلّ ذلک من شأنه أن یجعل مكّة مركزاً مهمّاً فی الحیاة الدولیة.

قال تعالی:

«جعل اللَّه الكعبة البیت الحرام قیاماً للناس والشهر الحرام ...» (۱).

فبالكعبـة والشـهر الحرام- أی بالبعـد الزمانی والبعـد المكانی من الحـج- قوام الحیاة الإنسانیّة وسـندها؛ لأنّهما یعطیان الإنسان التوحیدَ حتّی یستقیم عقله، والأمن حتّی یهنأ عیشه.

ثالثاً: البعد التوحیدی العرفانی:

إنّ البعـد التوحیـدی والعرفانی هو البعـد الأرسـخ فی الحـج. إذ لیس الحـج فی الجانب الأوضـح منه إلّاكتلة متماسـكة من الممارسات والشـعائر، التی تكرس عقیدة التوحید فی شخصـیة المسـلم؛ فالطواف، والسـعی، ورمی الجمار، وغیر ذلک من واجبات الحج وشعائره. كلٌّ ذات مفهوم توحیدی خالص، الغرض منها تركیز الحسّ التوحیدی عند الإنسان المسلم.

وقـد عرفنا فیما سـبق أن التوحیـد عقیـدة ذات مضـمون سـلمی؛ لأنهـا تزرع السـلم حقیقـة فی داخل الإنسان، وتشـیعه نهجاً فی حیاته الاجتماعیة، لذلک كان السلام اسماً من أسماء اللَّه، واسماً من أسماء الجنّة، وشعاراً للمؤمنین فی دار الدنیا

۱- ۱ المائدة: ۹۷.

ص: ۱۰۶

ودار الآخرة. کما أنّه الشعار الـذی یهتف به المسلم من أعماقه فی کلّ یوم خمس مرّات فی خاتمةصلواته الخمس، حیث یسلم أولًا علی النبیّ قائلًا: السلام علیک أیها النبیُّ ورحمة اللَّه وبرکاته، لیؤکّد بقاءه مؤمناً بهذا النبیّ، ولن یکون محارباً له، ویسلّم ثانیاً علی نفسه، وعلی المؤمنین، فیقول: السّلام علینا وعلی عباد اللَّه الصالحین. فالسلام الاجتماعی یبدأ من السلام الداخلی للإنسان. ثمّ یؤکد السلام العام مرّة ثالثة فیقول: السلام علیکم ورحمة اللَّه وبرکاته.

ولقد کان الحج فریضة بدأ تشریعها منذ النبوة الإبراهیمیة التی وظفت بشکل خاص لإرساء قواعد التوحید وترسیخها فی الأرض، ولم تنشغل بقضیة أخری کانشغالها بهذه القضیة. والأدیان التوحیدیة الثلاثة الیهودیة والنصرانیة والإسلام إنّما تنهل من انجازات تلک النبوّة المبارکة التی کان لها الفضل المشهود علی کلّ موحّد.

وإذا کانت تلک النبوّة قد ربطت بین التوحید والحج من جهة، فإنّها ربطت من جهة أخری بین التوحید والأمن. فقدنقل القرآنالکریم علی لسان إبراهیم علیه السلام دعاءه إلی اللَّه- سبحانه- قائلًا: «وإذ قال إبراهیم ربّ اجعل هذا البلد آمناً واجنبنی وبنی أن نعبد الأصنام» (۱).

وهکذا فإنّ الحرم المکی یمثل الرمز المشترک لکلّ من التوحید والأمن.

وفی إحدی الروایات نجد تفسیراً رائعاً للعلاقة بین إحدی الشعائر التوحیدیة فی الحج والأمن. قال الإمام الصادق علیه السلام: «ما من بقعة أحبّ إلی اللَّه- عزّوجل- من السعی؛ لأنّه یذلّ فیه کلّ جبار عنید» وقال علیه السلام: «جعل السعی بین الصفا والمروة مذلّة للجبارین» (۲).

فإنّ هذه الشعیرة التی تکرس العبودیة المطلقة للَّه- سبحانه وتعالی- والخضوع له. تلغی ذلک المحور (الطغیان والتجبر) أیضاً؛ لأنّ السعی مذلة للطغاة

۱- ۱ إبراهیم: ۳۵.

۲- ۲ وسائل الشیعة ۹: ۵۵.

ص: ۱۰۷

والجبابرة، ووسیلة لمعالجة الطغیان عند الحکام، ذلک المرض الذی یهدد الأمن والسلام فی المجتمع، ویسلمه إلی العنف والدمار.

رابعاً: البعد العبادی الأول:

ویتمثل بمجموعة من محرّمات الإحرام وهی:

۱- الجدال.

۲- الفسوق. بما یشمل أسباب المفاخرة والکذب، وهو أخطر من الجدال.

۳- إزالة الشعر.

۴- قلمُ الأظفار کلًا أو بعضاً.

۵- قلع الضرس ولو لم یدمِ.

۶- قلع الشجر والحشیش النابتین فی الحرم، وقطعهما.

۷- قتل هوام الجسد (القمل والبرغوث ونحوهما) وکذا هوام جسد الحیوانات.

۸-صید البر اصطیاداً وأکلًا ... والطیور حتّی الجراد بحکم الصید البری.

۹- لبس السلاح إلّالضرورة (۱).

ویمثل المحرّم الأوّل والثانی وسیلة وقائیة وظیفتها الحیلولة دون حصول البغضاء والشحناء فی مجتمع الحجیج، الذی یراد منه أن یکون قدوة فی المحبة والوئام، ولمنع ظهور أی سبب أو مقدمة یمکن أن تؤدی إلی الإخلال بالأمن الاجتماعی.

والمحرّم الثالث والرابع والخامس: کلّ منها یمثل وسیلة تربویة تمنع الإنسان من الإضرار بما تشبه الکائن الحی. فإنّ الشعر والأظفار والأضراس أجزاء میّتة من الإنسان، لکنها تشبه الکائن الحیّ من جهة النمو، ولأجل هذا الشبه بالحیاة،

۱- ۱ تحریر الوسیلة، الإمام الخمینی ۲: ۴۰۳.

ص: ۱۰۸

والاقتراب من إحدیصورها المقدّسة کان لابدّ للحاج من أن یحترز من التعرض لها.

المحرّم السادس: یمثل البدء بتحریم التعرّض للحیاة، فالنبات بصورة عامة یمثل الصورة الأولی للحیاة. فالتعرّض لهذه الصورة لا یتناسب مع المفهوم السلمی للحج ولمبدأ حرمة الحرم المکی.

المحرّم السابع: یعنی تحریم التعرّض لحیاة أکثر ظهوراً من حیاة النبات وهو حیاة هوام الجسد. فالحاج ینبغی له احترام هذه الحیاة وإن کانت تعدّصوراً بدائیة من الحیاة. بل وإن کان الحاج یعدّهاصوراً من الحیاة مضرّة بالإنسان.

فالحاج علیه أن یحافظ علی تقدیسه لها تمسکاً بمبدأ تقدیس أصل الحیاة. ولیس من شک أنه سیتلقی من وراء هذا التمسک دروساً أخلاقیة رائعة تعلّمه کیف ینبغی له أن یتعایش مع الکائن الحی الذی یلتقی معه بمصلحة معیّنة، بل مع الکائن الحی الذی لا أهمیة لحیاته وهو مضرّ به. وکیف ینبغی علیه أن لا ـ یفکر فی التخلص منه. بل یفکر فی وسائل التعایش معه لیعکس ذلک علی حیاته الاجتماعیة، التی تمتلئ بصور کثیرة من العلاقات، التی تتّسم بالتنافر وعدم الانسجام، والتی یسرع الإنسان فیها عادة إلی التفکیر فی وسائل للتخلص من الطرف المقابل له.

فالمحرّم السادس یعلمه أن هذا سلوک خاطئ، وأنّ السلوک الصحیح هو عدم الردّ بالمثل والتمسک بالصفح والصبر والتجمّل بدلًا عن ذلک، فإذا کان الحاج لا یملک الحقّ فی أن یلحق الضرر بحیاة هوام الجسد فالأولی أن لا یلحق الضرر بحیاة أخیه الإنسان. وإذا کان إیذاء هوام الجسد بالإنسان لا یبرّر الإضرار بها، فالأولی أن لا یبرّر الاختلاف بین بنی الإنسان المیل نحو الإضرار المتقابل فیما بینهم.

ویمثل المحرّم الثامن تحریماً لصور أخری من الحیاة أکثر ظهوراً واحتراماً

ص: ۱۰۹

من الصور السابقـة. ویبقی المحرّم التاسع الواضـح فی مغزاه المباشـر. فإنّ فی لبس السـلاح تهدیـداً لأمن الحرم، وذلک مخالف لمبدأ الأشهر الحرم، ومبدأ الحرم المکی، والمضمون السلمی لفریضة الحج.

ومن الملاحظ أنّ محرّمات الإحرام تشـتمل علی تحریم الوسائل المباشـرة، وغیر المباشـرة المؤدیـة إلی زعزعة الأمن. ولا تشـتمل علی تحریم الاعتـداء نفسه علی حیاة الإنسان. فکیف دخلت مقـدّمات الاعتداء حتّی البعیدة منها فی دائرة المحرّمات؟ بل کیف حولت هذه المحرّمات قسماً من مقدّمات السلام البعیدة إلی واجبات هامّة، بینما لم تُدخل فی عِدادها المقدّمة الکبری لزعزعة الأمن وهی الاعتداء نفسه؟

والواقع أن تحریم مقدّمات الشـیء ناشـئ من التشدّد فی تحریم الشـیء نفسه وهو نوع تأکیدٍ. وربّما کان عدم اشـتمال المحرّمات علی تحریم الاعتـداء نفسه إشارة إلی کفایـة تحریم المقـدمات فی الدلالـة علی تحریم أصل الاعتداء، بل إشارة إلی عدم الحاجة إلی ذکر تحریم أصل الاعتداء، فإنّ تحریم المقدّمات من شأنه أن یمنع ظهور حالات الاعتداء. وإلّا فإنّ الشـریعة الإسلامیة لا یوجد مَن هو أکثر منها یؤکّد حرمةَ الاعتداء علی حیاة الإنسان، خصوصاً حینما یکون هذا الاعتداء فی أشهر الحرم، أو فی الحرم المکی. فقد ذکر الفقهاء أن القتل فی الزمان والمکان المـذکورین موجب لتغلیظ الدیة فتکون دیة وثلث الدیة. بل لو رمی وهو فی الحلّ بسـهم ونحوه إلی من هو فی الحرم فقتله فیه، لزمه التغلیظ أیضاً (۱).

خامساً: البعد العبادی الثانی:

ویتمثل بلباس الإحرام، الـذی یرتـدیه الحاج، بعـد أن یخلع ثیابه العادیة ضـمن عملیة واضـحة الأهداف والدلالات. فالحجّ وظیفة ذات أبعاد عالمیة

۱- ۱ المصدر نفسه: ۵۵۸.

ص: ۱۱۰

تتكامل مع مشروع عالمية الإسلام الذى يستوعب العقيدة والشريعة الإسلامية. ويتّخذ من الحج مرتكزاً فعالًا، ووسيلة مهمة من وسائله التطبيقية؛ لأنّه ممارسة روحية يقدم عليها المسلم بكلّ قلبه ومشاعره، وبطوع اختياره، تبدأ بتقطيع كلّ أشكال العلاقات العنصرية، التى تربطه مع الأهل والعشيرة والوطن، وتنتهى بالتلبس بعلاقات توحيدية عالمية خالصة. فأوّل عمل يقوم به الحاج: هو توديع الأهل والأقارب والعشيرة والوطن، متّجهاً إلى حياة تخيم عليها الروح العالمية الخالصة، فلا أبناء ولا وطنَ ولا لغةَ قومية ولا زىَّ قومياً فى الحج. وإنما علاقات إنسانيّة هى علاقة التوحيد، ووطن عالمى سواء فيه العاكف والباد، وهو مكة. ولغة عالمية هى اللغة العربية. وزىٌّ عالمى هو الإحرام، الذى تتساوى فيه الطبقات الاجتماعية المختلفة، وتُمحى عنده الفوارق العنصرية، ومحور موحّد تطوف حوله وفود الحجيج وهو الكعبة، التى يرمز الطواف حولها إلى بلوغ المؤمن نهاية القرب من اللَّه- سبحانه وتعالى- الذى تتقطع عنده أسباب الدنيا، وعلاقات الأرض العنصرية، وتتكامل على انقاضها العلاقات الروحية.

يقول هاملتون جب [إنّ شعيرة الحجِّ تُعدّ عاملًا قوياً فى تطبيق مبدأ توحيد العالم، فهى رمز للأخاء الذى يربط المسلمين بعضهم ببعض، دون تفرقة لونية أو عنصرية] (۱).

ويتحدّث الدكتور حسين مؤنس عن العناصر التى ربطت العالم الإسلامى مع بعضه البعض، وجمعت بينها فى العصور الإسلامية الأولى. ويذكر الطلابَ والعلماء والتجّار والملّاحين، ويذكر الحجاجَ من ضمنهم، وهم الذين يسمون بأهل الرحلة، الذين عمقوا مفهوم الوحدة لدى الناس فيقول:

[فأمّا الحجاج فقد كانت قوافلهم تشقّ أرجاء ذلك العالم الإسلامى فى مسيرة دائمة لا تتوقف، ولا تبالى بالعقبات الطبيعية من جبال وصحارى وبحار،

۱- ۱ الإسلام والعالم المعاصر، أنور الجندى:ص ۲۶۱.

ص: ۱۱۱

ولا تتراخى بسبب أخطار الحروب والقلاقل والفتن، فقد كان حجاج بيت اللَّه الحرام من الأندلس والمغرب والسودان والصين والملايو يخرجون فى رحلة الحج قبل موعده بعام أو أكثر أو أقل، ومعنى هذا: أنه فى كلّ وقت تقريباً كانت هناك قوافل حجاج تقصد بيت اللَّه الحرام، أو تعود منه، ألوفاً بعد ألوف من الناس، يخرجون من أطراف الأرض الأربعة، ووجهتهم بيت اللَّه الأكرم، وهم فى مرورهم بالمدن والواحات يذّكرون الناس بوحدة الدين، التى تجمع بعضهم إلى بعض. والكثيرون منهم كانوا يستقرّون بعد الحج أينما شاءُوا من بلاد الإسلام، فكأن قوافل الحج كانت أسلحة محاريث قوية تشقّ الأرض الإسلاميّة، وتقلب تربتها، وتأذن لشمس العقيدة فى أن تتخللها فى عمق، وتبعث فيها الحياة. وهذا، ولا شك، كان فى تقدير الخالق- سبحانه- حينما فرض على أمّة الإسلام الحجَّ إلى بيته الحرام ...] (۱).

وليس من شك أن الدور العالمى الذى يلعبه الحجُّ فى المجتمع الإسلامى دورٌ سلمى وقائى، يحمى المجتمع من أخطار التمزّق العنصرى، التى لم يكن فى التأريخ ما هو أشدّ منها خطراً على قضية السلم والأمن فى العالم. فالحجّ من هذه الجهة نوع من التربية الروحية، والفكرية المركّزة والعميقة فى الاتجاه العالمى للإسلام ...

۱- ۱ عالم الإسلام، د. حسين مؤنس:ص ۲۹۱.

ص: ۱۱۲

الهوامش:

الاعتداء على حرمة البيت وامنه

ص: ۱۱۳

الاعتداء على حرمة البيت وأمنه

محمدرضا باقرصادق

مقدمة:

وإذا كانت الكعبة قد تعرّضت لأذًى من بعض الديانات المخالفة، فإنها قد تعرّضت لفظائع ممن يدّعون الإسلام مثل يزيد وأمثال يزيد. ومرجع تهديم الكعبة وتقويضها، والاعتداء على حرمتها، يعود إلى التعصّب الجاهلى، والانحلال من قيود الدين والشريعة، وإلى الانحلال الخلقى كالتجاهر بالفسق والفجور والميوعة والفساد المتمثل فى مجموعة لا تعرف من الحياة إلّا الاستهتار والخلاعة والمجون.

ومنذ عهد الإسلام حتّى يومنا هذا إجتاحت الكعبة كوارث إلحادية عارمة منبعثة عن الأهواء والمطامع الشخصية، قُوّضت الكعبة على أثرها، وانهارت وتهدّمت وانتهكت حرمتها، وفيما يلى نورد بعض هذه الأحداث.

محنة البيت أيام يزيد:

۱- جاء فى كتاب الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتّى اليوم لمؤلفه «أحمد عبد الغفور عطار» ما نصّه:

ص: ۱۱۴

«وفی سنهٔ ۶۳ و ۶۴ من الهجرهٔ تعرّضت المـدینتان المقدّسـتان، والحرمان الشـریفان، وبیت اللَّه، وحرم رسوله لکارثـهٔ غایهٔ فی البشاعهٔ والنکر، فقـد أرسل یزیـد بن معاویهٔ جیشاً من أهل الشام إلی المدینهٔ مهاجر رسول اللَّهصلی الله علیه و آله وأمر یزید قائد جنده مسلم بن عقبهٔ المرّی أن یذیق أهل المدینهٔ، وأهل مکهٔ کلّ ضـروب الشرِّ الذی لا شـرَّ مثله. ولم یکتفِ یزید بقتل سیدنا الحسین وآل بیت محمدصلی الله علیه و آله حتّی ثنّی ببلد رسول اللَّه فأباحها لجند الشام ثلاثهٔ أیام یفعلون من المنکر ما لا یجوز فعله ببلاد الکفر، وقتل جندُ الشام من الصحابهٔ والتابعین وأولادهم وأطفالهم ونساءهم آلافاً مؤلّفهٔ، وبلغ من کفر المرّی قائد جند یزید أن سمّی المدینهٔ «نتنهٔ» نکایهً بمن سماها «طیبهٔ» وما سمّاها طیبهٔ غیر نبی الهدی، وأجبر أهل المدینهٔ بالسیف علی أن یبایعوا علی أنهم عبید لیزید، فإن لم یبایعوا قتلهم، ورسول اللَّهصلی الله علیه و آله یقول: من أخاف المدینهٔ أخافه اللَّه.

ویقول- علیه الصلاهٔ والسلام-: من أراد أهلَ المدینهٔ بسوء أذابه اللَّه کما یذوب الملح فی الماء.

ولمّا انتهی المری من الشر الذیصبّه علی المدینهٔ وأهلها اتّجه مع جیش الشام إلی مکهٔ، وفی الطریق هلک المری اللعین فتولّی القیادهٔ الحصین بن نمیر وکلّهم مثل بعضٍ فی الکفر والفسوق» (۱).

۲- ومما جاء فی کتاب «تاریخ الخلفاء» للحافظ جلال الدین السیوطی المتوفی سنهٔ ۹۱۱ هجریهٔ فی الحدیث عن یزید، وما فعل بالکعبهٔ ما نصّه:

«وفی سنهٔ ثلاث وستین، بلغه أنّ أهل المدینهٔ خرجو علیه وخلعوه، فأرسل إلیهم جیشاً کثیفاً، وأمرهم بقتالهم، ثم المسیر إلی مکهٔ لقتال ابن الزبیر فجاءوا، وکانت وقعهٔ الحرّهٔ علی باب طیبهٔ، وما أدراک ما وقعهٔ الحرّهٔ؟ ذکرها الحسن مرّهً فقال: واللَّه ما کاد ینجو منهم أحد، قُتل فیها خلقٌ کثیر من الصحابهٔ

۱- ۱ الکعبهٔ والکسوهٔ منذ أربعهٔ آلاف سنهٔ حتّی الیوم، أحمد عبد الغفور عطار، مطابع مکهٔ المکرمهٔ ۱۳۹۷ ه الطبعهٔ الأولی:ص ۱۱۰.

ص: ۱۱۵

– رضـى اللَّه عنهم– ومن غيرهم، ونهبت المدينهٔ، وافتضَّ فيها ألف عذراء، فإنّا للّه وإنا إليه راجعون! قالصلى الله عليه و آله: من أخاف أهل المدينهٔ أخافه اللّه، وعليه لعنهُ اللّه والملائكهٔ والناس أجمعين. رواه مسلم.

وكان سبب خلع أهل المدينهٔ له أنّ يزيد أسـرف فى المعاصـى. وأخرج الواقدى من طرقٍ: أنّ عبد اللّه بن حنظلهٔ بن الغسيل قال: واللّه ما خرجنا على يزيد حتى خِفنا أن يُرمى بالحجارهٔ من السـماء! إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشـرب الخمر ويدع الصلاهٔ» (۱).

هـذا هو يزيـد الـذى يسـميه البعض أمير المؤمنين ...! وهـذه هى أعمـاله قتـلٌ وانتهاك لأعراض الناس، وفسق وفجور واسـتهتار بالقيم، وخمرٌ وفساد. وأما قتله للحسين فتلك مصيبهٔ أبكت حتّى الحجر والسماء ... فمما جاء فى المصدر نفسه ما نصّه:

«ولمّا قتل الحسـين مكثت الدنيا سـبعهٔ أيام والشـمس على الحيطان كالملاحف المعصفرهٔ، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكسـفت الشـمس ذلك اليوم، واحمرّت آفاق السـماء سـتهٔ أشـهر بعـد قتله، ثم لا زالت الحمرهٔ تُرى فيها بعد ذلك ولم تكن تُرى فيها قبله» (۲).

فهل بعـد هـذا يبقى شك لـذى عينين من فسوق يزيد وفجوره وكفره؟ وقد أضاف السـيوطى إلى حديثه ما هو أعجب وأغرب وأنكى للقلب فقال:

«وقيل إنه لم يُقلب حجر بيتِ المقدس يومئذٍ إلّاوجد تحته دمٌ عبيطٌ، وصار الوَرْسُ الذى فى عسكرهم رماداً، ونحروا ناقهً فى عسكرهم فكـانوا يرون فى لحمهـا مثـل النيران، وطبخوهـا فصـارت مثـل العلقم، وتكلم رجلٌ فى الحسـين بكلمـهٔ فرماه اللّه بكوكبين من السـماء فطمس بصره» (۳).

«وأخرج الترمذى عن سلمى قال: دخلت على أمّ سلمهٔ– وهى تبكى–

۱– ۱ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطى المتوفى سنهٔ ۹۱۱ ه:ص ۱۶۶– ۱۶۷.

۲– ۲ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطى المتوفى سنهٔ ۹۱۱ ه:ص ۱۶۵.

۳– ۳ تاريخ الخلفاء للسيوطى: ۱۶۵.

ص: ۱۱۶

فقلتُ: ما یبکیک؟ قالت: رأیت رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فی المنام وعلی رأسه ولحیته التراب، فقلت: ما لکَ یا رسول اللَّه؟ قال: شهدت قتل الحسین آنفاً.

وأخرج البیهقی فی الدلائل عن ابن عباس قال: رأیت رسول اللَّهصلی الله علیه و آله بنصف النهار أشعث أغبر، وبیده قارورة فیها دم، فقلت: بأبی وأمی یا رسول اللَّه ما هذا؟ قال: دم الحسین وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ الیوم، فأُحصی ذلک الیوم فوجدوه قُتل یومئذٍ» (۱).

أفسد أمر الناس اثنان:

قال الحسن البصری: «أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص یوم أشار علی معاویة برفع المصاحف فحُملت، ونال من القراء، فحکم الخوارج، فلا یزال هذا التحکیم إلی یوم القیامة.

والمغیرة بن شعبة، فإنه کان عامل معاویة علی الکوفة فکتب إلیه معاویة:

إذا قرأت کتابی، فأقبل معزولًا، فأبطأ عنه، فلما ورد علیه قال: ما أبطأ بک؟ قال:

أمرٌ کنت أوطّؤه وأهیؤه. قال: وما هو؟ قال: البیعة لیزید من بعدک! قال: أوَ قد فعلت؟ قال: نعم. قال: ارجع إلی عملک. فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءک؟

قال: وضعتُ رجلَ معاویة فی غرز غیٍّ لا یزال فیه إلی یوم القیامة. قال الحسن:

فمن أجل ذلک بایع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلک لکانت شوری إلی یوم القیامة» (۲).

والحقّ أقول: إنَّ مَنْ یأتی إلی دفَّةِ الحکم بهذا الشکل مثل یزید الفاسق الفاجر ...صاحب الطرب واللهو والفجور، وصاحب الکلاب والقرود والفهود والمنادمة علی الشراب لا یهمُّه أن یرمی الکعبة بالمجانیق وقد فعل ....

۳- أما ابن الأثیر فی کتابه الکامل فی التاریخ، فقال:

۱- ۱ تاریخ الخلفاء للسیوطی: ۱۶۶.

۲- ۲ تاریخ الخلفاء للسیوطی: ۱۶۴.

ص: ۱۱۷

وكان مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلماً بن عُقبة المُرىّ أن قال له: «إن وصلت المدينة، وظهرت عليها، فأنهبها ثلاثاً فكل ما فيها من مالٍ أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند» (۱).

وبالفعل فقد «أباح مسلم المدينة ثلاثاً، يقتلون الناس، ويأخذون المتاع والأموال، فأفزع ذلک مَنْ بها من الصحابة» (۲).

«ودعا مسلمٌ الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خَوَلٌ له «أى خدم وعبيد» يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء» (۳).

«وكانت وقعة الحرّة لليلتين بقيتا من ذى الحجّة سنة ثلاث وستين» (۴).

وحين أدرک الموت مسلماً هذا، كانت آخر وصاياه: «اللّهمّ إنّى لم أعمل قطّ بعد شهادة أن لا إله إلّااللّه وأن محمداً عبده ورسوله عملًا أحبّ إلىَّ من قتلى أهل المدينة، ولا أرجى عندى فى الآخرة» (۵)

أما ما كان لشأن مكة فقد «رموا البيت بالمجانيق وحرّقوه بالنار» (۶).

۴- ومما جاء عند المؤرخ الكبير المسعودى فى مروج الذهب ما يلى:

«وكان يزيدصاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود، ومنادمة على الشراب ... وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق. وفى أيّامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة، واستعملت الملاهى، وأظهر الناس شرب الشراب. وكان له قرد يكنّى بأبى قيس يُحضره مجلس منادمته، ويطرح له متكأ وكان قرداً خبيثاً» (۷).

ولما بلغ يزيد خبر خلع أهل المدينة طاعتهم له «سيّر إليهم بالجيوش من أهل الشام، عليهم مسلم بن عقبة المرّىّ الذى أخاف المدينة ونهبها، وقتل أهلها، وبايعه أهلها على أنهم عبيدٌ ليزيد. وسماها نتنة، وقد سماها رسول اللّهصلى الله عليه و آله طيبة، وقال من أخاف المدينة أخافه اللّه» (۸).

۱- ۱ الكامل فى التاريخ، ابن الأثير المتوفى سنة ۶۳۰ ه: ۴۵۶ حوادث سنة ۶۳ ه.

۲- ۲ الكامل فى التاريخ: ۴۵۹ حوادث سنة ۶۳ ه.

۳- ۳ الكامل فى التاريخ: ۴۶۰ حوادث سنة ۶۳ ه.

۴- ۴ الكامل فى التاريخ: ۴۶۱ حوادث سنة ۶۳ ه.

۵- ۵ الكامل فى التاريخ: ۴۶۳ حوادث سنة ۶۳ ه.

۶- ۶ الكامل فى التاريخ: ۴۶۴ حوادث سنة ۶۳ ه.

۷- ۷ مروج الذهب، على بن الحسين بن على المسعودى، المتوفى سنة ۳۴۶؛ ۳: ۶۷.

۸- ۸ مروج الذهب، المسعودى ۳: ۶۹.

ص: ۱۱۸

أما تجاوزه على الكعبـة وحرمتها، فانه أمر مسـلم بن عقبة المرى- إن أدركته المنيهٔ- أن ينصِّب بعده الحصـين؛ ليضـرب الكعبهٔ. وكان ابن الزبير قد التجأ إليها. وقد نصبَ الحصـين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على المسـجد من الجبال ... فتواردت أحجار المجـانيق والعرادات على البيت، ورمى مع الأحجـار بالنـار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحروقات، وانهـدمت الكعبـهٔ ...» (۱).

«وليزيـد وغيره أخبـار عجيبـهٔ، ومثـالب كثيرهٔ، من شـرب الخمر، وقتل ابن بنت الرسول، ولعن الوصـى، وهـدم البيت واحراقه، وسـفك الدماء، والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه ...» (۲).

هدم الكعبهٔ على يد الحجاج وعبد الملك بن مروان:

الحجاج بن يوسف الثقفى وسبب ولوعه بسفك الدماء:

ذكر المسعودى فى مروج الذهب حكايهٔ عن الحجاج قال:

«كانت أم الحجاج عنـد الحارث بن كلدهٔ، فدخل عليها فى السـحر، فوجدها تتخلل، فبعث إليها بطلاقها، فقالت: لِمَ بعثت إلىَّ بطلاقى؟ ألشـىء رابك منى؟ قال: نعم ... دخلتُ عليك عند السـحر وأنت تتخللين، فإنْ كنتِ بادرتِ الغداء فأنت شرههٔ، وإن كنتِ بُتِّ والطعام بين أسـنانك فأنتِ قذرهٔ، فقالت: كلّ ذلك لم يكن، لكنى تخللتُ من شـظايا السواك. فتزوجها بعده يوسف بن أبى عقيل الثقفى أبو الحجـاج، فولـدت له الحجـاج بن يوسف مشَوَّهـاً لا دبرَ له، فثقب عن دبره، وأبى أنْ يقبل ثـدى أمِّهِ أو غيرها، فأعياهم أمره، فيقال: إنّ الشـيطان تصوَّر لهم فيصورهٔ الحارث بن كلـدهٔ فقال: ما خبركم؟ فقالوا: ابنٌ ولد ليوسف من الفارعهٔ- وكان اسـمها- وقد أبى أن يقبل ثدى أمّه أو غيرها. فقال: اذبحوا جدياً

۱- ۱ مروج الذهب، المسعودى ۳: ۷۱.

۲- ۲ مروج الذهب، المسعودى ۳: ۷۲.

ص: ۱۱۹

أسود وأولغوه دمه، فإذا كان فی الیوم الثانی فافعلوا به کذلک، فإذا کان فی الیوم الثالث فاذبحوا له تیساً أسود وأولغوه دمه، ثم اذبحوا له أسود، فأولغوا دمه، واطلوا به وجهه فإنّه یقبل الشدی فی الیوم الرابع. قال: ففعلوا به ذلک، فکانَ بعدُ لا یصبر عن سفک الدماء لما کان منه فی یَدِءِ أمره، هذا وکان الحجاج یُخبر عن نفسه أنّ أکثر لذّاته سفک الدماء، وارتکاب أمور لا یقدمُ علیها غیره، ولا سبقَ إلیها سواه» (۱).

أمیر المؤمنین عبد الملک بن مروان فی سطور:

۱- «بویع بعهدٍ من أبیه فی خلافهٔ ابن الزبیر فلم تصحّ خلافته» (۲).

۲- «قتل ابن الزبیر سنهٔ ثلاث وسبعین ... وفی هذا العام هدم الحجاج الکعبهٔ» (۳).

۳- «دسّ علی ابن عمر مَنْ طعنه بحربهٍ مسمومهٔ فمرض منها ومات» (۴).

۴- «وفی سنهٔ أربع وسبعین سار الحجاج إلی المدینهٔ، وأخذ یتعنَّت علی أهلها، ویستخفُّ ببقایا مَنْ فیها منصحابهٔ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله، وختم فی أعناقهم وأیدیهم یُذلّهم بذلک ... فإنّا للَّهوإنّا إلیه راجعون» (۵)

۵- «کان عبد الملک أبخر الفم» (۶) وکان یُلقب بأبی الذّبان، فمما قیل: إنَّ الذباب إذا مرّ علی رأس عبد الملک سقط میّتاً، بسبب شدّهٔ رائحهٔ فمه الکریههٔ.

۶- «کان عبد الملک بن مروان کثیراً ما یجلس إلی أمّ الدرداء، فقالت له مرّهٔ: بلغنی یا أمیر المؤمنین أنک شربت الطلاء بعد النسکِ والعبادهٔ، قال: إیْ واللَّه، والدماء قد شربتها» (۷).

۷- «قال ابن أبی عائشهٔ: أفضی الأمر إلی عبد الملک والمصحفُ فی حجره، فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بک» (۸) وفی روایهٔ أخری قال: هذا فراقُ بینی وبینک.

۱- ۱ مروج الذهب، المسعودی ۳: ۱۲۵.

۲- ۲ تاریخ الخلفاء، جلال الدین السیوطی: ۱۷۱.

۳- ۳ المصدر نفسه.

۴- ۴ المصدر نفسه.

۵- ۵ المصدر نفسه.

۶- ۶ تاریخ الخلفاء، جلال الدین السیوطی: ۱۷۲.

۷- ۷ المصدر نفسه.

۸- ۸ تاریخ الخلفاء، جلال الدین السیوطی: ۱۷۴.

ص: ۱۲۰

۸- «قال العسكری: وأولُ خلیفهٔ بخل عبد الملک وکان یسمی «رَشَحَ الحجارهٔ» لبخله ویکنّی «أبا الذبان» لبخره» (۱).

۹- «أول من نهی عن الأمر بالمعروف» (۲).

۱۰- خطب علی الناس یوماً فتهدّد وأزبد وأرعد، وفی نهایهٔ خطبته قال:

«واللَّه، لا یأمرنی أحد بتقوی اللَّه بعد مقامی هذا إلّاضربتُ عنقه، ثمّ نزل» (۳).

۱۱- لما حضر عبد الملک الموتُ دخل علیه ابنه الولید وهو یبکی فقال عبد الملک: ما هذا أتحنُّ حنین الأَمهٔ؟ إذا أنا متّ فشمِّر، وائتزر، والبس جلد النمر، وضع سیفک علی عاتقک، فمن أبدی ذات نفسه لک فاضرب عنقه، ومن سکت مات بدائه (۴).

هذا هو عبد الملک بن مروان ... قلیل من کثیر ... وهذا هو الحجاج سیئهٔ من سیئاته و «لو لم یکن من مساوئ عبد الملک إلّاالحجاج- وتولیته إیاه علی المسلمین وعلی الصحابهٔ- رضی اللَّه عنهم- یهینهم ویذلهم قتلًا وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابهٔ وأکابر التابعین ما لا یُحصی، فضلًا عن غیرهم، وختم فی عنق أنسٍ وغیره من الصحابهٔ ختماً یزید بذلک ذلَّهم- فلا رحمهٔ اللَّه ولا عفا عنه» (۵) فلو لم یکن من مساوئه إلّاهذا لکفاه.

هدم عبد الملک والحجاج للکعبهٔ:

بعد هذا التمهید الوجیز عن حیاهٔ عبد الملک والحجاج، التی یمکن أن تکون مبرراً لهما فی ضرب الکعبهٔ، وهدمها کما یقول علماء النفس.

وقد تحدّث ابن الأثیر فی کتابه الکامل فی التاریخ فی حوادث سنهٔ ثلاث وسبعین، وابن کثیر فی البدایهٔ والنهایهٔ، والطبری فی تاریخ الأمم والملوک، والفاکهی فی کتابه المنتقی فی أخبار أمّ القری، والعلامهٔ الحبر الشیخ عبد الحسین

۱- ۱ المصدر نفسه.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ تاریخ الخلفاء، السیوطی: ۱۷۵.

۴- ۴ تاریخ الخلفاء، السیوطی: ۱۷۶.

۵- ۵ المصدر نفسه.

ص: ۱۲۱

الأمينى فى كتابه شـهداء الفضـيلة. كلٌّ هؤلاء تحدّثوا عن تهديم الكعبة، والاعتداء على حرمتها بيد الطاغية الحجاج وسيده عبد الملك بن مروان ومفاد ذلك:

أنّ عبد الملك بن مروان بعث الحجاج بن يوسف الثقفى للقبض على عبد اللّه بن الزبير، سـنة ۷۳ هجرية، فالتقى الفريقان فى الطائف، فاقتتلوا هناك قتالًا شديـداً، بعـدها هرب ابن الزبير إلى مكـة، وتحصّن فيها، فقصده الحجاج، وحاصـره فيها فضـيّق على أهلها، ونصـب المنجنيق فى أعالى جبل أبى قبيس حتى يُجبر ابن الزبير، ومَنْ فى طاعته، على التسـليم والـدخول فى طاعـة أميره عبد الملك، وبعد أن أبى ابنُ الزبير التسـليمَ وقـد تحصن بـالبيت الحرام، جعـل الحجاج ومرتزقته يرمون الكعبـة، والبيت الحرام بالمنجنيق، فقتلوا خلقاً كثيراً، وحبس عنهم الطعام والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم، وصارت الحجارة تقع فى الكعبة فتهدَّم البيت بقذائف الحجاج ....

حتى سـقط ابن الزبير إلى الأرض، فأسرعوا إليه فقتلوه وجاءوا برأسه إلى الحجاج. بعدهاصُلب ابن الزبير بعد قتله منكّساً، وأرسل رأسه لعبد الملك بن مروان فطيفَ به فى البلدان (۱).

الوليد بن يزيد بن عبد الملك والبيت الحرام:

إنه ... «الخليفـةُ الفـاسق .. كـان فاسـقاً، شـريباً للخمر، منتهكـاً حرمـات اللّه، أراد الحـج ليشـرب فوق ظهر الكعبـة، فمقته النـاس لفسـقه وخرجوا عليه، فقتل فى جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة هجرية» (۲).

القرامطة والبيت المفجوع:

فى سنة ۳۱۷ ه سيّر المقتدر باللّه العباسى رَكْبَ الحاج مع منصور الديلمى

۱- ۱ الكامل فى التاريـخ، ابن الأثير ۴: ۱۲۱- ۱۲۶ حوادث سنة ۷۳ ه- البداية والنهاية، ابن كثير ۸: ۳۲۹- المنتفى فى أخبار أم القرى، محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهى المتوفى ۲۷۲،ص ۱۷۰- شهداء الفضيلة، العلامة الحبر الشيخ عبد الحسينى الأمينى:ص ۱۹۳.

۲- ۲ تاريخ الخلفاء للسيوطى: ۲۰۱.

ص: ۱۲۲

فوصلوا مكة سالمين. وما إن طاب لهم المقام حتّى وافاهم عدوّ اللَّه أبو طاهر القرمطى بمكة يوم التروية فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج، وقتلوهم قتلًا ذريعاً فى المسجد الحرام، وفى البيت نفسه، وطرح القتلى فى بئر زمزم، ودفن الباقين فى المسجد الحرام بلا غسلٍ وكفن. ثم ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره واقتلعه، وأقام بمكة أحد عشر يوماً، ثمّ رحل مع أصحابه إلى هجر، وبقى الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين عاماً، وقيل: إنه لما أخذ الحجر الأسود هلك تحته أربعون جملًا من مكة إلى هجر، فلما أُعيد حُمل على قعودٍ هزيلٍ فسمِنَ.

قال محمد بن الربيع بن سليمان: كنتُ بمكة سنة القرامطة، فصعد رجلٌ لقلع الميزاب، وأنا أراه، فعيلصبرى، وقلت: يا ربّ ما أحلمك! فسقط الرجل على دماغه فمات. وقال أبو الفدا: وانتهب القرمطى أموالهم واستباح قتالهم، فقتل فى رحاب مكة وشعابها، والمسجد الحرام وفى جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً. وجلس أميرهم أبو طاهر- لعنه اللَّه- على باب الكعبة والرجال تُصرع حوله، والسيوف تعمل فى الناس فى المسجد الحرام فى الشهر الحرام فى يوم التروية الذى هو أشرف الأيام وهو يقول:

أنا للَّهوباللَّه أنا يخلقُ الخلقَ وأفنيهم أنا فكان الناس يفرّون منه فيتعلّقون بأستار الكعبة فلا يجدى ذلك عنهم شيئاً بل يُقتلون.

ودخل رجلٌ من القرامطة إلى حاشية الطواف، وهو راكب سكران قبال فرسه عند البيت، ثم ضرب الحجر بدبّوس فكسره، ثم اقتلعه، وألحد هذا اللعين فى المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه. والذى حملهم على ذلك شدّة كفرهم وغلوّ زندقتهم. وكانت إقامة القرمطى بمكة أحد عشر يوماً، فلما عاد القرمطى إلى بلاده رماه اللَّه- تعالى- فى جسده، حتّى طال عذابه، وتقطّعت

ص: ۱۲۳

أوصاله وأطرافه وهو ینظر إلیها، وتناثر الدود من لحمه (۱).

نکتفی بهذا القدر من الجرائم والمذابح الدامیة التی راح ضحیّتها الآلاف، والاعتداءات علی الأماکن المقدّسة، وعلی الکعبة المعظمة بالخصوص، وانتهاک حرمتها.

الهوامش:

القبلة والطواف

---

۱ – ۱ الکامل فی التاریخ، ابن الأثیر ۷: ۵۳– ۵۴ حوادث سنة ۳۱۷ ه– تاریخ الخلفاء، السیوطی: ۳۰۷– البدایة والنهایة، ابن کثیر ۱۱: ۱۶۰– شهداء الفضیلة، العلامة الأمینی: ۱۹۴– معجم البلدان، یاقوت الحموی المتوفی سنة ۶۲۶ ه، ۲: ۲۲۴– دائرة المعارف، فرید وجدی ۷: ۷۱۳– الاعلام بأعلام بیت اللّه الحرام، محمد بن أحمد بن محمد النهروانی المتوفی سنة ۹۹۰ ه،ص ۱۶۳– ۱۶۶.

ص: ۱۲۴

ص: ۱۲۵

القبلة والطواف

محمد مهدى الآصفى

قيمة الكعبة:

شرّف اللَّه «الكعبـة» وجعلها مثابـةً للناس يثوبون إليها، ويجتمعون حولها، ويجـدون عندها الأمن الذى يفتقدونه فى حياتهم، «وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً ...» (۱).

وهى بيت اللَّه شرّفها اللَّه- تعالى- وخصّها لنفسه، وجعلها مباركةً، وهدًى للعالمين.

وخصّ اللَّه- تعالى- الناس من بين سائر خلقه ببيته الذى أكرمه وخصّه بنفسه، فقال تعالى: «انّ أوّل بيت وضع للناس لَلَّذى ببكة مباركاً وهدًى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومَن دخله كان آمناً ...» (۲).

وجعل اللَّه الكعبة قياماً للناس، تقوّم علاقتهم باللَّه وحركتهم وكدحهم

۱- ۱ البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ آل عمران: ۹۶.

ص: ۱۲۶

إليه، وتقوّم معاشـهم ومعادهم، ودنياهم وآخرتهم، وتنظّم علاقتهم باللّه- تعالى- وبأنفسهم. «جعل اللّه الكعبة البيت الحرام قياماً للناس» (۱).

فضل الكعبة:

وقد خصّ اللّه- تعالى- الكعبة بفضلٍ عظيم، وخصّ أمير المؤمنين عليه السلام فى فضل الكعبة:

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، الَى الْآخِرِينَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ؛ بِأَحْجَارٍ لَاتَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ «الَّذِى جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِياماً». ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً.

بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ؛ لَايَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ، فَصَارَ مَثَابَةً لِلْمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِى إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِى فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا يُهَلِّلُونَ (يهلّون) للَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلَاءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً الَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِىَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ؟؟؟

مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْصَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا،

۱- ۱ المائدة: ۹۷.

ص: ۱۲۷

وَالْأَحْجارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ. وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِى الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجاهَدَةَ ابْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، اخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِى نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلْ ذلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً الَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا خرجتم حجاجاً إلى بيت اللَّه- عزوجل- فأكثروا النظر إلى بيت اللَّه، فإنّ للَّه- عزوجل- مائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام، منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للناظرين» (۱).

وعن معاوية بن عمّار، عن أبى عبد اللَّه، قال: «للَّه- تبارك وتعالى- حول الكعبة عشرون ومائة رحمة، منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للناظرين» (۲).

وعن إسحاق بن عمار، قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: «يا إسحاق مَن طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب اللَّه له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، أفلا- أخبرك بما هو أفضل من هذا؟ قلت: بلى. قال: من قضى لأخيه المؤمن حاجة كتب اللَّه له طوافاً وطوافاً حتّى بلغ عشراً» (۳).

دروس من الكعبة:

ل (الكعبة) المشرّفة توجيهان فى حياة المسلمين وهما: (القبلة) و (الطواف).

وكلّ منهما يرمز إلى معنى يختلف عن المعنى الآخر، وسوف نتحدّث إن شاء اللَّه عن كلّ منهما، ونبدأ بالقبلة.

۱- ۱ بحار الأنوار ۹۹: ۲۰۲.

۲- ۲ بحار الأنوار ۹۹: ۲۰۲.

۳- ۳ بحار الأنوار ۹۹: ۲۰۳.

ص: ۱۲۸

۱- القبلة

«فلنولّينّكَ قِبلةً ترضاها» (۱) للقبلة دور مزدوج. فهى أولًا توجه المسلمين إلى اللّه فى كلّ يوم خمس مرّات على الأقل.

وتوحّد جهة المسلمين بهذا الاتجاه ثانياً.

ولابدّ من بعض التفصيل فى هذا وذاك:

۱- ۱ البقرة: ۱۴۴.

ص: ۱۲۹

الدور الأول للقبلة: تسليم الوجوه إلى اللَّه:

استقبال الكعبة في الصلاة يرمز إلى تسليم الوجوه للَّه تعالى. وتسليم الوجه للَّه بمعنى أن يسلّم الانسان جهة حركته ومساره للَّه تعالى، ويعطى وجهه للَّه.

أنحاء التسليم:

والتسلم للَّه في حياة الانسان على ثلاثة أنحاء:

۱- التسليم لقضاء اللَّه وقدره؛ بمعنى أن لا يعترض الانسان ولا يتذمر لما يقدر اللَّه- تعالى- له من القضاء والقدر في السرّاء والضراء. وفوق درجة التسليم هذه درجة (الرضا بقضاء اللَّه وقدره) وهو من أسمى مراتب العبودية واليقين.

۲- التسليم لدين اللَّه وحكمه وشريعته، بمعنى الطاعة والانقياد والاستسلام لأمر اللَّه وحكمه، والالتزام بحدود اللَّه- تعالى- بصورة دقيقة، وهو (التقوى). وهذا التسليم يختلف عن التسليم الأول، فإنّ التسليم هنا يتمّ بالانقياد الطوعي والإرادي لحكم اللَّه تعالى وحدوده ... بينما التسليم في الفقرة الأولى بمعنى عدم الاعتراض والتذمر من قضاء اللَّه- تعالى- وقدره والرضا به. أما القضاء والقدر فينزلان على الإنسان بغير إرادته واختياره، ويقهرانه على ذلك، أراد ذلك أو لم يرد.

۳- أن يسلّم الإنسان وجهه للَّه، بمعنى أن يجعل وجه اللَّه- تعالى- ومرضاته غايته في حركته، ويسعى إليه، ويكون همّه تحقيق مرضاة اللَّه، والتقرّب إليه وابتغاء وجهه الكريم.

وهذا التسليم يختلف عن التسليم في الفقرة الثانية، ففي الفقرة الثانية يأتي التسليم بمعنى الطاعة، وتجنّب المعصية، والعمل والحركة ضمن حدود اللَّه تعالى، وعدم تعدي الحدود الإلهية والاجتناب عن انتهاك حرمات اللَّه.

ص: ۱۳۰

بينما التسليم فی الفقرة الثالثة مسألة نفسية وذهنية وهی ابتغاء وجه اللّه ومرضاته.

*** والتسليم للّهبالمعنی الثالث هو رسالة القبلة، وهو أحد الدورين الذين تنهض بهما (الكعبة) فی حياة الإنسان. قال تعالی: «فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهی للّه، ومَن اتّبعَنِ ...» (۱)

. و «بلی مَن أسلم وجهه للّهوهو محسن فله أجره عند ربه ...» (۲)

، و «ومَن أحسنُ ديناً ممن أسلم وجهه للّهوهو محسن ...» (۳)

، و «ومَن يُسلم وجهه إلی اللّه وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقی ...» (۴).

وكما ليس للإنسان إلّاقلب واحد «ما جعل اللّه لرجل من قلبين فی جوفه» (۵)

كذلك ليس للإنسان إلّاوجه واحد. وهذا الوجه إمّا أن يكون إلی اللّه، أو إلی جهة أخری غير جهة اللّه.

وقد يتمكن الإنسان فی وقت واحد أن يقوم بعملين (يمشی ويتكلّم مثلًا)، ولكن لا يمكن أن يعطی وجهه فی وقت واحد إلی جهتين.

إذن معنی تسليم الوجه هو أن يكون همّ الإنسان، وغايته فی حركته ومسعاه هو مرضاة اللّه تعالی «قل إنّصلاتی ونسكی ومحيای ومماتی للّهربّ العالمين» (۶).

وتسليم الوجوه للّه- تعالی- بهذا المعنی هو أن يضع الإنسان وجهه قبال وجه اللّه الكريم، ويعطی وجهه للّه. وهو بمعنی الإقبال علی اللّه فی الحركة والاعراض عن غير اللّه.

إذن فإنّ (وجه اللّه الكريم) ينظم مسير الإنسان وحركته، إذا أعطاه الإنسان وجهه وسلّمه ناصيته.

وقد يعبّر القرآن عن هذا المعنی ب (إقامة الوجه للدين).

۱- ۱ آل عمران: ۲۰.

۲- ۲ البقرة: ۱۱۲.

۳- ۳ النساء: ۱۲۵.

۴- ۴ لقمان: ۲۲.

۵- ۵ الأحزاب: ۴.

۶- ۶ الأنعام: ۱۶۲.

ص: ۱۳۱

«وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكوننّ من المشركين» (۱).

وإقامة الوحدة للدين، بمعنى تسليم الوجوه وتوجيهها للَّه‌تعالى، فإنّ مهمة الدين فى حياة الانسان هو توجيه وجه الإنسان إلى اللَّه.

الحالات الثلاث للإنسان:

وتوجيه الوجوه إلى اللَّه هى الحالة الوحيدة للاستقامة على الصراط المستقيم فى حياة الإنسان. وهذه الحالة تقع مقابل حالة الإعراض والانحراف عن اللَّه ... وهما حالتان مختلفتان فى حياة الإنسان.

فحالات الإنسان بالنسبة إلى اللَّه تعالى ثلاث:

۱- حالة الاستقامة على الصراط المستقيم فى حياة الإنسان.

۲- حالة الإعراض والصدود عن اللَّه وهى حالة (المغضوب عليهم).

۳- حالة الانحراف عن اللَّه، من دون إعراض وصدود، وهى حالة (الضالين).

فهذه ثلاث حالات للإنسان بالنسبة إلى اللَّه- تعالى- تشير إليها سورة الفاتحة.

والحالة الأولى هى الحالة الوحيدة للاستقامة فى حياة الإنسان.

وأبعد حالات الإنسان عن اللَّه- تعالى- هى حالة الإعراض والصدود عن اللَّه، وهى حالة المغضوب عليهم ... وفى هذه الحالة يخرج الإنسان عن دائرة رحمة اللَّه الواسعة التى لا تضيق بشىء إلّاأن يشاء اللَّه، وهى حالة السقوط والهلاك للإنسان ... وهذه الحالة تحجب الانسان عن اللَّه حجباً كاملًا، وبين هاتين الحالتين حالة الانحراف عن اللَّه، من دون إعراض وصدود، وهى حالة الضالين. وهذه الحالة حالة منحرفة عن اللَّه، وليست على الصراط المستقيم،

۱- ۱ يونس: ۱۰۵.

ص: ۱۳۲

ولكنها لا تحمل إعراضاً وصدوداً عنه تعالى، فهى لذلك تقع فى دائرة رجاء رحمته عزوجل.

واستقبال القبلة يرمز إلى هذه الحالة الوحيدة للاستقامة على الصراط المستقيم، وهى الحالة التى يوجه الإنسان وجهه ويسلمه للَّه- تعالى- وهذا هو الدور الأوّل للقبلة.

الدور الثانى للقبلة:

والدور الثانى للقبلة أنّها توجّه وجوه الناس جميعاً إلى اللَّه. وهذه الصفة (الاجتماعية) فى تسليم الوجوه للَّه تعطى الإنسان قرباً وسرعةً وإقبالًا أكثر فى حركته إلى اللَّه.

ومن عجب، أنّ حركة الإنسان إلى اللَّه وسط حركة جماهير المؤمنين إلى اللَّه أسرع وأقوى وأرضى إليه تعالى، من أن يتحرّك الإنسان وحده إلى اللَّه إلّاأن يكون أمّة لوحده، كما كان إبراهيم عليه السلام أُمّةً.

واللَّه تعالى يحب أن يستقبل عباده مجتمعين، فإذا أقاموا الصلاة، أقاموها جميعاً، وإذا توجهوا إلى وجهه الكريم بوجوههم توجهوا جميعاً، وإذاصاموا صاموا جميعاً، وإذا أفطروا أفطروا جميعاً. وهذه الصفة (الاجتماعية) أمر أصيل وجوهرى فى هذا الدين. والقبلة تحقّق هذه الصفة الاجتماعية فى تسليم الوجوه إلى اللَّه، إضافةً إلى أصل التسليم.

۲- الطواف

«وليطوفوا بالبيت العتيق» (۱) والدور الثانى للكعبة أنّ هذه الغاية (وهى مرضاة اللَّه، ووجهه الكريم)

۱- ۱ الحج: ۲۹.

ص: ۱۳۳

تستوعب كلّ جهد الإنسان وهمّه وحركته، وهو ما يرمز إليه (الطواف).

فإنّ (القبلة) توجّه الإنسان إلى اللَّه فيصلاته. وهذه مهمّةصعبة وشاقّة.

إلّا أنّ هذه المهمّة- في حدود القبلة- لا تستوعب كلّ جهد الإنسان وحركته، فإنّ الإنسان يصلّي، ويسعى ويتحرّك في مناكب الأرض ابتغاءً للرزق، ويتزوّج، ويتعلّم، ويعلّم، ويحب، ويبغض، ويذهب إلى السوق، ويعود إلى البيت، وهو لا يطلب في هذه الحركة الواسعة وجه اللَّه، ولا يطلب إلّارزقه ولذّته وحاجاته، في غير معصية اللَّه، وليس عليه من بأس في ذلك، إذا كانت هذه الحركة في غير معصية اللَّه. غير أنّ شطراً كبيراً من جهد الإنسان وحركته واهتماماته يقع خارج هذه الجهة (مرضاة اللَّه ووجه اللَّه) دون أن تعارضه. ولا يستوعب وجهُ اللَّه ومرضاتُه كلَّ همومه وحركته وسعيه. ولا بأس على الإنسان في ذلك، غير أنّ حركته في هذه الحالة إلى اللَّه تكون حركة بطيئة. يتحرّك إلى اللَّه إذا أقبل بوجهه على اللَّه فيصلاته، ويتوقّف عن الحركة إلى اللَّه إذا قضيصلاته، وذهب لغيرها من شؤونه في الحياة، كالمجتمعات المسيحية المعاصرة، فانّ التوجه إلى اللَّه في هذه المجتمعات لا يستوعب إلّاجزءاً يسيراً من شخصية الناس وحركتهم في ساعة أو بضع ساعة من أيام الآحاد في الكنيسة، فإذا قضوا هذه الساعة في الكنيسة، وانصرفوا إلى سائر شؤونهم في الحياة، انصرفوا عن اللَّه إلى غيره من شؤونهم من حلال أو حرام.

وأقل ما في ذلك أنّ حركة الإنسان إلى اللَّه- تعالى- تكون بطيئة، ومنقطعة، ومثل هذه الحركة البطيئة المتقطعة، لا تكاد أن توصل الإنسان إلى (لقاء اللَّه).

و (الطواف) يعلمنا أنّ من الممكن أن يستوعب (وجهُ اللَّه) و (مرضاةُ اللَّه) كلّ جهد الإنسان وحركته وسعيه في السوق والبيت والمسجد والمدرسة وساحات الحرب وميادين السلم دون أن يعطّل شيئاً من حركته ونشاطه.

ص: ۱۳۴

الحالات الثلاث للانسان:

ولابدّ من توضيح وتفسير لهذا الأمر فنقول:

انّ للإنسان تجاه اللَّه ثلاث حالات:

۱- حالة الشرك.

۲- حالة التوحيد.

۳- حالة الإخلاص.

وفيما يلى توضيح لهذه الحالات:

۱- الشرك: وهى أنّ يحكّم الإنسان أكثر من عامل على سلوكه، بمعنى أن يحكّم اللَّه- تعالى- على نفسه، ويحكّم الهوى والطاغوت فى الوقت نفسه على نفسه، فيخضع فى سلوكه لهذه العوامل جميعاً وليس لحكم اللَّه- تعالى- وأمره فقط، فيطيع اللَّه تعالى، ويطيع الهوى والطاغوت فى معصية اللَّه، ويُحِلّ ما أحلّوه له ويحرّم ما حرّموه عليه فى مقابل ما أحلّ اللَّه وما حرّم اللَّه.

وهذه الطاعة والانقياد للهوى والطاغوت ... تأتى فى حياة الإنسان فى عرض طاعة اللَّه، وبمعصية اللَّه ومخالفته.

والقرآن يسمّى هذه الطاعة التى تأتى فى عرض طاعة اللَّه، وتتمّ بمعصية اللَّه- تعالى- ومخالفته ب (الشرك).

فيقول- تعالى- فى طاعة الهوى: «أَرأيت من اتّخذ إلهه هواه أَفأنت تكون عليه وكيلًا» (۱)

، «أَفرأيت من اتّخذ إلهة هواه وأضلّه اللَّه على علم ...» (۲).

وطاعة الهوى هو تأليه الهوى، ولا نعرف نحن معنى آخر لتأليه الهوى غير الطاعة والتسليم لعامل الهوى: هذا فى طاعة الهوى.

وأمّا فى طاعة الطاغوت فيقول تعالى: «اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللَّه والمسيح بن مريم، وما أُمروا إلّاليعبدوا إلهاً واحداً» (۳).

۱- ۱ الفرقان: ۴۳.

۲- ۲ الجاثية: ۲۳.

۳- ۳ التوبة: ۳۱.

ص: ۱۳۵

والعبودية هنا الطاعة، فإنّ النصارى لم يزيدوا على طاعة أحبارهم ورهبانهم فيما أحلّوا لهم وحرّموا عليهم، فعبادتهم لهم هى تحكيم أوامرهم ونواهيهم عليهم.

وقد روى فى ذلك أنّ عدى بن حاتم قال لرسول اللَّهصلى الله عليه و آله: إنّا لم نعبد أحبارنا ورهباننا؟ فقال له رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: أَلم تحلّوا ما أحلّوه، وتحرّموا ما حرّموه؟

٢- التوحيد: وهو أن يحكّم الإنسان على نفسه حكم اللَّه- تعالى- فقط، ويأخذ بما أحلّ اللَّه- تعالى- وينتهى عمّا حرّم اللَّه- تعالى-، ولا- يحلّل غير ما أحلّ اللَّه، ولا- يحرّم غير ما حرّم اللَّه. ويجعل الإنسان كلمة اللَّه هى العليا فى حياته، وأمر اللَّه ونهيه هو النافذ على سلوكه، يمتثل ما أمر اللَّه تعالى به وينتهى عمّا نهى اللَّه عنه.

وهذا هو (التوحيد) و (التقوى).

ولكن ليس بالضرورة أن يكون كلّ عمله وتحرّكه وسعيه لوجه اللَّه، وابتغاءً لمرضاة اللَّه، فليس ممّا يضر ب (التوحيد) أن يذهب الإنسان إلى السوق ابتغاءً للرزق، لا ابتغاءً لوجه اللَّه ومرضاته، وإنّما يضرّ بالتوحيد أن يجعل عامل الرزق حاكماً على سلوكه فى عرض حاكمية اللَّه، ويأخذ بما يتطلّبه الرزق محلّلًا له، وإن كان فى ذلك معصية اللَّه ومخالفته.

والخلاصة: أنّ (التوحيد) هو قبول الإنسان سيادةَ اللَّه- تعالى- وولايتَه المطلقة على حياته. و (التقوى) هو تحكيم سيادة شريعة اللَّه وحدها على سلوكه.

فلا يرتكب الإنسان ما ينهى اللَّه عنه، ولا يترك عمّا يأمر اللَّه تعالى به، وليس من الضرورى فى (التوحيد) و (التقوى) أن يكون سلوك الانسان كلّه- حتّى فى دائرة المباح- لوجه اللَّه وابتغاء مرضاته.

٣- الإخلاص: وهو فوق مرتبة التوحيد، وتتحقّق هذه الحالة عندما

ص: ۱۳۶

یمحّض الانسان نفسه وحیاته، وسلوکه کلّه للّه، وابتغاءً لمرضاته ووجهه، وتستوعب مرضاةُ اللّه کلَّ حرکته ونشاطه وسلوکه، وتصبغ هذه الغایة (مرضاة اللّه) کلَّ سلوکه ونشاطه وحرکته، أولئک المخلَصون. والإخلاص بهذا المعنی هو الدعوة الثانیة للأنبیاء بعد دعوة (التوحید). والإخلاص لیس بمعنی أنّ یعطّل الإنسان نشاطه وسعیه فی مناکب الحیاة، فی السوق والبیت والمزرعة وساحات الحرب والإدارة والسیاسة، ولکن بمعنی أن یطوّع الإنسان نشاطه وحرکته فی هذه الساحات کلّها للّه تعالی.

ومن السهل أن یعطّل الإنسان شطراً کبیراً من نشاطاته وسعیه، لئلّا یکون سعیه وحرکته لغیر اللّه، ولکن من الصعب أن یطوّع الإنسان نشاطه وحرکته کلّها للّه تعالی. ودعوة الإسلام هو أن یطوّع الإنسان حرکته وسعیه للّه، ولیس أن یعطّل الإنسان نشاطه وحرکته.

وهذان منهجان فی التربیة الروحیة: التعطیل والتطوّع.

والأوّل منهج سلبی یرفضه الإسلام، والثانی منهج ایجابی یدعو إلیه الإسلام.

والطواف یرمز إلی هذا الشأن الصعب فی علاقة الإنسان باللّه تعالی. ففی الطواف یطوف الإنسان دورة کاملة حول الکعبة، فی هذه الدورة یتحرّک کتفه الأیمن حول محیط دائرة کاملة من الشرق إلی الغرب، ومن الجنوب إلی الشمال وفیما بین هذه الجهات جمیعاً، ولا تبقی نقطة علی هذا المحیط الدائری الشامل إلّا ویقطعه الإنسان بکتفه الأیمن. وهذا المحیط یساوی ۳۶۰۰ ولا نعرف جهة هندسیة أوسع وأشمل من ۳۶۰۰ (أی محیط الدائرة).

وبینما یتحرّک کتف الإنسان الأیمن حول هذه الدائرة الشاملة یثبت کتفه الأیسر علی مرکز الدائرة وهو الکعبة، ولا یحید عنه، فی کلّ هذه الحرکة الدائریة.

ص: ۱۳۷

ولهـذا التركيز والتثبيت إلى جانب تلك الحركة الشاملة معنى عميق فى حياة الإنسان المسلم. فإنّ من الممكن أن يقوم الإنسان بكامل النشاط المباح، الـذى يقوم به سائر الناس فى مناكب الحياة المختلفـة، دون أن ينحرف حتّى لحظة واحدة عن ابتغاء وجه اللَّه ومرضاته فى شـيء من ذلـك. فيـذهب إلى السوق للَّه، ويسعى فى منـاكب الحيـاة للَّه، ويتزوّج للَّه، ويؤمّن معيشـة أهله للَّه، ويعمـل فى ميـادين السياسة للَّه، ويقاتل للَّه، ويدافع للَّه. وإذا أحبّ أحبّ للَّه، وإذا أبغض أبغض للَّه، وإذا سرّ سرّ للَّه، وإذا غضب غضب للَّه.

فلا تفوت الإنسان فى هـذه الحركـة الواسـعة حركـة ولا نشاط ممّا ينشط له الناس فى مساحـة المباح، ولا ينحرف الإنسان فى جزء من هذا النشاط الواسع عن ابتغاء وجه اللَّه ومرضاته، وعندئذٍ يكون مخلَصاً للَّه، أى خالصاً، لا يشوب نفسه ونيّته شيء لغير اللَّه.

يقول تعالى عن رسوله وكليمه موسى بن عمران: «واذكر فى الكتاب موسى إنّه كان مُخْلَصاً وكان رسولًا نبياً» (۱).

ويقول تعالى: «وما تُجزون إلّاما كنتم تعملون إلّاعبادَ اللَّه المخلَصين» (۲).

«فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين إلّاعبادَ اللَّه المخلَصين» (۳).

و (المخلَص والمخلَصين) فى هذه الآيات بفتح اللام بمعنى الخالص، الذى خلصت نفسه ونيّته من كلّ شائبة لغير اللَّه تعالى.

ففى تفسير قوله تعالى: «إلّامَن أتى اللَّه بقلب سليم» (۴).

عن الامام الصادق عليه السـلام، والراوى سـفيان بن عُيينَة، قال: سألته عن قول اللَّه «إلّامَن أتى اللَّهَ بقلبٍ سليم» قال: «القلبُ السليم الذى يلقى ربَّه وليس فيه أحدٌ سواه. قال: وكلُّ قلب فيه شركٌ أو شك فهو ساقط. وإنّما أرادوا الزهد

۱- ۱ مريم: ۵۱.

۲- ۲ الصافات: ۴۰.

۳- ۳ الصافات: ۷۴.

۴- ۴ الشعراء: ۸۹.

ص: ۱۳۸

فی‌الدنیا لِتفرغَ قلوبهم للآخرة» (۱).

واذا أخلص الإنسان نفسه للَّه، وکان کلّ سعیه وحرکته ونشاطه للّه، فانّ کلّ شیء فی حیاته یقربه إلی اللَّه- تعالی- ... ذلک انّه مقبل بوجهه إلی اللَّه، کادح للقاء اللَّه کدحاً فی کلّ عمل وحرکة ونشاط، ولا یتوقّف عن الکدح والحرکة والإقبال علی اللَّه فی سعی أو عمل، مهما کان نوع هذا السعی والعمل، فی ساحات السیاسة أو القتال، وفی السراء أو الضراء، وفی السوق أو البیت أو المسجد ... کلّ ذلک یقربه إلی اللَّه. ویکون مع الصادقین فی مقعدصدق عند ملیک مقتدر.

*** وقبل أن ننهی هذا الدرس عن (الطواف) نضیف إلی خصائص الطواف خصلة أخری وهی الصفة الاجتماعیة فی الطواف، إنّ اللَّه تعالی یحبّ أن یقبل عباده إلیه مجتمعین، ویکدحون ویتحرّکون إلی وجهه الکریم فیصفوف متراصة، وحشود بشریة کبیرة من المؤمنین.

وهذه الخصلة الاجتماعیة فی الحرکة إلی اللَّه تعطی لهذه الحرکة سرعة وقوّة ومتانة واستحکاماً أکثر. وشتّان بین أن یعبد الإنسان لوحده اللَّه- تعالی-، أو یعبده فی وسط حشد من المؤمنین، فإنّ العبادة الثانیة أرضی وأقرب إلی اللَّه تعالی، وأسرع إلی القبول ونیل مرضاة اللَّه من الأولی.

وفی الطواف نجد هذه الخصلة الاجتماعیة بوضوح. حیث یدعو اللَّه- تعالی- المؤمنین لطواف هذا البیت فی أیام معدودات معلومات من السنة، فیتزاحم المؤمنون حول البیت العتیق، ویتدافعون بطبیعة الحال ویخلصون إلی اللَّه فی وسط هذا التدافع والتزاحم. وهو درس عجیب من دروس الطواف.

فإنّ العبادة وابتغاء مرضاة اللَّه فی وسط حشود المؤمنین یستتبع، بطبیعة الحال، مثل هذا التدافع والتزاحم، والتنافس، وأحیاناً التنافس السلبی، ومع

۱- ۱ أصول الکافی، کتاب الإیمان والکفر، باب الإخلاص، ح ۵.

ص: ۱۳۹

ذلک کلّه فإنّ اللَّه– تعالی– یدعونا إلی أن نسلک الطریق إلیه وسط حشود المؤمنین مع هذا التزاحم والتنافس، ویدعونا إلی التسامح والتساهل والترفّع عن المشاکل التی تحدث فیما بین المؤمنین أنفسهم. ولابدّ مِن أن یحدث مثل ذلک، ولابدّ من الترفّع عنها، والتساهل فیها.

روی داود بن سرحان قال: سمعت أبا عبد اللَّه علیه السلام یقول: أربع لا ـ یخلو منهنّ المؤمن أو واحدة منهنّ مؤمن یحسده، وهو أشدُّهن علیه، ومنافق یقفو أثره، أو عدو یجاهده، أو شیطان یغویه.

وللطواف فی نفوسنا مشهدان:

مشهد الطواف من الداخل، ومشهد الطواف من الخارج، ومشهد الطواف فی کلّ منهما یختلف عن الآخر.

فاذا أشرفنا علی الطواف من الأعلی من سطح البیت الحرام، وجدنا هذا الجمهور الحاشد یدور حول البیت فی حرکة هادئة مریحة متّصلة مستمرّة، وکأنّ أرض المسجد الحرام تدور بهم فی حرکة ودیعة هادئة. وهذا هو مشهد (الطواف) من الخارج، وقراءة لحرکة (التوحید) و (الإخلاص) فی التاریخ من بعید، من أعمال التاریخ.

وللطواف مشهدٌ آخر، وقراءة أخری من الداخل، عندما ندخل فی زحمة الطواف، ویعصرنا الطائفون، ونشقّ الطریق حول بیت اللَّه الحرام فی زحمة الطائفین ومنافستهم، وأحیاناً مضایقاتهم ومشاکساتهم. وهذا مشهد الطواف من الداخل، وکذلک قراءة من الداخل لحرکة التوحید و (الإخلاص).

فلا تکاد تخلص حرکة (التوحید) و (الإخلاص) للَّه– تعالی– فی حیاتنا، فیصفوف المؤمنین الموحدین والمخلَصین من هذا التزاحم والتنافس الایجابی، والسلبی أحیاناً. ومع ذلک فإنّ اللَّه– تعالی– یرید منّا أن نحمل عب رسالة

ص: ۱۴۰

(التوحيد) و (الإخلاص) فى الحياة فى وسط جمهور المؤمنين، وحشود الدعاة إلى اللَّه- تعالى-، ويطلب منّا أن نتقبل نتائج هذا التزاحم والتنافس فى العمل كأمر واقع لابدّ من أن يقع، ويدعونا إلى التساهل والتسامح فى هذا الأمر، وإلى الترفّع عنه ما أمكن. وهذا هو الدرس الثانى من دروس الطواف.

الهوامش:

ص: ۱۴۱

مختصر معجم

مَعَالِم مَكَّة التَّاريخيّة

عاتِق بن غيْث البَلادى

أجْياد:

كَأنّه: جمع جواد، والناس تقول (جِيَاد)، كان الإسم يطلق على شعبين كبيرين من شعاب مكة، يأتى أحدهما من الجنوب، يقاسم خُمّاً الماء فيتجه شمالًا، والآخر يأتى من الشرق من جبل الأعرف، ثم يجتمعان أمام المسجد الحرام من الجنوب فيدفعان فى وادى إبراهيم. و قد أصبحا اليوم مأهولين بأحياء عديدة من أحياء مكة، أشهرها: حى جياد، و المصافى، و بئر بليلة. و من جياد الكبير طريق يفرع ريع بخش- رأس جياد- ثم ينحدر فى (خُمّ) فإلى بطحاء قُرَيش فَثَوْر جنوباً. قال ميمون بن قيس (الأَعشى) (۱):

فما أَنت من أَهل الحُجُون ولا الصَّفا ولا لك حقُّ الشربِ من ماءِ زَمزَم

و ما جَعَل الرَّحمنُ بيتَك فى العُلا بأجْيادِ غربىّ الصفا والُمحَرَّم

۱- ۱ ديوانه: ۱۸۴.

ص: ۱۴۲

و قال عمر بن أبی ربیعة (۱):

هیهات من أُمَّةُ الوَهّاب مَنزِلُنا (۲) لما نزلْنا بسیفِ البحر من عَدَنِ

وحَلّ أهلُك أَجْیاداً فلیس لنا إلّا التَّذَکُّر، أَو حَظّ من الحَزَن وله ذکر کثیر فی کتب المتقدمین و أشعارهم.

وقال بشر بن أبی خازم (۳):

حلفتُ بربّ الدامیات نُحورها وما ضَمَّ أَجیادُ المُصلّی ومَذهبُ

لئن شبت الحربُ العوانُ التی أری وقد طال إبعادٌ بها وتُرهبُ

لتحتملَنْ باللیل منکم ظعینةٌ إلی غیر موثوق من العِزِّ تَهربُ وقال أبو بکر العبدی العدنی الوزیر (۴):

یا مُحیَّا نُور الصَّباحِ البادی ونسیم الرِّیاح غِبَّ الغوادی

حَیِّ أَحبابنا بمکّة ما بی - ن نواحی الصَّفا وبین جِیادِ أما أجیاد الصغیر فیأتی من الشرق، وکان حیّاً کالمسدود فی سنة ۱۴۰۴ ه فتح منه نفق إلی حی العزیزیة تحت جبل الأعرف، وجعلت فیه طریق مختصرة لمشاة الحجاج، فصار مرفقاً مفیداً، وقصر الطریق علی سکان حی العزیزیة، ومنتسبی جامعة أم القری إلی أقل من ثلث الطریق القدیم المار فی الأبطح.

الأخشبان:

مثنی الأخشب وهو الجبل الخشن وعر المرقی.

قال الشریف الرّضی (۵):

أُحِبُّکَ ما أَقام مِنًی وجَمْعٌ وما أرسی بمکةَ أَخشَباها

وما دَفَع الحجیج إلی المُصلَّی یجرّون المَطِیَّ علی وجاها

وما نحروا بخیفِ مِنًی وکبُّوا علی الأذقان مُشعَرةً ذُرَاها

۱- ۱. دیوانه: ۳۴۸.

۲- ۲. أمة الوهاب: ابنة عمر بن أبی ربیعة.

۳- ۳. معجم البلدان أجیاد.

۴- ۴. معجم البلـدان جیاد و فی الإکلیل ۲: ۴۷ هو أبوبکر أحمد العیدی الأبینی، نسبه إلی أبین- و فی العقد الثمین ۸: ۹ ذیل: اختلف فی نسبتة، فقیل: العبدی، و العیدی، و العیدی. والصواب: العیدی؛ بالیاء قبل الدال المهلة و أبین مقاطعة یمینة قرب مدینة عدن.

۵- ۵. دیوانه: ۵۶۳.

ص: ۱۴۳

وقال ساعدة بن جُؤَيَّة الهذلى (۱):

ومقامهنّ إذا حُبِسن بمأزِمٍ ضَيْقٍ ألفّ وصَدّهُنّ الأخشبُ وأَكثَر الأقدمون من القول عن الأخْشَبَين، وكادوا يتفقون على أنهما: أبو قُبَيس وقُعَيْقعان، أما أبو قبيس- بضمّ القاف- فهو من أشهر جبال مكّة بل أشهرها على الاطلاق، وهو الجبل المشرف إشرافاً مباشراً على المسجد الحرام من مطلع الشّمس، ولذا يقول أهل مكّة: الواقف على أبى قبيس يرى الطائف! وسيأتى ذكرُ «قعيقعان» فى بابه. أما أهل البادية فيطلقون على الجبلين المشرفين على المزدلفة من الشّرق «الأخشبين» ويسمّون الطريق بينهما «المأزمين». وقد يطلق اسم الأخشبين على جبلى منى فيميزان بأخشبى منى، وكان الشامى منهما يسمى القابل، وهو وجه ثبير غيناء من الجنوب، وثبير غيناء سيأتى معناه، وكان يسمى ثَبِير الأثْبِرة أى كبيرها، أما جبل منى اليمانى فكان يسمى الصابح، وسفحه الشمالى الشرقى يسمى «خيف منى» وله شهرة فى أشعار العرب، يقول الشريف الرضى:

نظرتُكِ نظرةً بالخَيْفِ كانت جلاءَ العين أو كانت قَذَاها (۲)

ولم يكُ غير موقفِنا فطارت بكلّ قبيلةٍ منا نواها وعلى كلّ حال فكل هذه الأَجبُل أخاشب، ولذا يكون أبو قبيس وقعيقعان: أخشبى مكة، والقابل والصابح: أخشبى منى، والمأزمان: أخشبى مزدلفة.

أَذَاخِرُ:

كجمع أذخر. جمع قلة. وهو نبات معروف.

قال بلال بن رباح رضى الله عنه:

۱- ۱ معجم البلدان الأخشبان.

۲- ۲ فى الديوان: جلاء العين منى بل قذاها.

ص: ۱۴۴

ألا ليتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلةً بفخٍّ وحولى أذخر وجَلِيلُ؟

وهل أَردن يوماً مياهَ مَجَنَّةٍ وهل يَبْدُون لى شامةٌ وطَفيلُ؟ فى هذا الشعر:

أ- فَخٌّ: بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة. هو وادى مكّة الثانى، وقد ألمحنا إليه فيما تقدّم. وهذا الوادى يدخل بين حراء ومكة، فيمر فى الزاهر ويذهب إلى الحديبية ثم يصب فى مر الظهران فوق حداء.

ب- أَذْخُر: هو جبل أَذاخِر. وقال: أذخر ليستقيم له وزن الشعر. وليس كما فسره بعض المتأدبين بأن بلالًا كان يحب شميم الأذخر بل كان يحب مكة: شعابها وجبالها وضواحيها، كما هو ظاهر من شعره.

وأَذاخِر هـذا: هو الجبل الذى يشرف على الأبطح من الشمال يتصل بالحجون من الشرق، ولا زالت هناك ثنية تعرف منذ القدم بثنية أذاخر، قال الأزرقى فى أخبار مكـة (۲: ۲۸۹) ثنيـة أذاخر: الثنية التى تشرف على حائط خُرمان، ومن ثنية أذاخر دخل النّبى (صلى الله عليه و آله) يوم فتح مكة، وقبر عبد اللّه بن عمر بأصلها مما يلى مكة. أى فى مقبرة آل عبد اللّه بن أسيد. وحائط خرمان: يعرف اليوم بالخرمانيـة. بصدر مكة.صار رحبة تقف بها سيارات الكراء. ويشرف عليه من مطلع الشمس (قرن غراب) وسيأتى مستقبلًا، وقد عمر اليوم جله كمقر لأمانة العاصمة.

وحكى لى الأخ الاستاذ داخل المسعودى: أنهم اكتشفوا مقبرة بطرف الخرمانيـة كان الدم ينزف من أحد قبورها، فترجح لديهم أنها المقبرة المشار إليها، فاحيطت بجدار، وهى الآن بطرف بناية أمانة العاصمة مما يلى أذاخر.

ج- جَلِيل: بفتح أوله وثانيه: شعب يصب من حراء فيصدر فخ. وقد أصبح حياً من أحياء مكة جل سكانه من الروقة من عتيبة.

ص: ۱۴۵

الأُقحُوانة:

على لفظ واحدة النبات المعروف:

كـان يطلق هـذا الاـسم على مـا بين المنحنى والمفجر الأوسط، أو بتحديـد أوضـح ما كان يعرف بالمحصب، وهوصـدر وادى إبراهيم الذى يصب فيه سيل عقبة منى.

قيـل: إنّ أهل مكـة كانوا يخرجون إليه متنزهين فى ثياب زاهيـة مختلفـة الألوان شـبهت بزهر الأقحوان. وتشـمل الأقحوانـة اليوم أحياء: الروضة والششة وما جاورهما.

قال الحارث بن خالد المخزومى:

من كان يسأل عنا: أيْنَ منزلُنا؟ فالأُقحوانةُ منا منزلٌ قَمَنُ

إذ نَلبسُ العيشَ غَضّاً لا يكدره قرف الوشاة ولا ينبو بنا الزمن بئر مَيْمُون:

قال شاعر لم أعثر على اسمه (۱):

تأمل خليلى هل ترى قصـرصالح وهل تعرف الأطلال من شـعب واضـح إلى بئر ميمون إلى العيرة التى بها ازدحم الحُجّاج بين الأباطح

فى هذا الشـعر: بئر ميمون: بئر حفرها ميمون أخو العلاء الحضـرمى والى البحرين. عندها قبر أبى جعفر المنصور فيما يسـمى اليوم بحى الجعفريـة بين أذاخر والحُجُون. والعَيْرة كمؤنث العَيْر: هو الجبل الـذى عليه المنحنى بالمعابـدة- بالباء الموحـدة- أى بين حى الملاوى وحى الروضة.

والأباطح: أبطح مكة، والجمع من عادة شعراء العرب.

هذا ما جاء فى معجم معالم مكة بطبعتيه الأولى والثانية.

۱- ۱ أخبار مكة، ۲: ۲۲۲.

ص: ۱۴۶

وعندما حددت بئر ميمون هذا التحديد اعتمدت على:

۱- ورود ذكرها فى يوم الفتح؛ حيث دخل رسول اللَّه (صلى الله عليه و آله) من أذاخر، وأنه استقى من بئر ميمون.

۲- وجود هذا الحى بجوار أذاخر يسمى الجعفرية، ولم أر من نسبه فترجح عندى أنه نسبة إلى أبى جعفر المنصور.

۳- ما جاء فى تأريخ الفاكهى: أن أبا جعفر حين مات هناصلّى عليه فى المسجد الصغير المجاور للخرمانية، وهذا يعنى أنه مات قريب منه، أى أن بئر ميمون مقترنة بهذه المواضع كلها.

ولكن الشريف شاكر بن هزاع العبدلى قائم مقام مكة أوقفنى بعد حجّ عام ۱۴۱۲ ه على بئر قديمة شرقى قصر أمارة مكّة، على يمين الطريق الذاهب إلى الشرائع فالطائف عن طريق نخلة اليمانية، فقال: هذه بئر ميمون، وأرانى حجيرة قربها، قال: هذا قبر أبى جعفر المنصور.

ومع اعترافى بخبرة الشريف شاكر فى جغرافية مكة، الّا ان هناك تساؤلًا، إذا كانت هذه بئر ميمون على بُعدها من أذاخر، وهو بعد معاكس لا تجاه المسجد الحرام للآتى من أذاخر، فما علاقتها برسول اللَّه (صلى الله عليه و آله) يوم الفتح؟ ثم إذا كان أبو جعفر مات فى هذا المكان، لِمَ حمل إلى هذا المسجد الصغير على بعد، ثم أعيد بعد الصلاة عليه إلى بئر ميمون؟ فاذا كان المقصود دفنه حيث مات لَصلّى عليه هناك، وإذا كان المقصود التيمن بالمسجد، فالذين حملوه لم يبق بينهم وبين المسجد الحرام ما يعجزهم عن المواصلة، ثم لِمَ لمْ يدفن عند المسجد الذيصلِّى عليه فيه، وليست لبئر ميمون قدسية أو ميزة؟ ثم إن مقبرة أهل مكة كانت قريبة جداً من ذلك المسجد، فلِمَ لمْ يدفن هذا الخليفة فى المقبرة؟ ولأنها كما قيل كانت قد اتسعت إلى حى الجعفرية اليوم، فلعلّه دفن فى طرف المقبرة مما يلى أذاخر، ثمّ إن هذا الحيز

ص: ۱۴۷

من المقبرة توقف الدفن فيه بعد إنشاء المقبرة السليمانية، فدفع الطمع بعض الناس إلى الاستيلاء على الأماكن المندثرة، فسارع الولاة إلى تسوير المقبرة القديمة، ثم أخذ ذلك الجانب اسم الجعفرية؛ لعلم الناس أن أبا جعفر مدفون فيه.

وعلى كل حال فمع عدم جزمى بأحد المكانين، فإن رأيى لم يتغيّر، واستنتاجى أجد له قوة، والبحث مفتوح لمن يدقق ويحقّق.

وأقول: إنى ختمت البحث بهذا القول دون أن تكون لدى النيّة أن أُزيد فيه، ولكن تصفحت كتاب الفاكهى المطبوع قبل سنوات، فإذا فيه ما يأتى:

۲۴۸۲- حدّثنا أبو يحيى عبد اللَّه بن أحمد بن أبى مسرّة، قال: حدّثنى محمد بن عُبيدة الشُويفِعى، قال: حدّثنى إسماعيل بن عبيد اللَّه بن أبيصالح، مولى عبدِ اللَّه بن عامر، قال: تُوفِّى أبو جعفر يوم التَرْوية سنةَ ثمان وخمسين ومائة، وصُلِّى عليه عند الخُطَيْم (۱) فى مسجدٍ هناك، وضُرِبَ على المقبرة- يعنى مقبرة مكة- سُرادقٌ، ثم أُتِىَ بنَعْشِه، فأُدخل فى السرادق، فلما فُرِغَ من دفنه، ورجع الناسُ، ورُفع السرادقُ، وإذا بقبرين، واحد فى أعلى المقبرة، وواحد فى أسفلها، مما يلى المسجد، ثمّ بنى عليهما جُنْبُذان.

قال لى أبو يحيى: أدركت أحد الجُنْبُذين أنا. قال: ثم حجّ المهدى بعد ذلك؛ فرأيته جاء إلى الجُنْبُذِ الأعلى فى المقبرة، فوقف على ذلك القبر، والناس خلفَه فصلّى عليه.

وفى وجه شِعْبِ الخُوز دارُ لبابة بنتِ على، ومحمد بن سليمان بن على. وفى هذه الدار كان يسكن عبيدُ اللَّه بن قُثَم، وهو يومئذٍ والى مكة مع زوجته لُبابة بنت على، وفيها رأى الرؤيا التى أفزعتْهُ.

۲۴۸۳- حدّثنا أبو يحيى عبد اللَّه بن أحمد، قال: ثنا خالد بن سالم مولى ابنصيفى المكى، قال: أخبرنى إبراهيم بن سعيد بنصيفى المخزومى، وكانصديقاً

۱- ۱ لعله تصحيف الخطم.

ص: ۱۴۸

لعبيد اللَّه بن قثم، قال: أرسل إلىّ عبيد اللَّه بن قثم وهو أمير مكۀ نصفَ النهار، وكان نازِلًا ببئرِ ميمون، فى دارِ لُبابۀ بنتِ على، زوجتِه.

وترى فى روايۀ الفاكهى: توفى أبو جعفر وصلّى عليه عند الخطم، ودفن فى مقبرة أهل مكۀ، وقد اقترن موته فيما تقدم ببئر ميمون، ثم ترى أن بئر ميمون عند شعب الخوزأى حيث يدفع فى الوادى، وهكذا تحفر الآبار، وأنه دفن فى الجهۀ الشرقيّۀ حيث الجعفريۀ اليوم، وهذا شاهد بل هناك عدد من الشواهد على أن بئر ميمون كانت فى حيز ما بين البياضيۀ ومقبرة مكۀ.

البَطْحاء:

بفتح الباء وسكون الطاء: اسم مألوف- لدى العرب- لكل أرض فى مسيل السيل: قال حذافۀ العدوى يمدح بنى هاشم (۱):

هُمُ ملأوا البطحاء مَجْداً وسُؤْدَداً وهم تركوا رأى السَّفَاهۀ والهجر وقيل: جاء هشام بن عبد الملك يطوف بالبيت فيقترب من الحجر الأسود فلا يَفْسح له أحد، فبينما هو كذلك فإذا بعلى زين العابدين بن الحسين (عليه السلام) يطوف بالبيت، فإذا اقترب من الحِجر انجفل الناس عنه وتركوه له، فاغتاظ هشام لذلك فسأله أحد مرافقيه: مَن هذا؟ فقال: لا أعرفه. وكان الفَرَزْدَق حاضراً فاغتاظ لذلك فأنشأ قصيدة منها:

هذا الذى تعرف البطحاءُ وطأتَهُ والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحَرَمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللَّه كُلِّهُمُ هذا التَّقِىُّ النَّقِىُّ الطاهِرُ العَلَمُ

وليس قولُك: لاـ أعرف بضائرِهِ العُرْبُ تعرف مَن أنكرتَ والعَجَمُ وكان الفرزدق فى حاشيۀ هشام، ولكن الأمويين ما كانوا يقرّبونه؛ لكثرة افتخاره بكرم أبيه وإطرائه بنى هاشم، فغضب هشام فسجن الفرزدق بعُسفان.

۱- ۱ معجم ما استعجم البطحاء.

ص: ۱۴۹

ثمّ اطلعت على أقوال فی قصیدة الفرزدق هذه، فبحثتها فی کتابی أمثال الشعر العربی، قافیة المیم المضمومة، فاذا شئت فراجعه.

وکانت فیصغرنا بطحاء. أما الیوم فهی شارع معبد وأرصفة، وکان أهل مکة یعرفون أن البطحاء بین مهبط ریع الحجون والمسجد الحرام، فإذا تجاوزت ریع الحجون مشرقاً فهو الأبْطح إلی المنحنی عند بئر الشَّیْبی.

ویطلق علیها المعلاة، أما ما بعد المسجد جنوباً بغرب فهو المسفلة إلی قوز المَکّاسة. وقوز المَکَّاسة: دعص رمل أسفل من کُدَیٍّ، کان یسمی «الرُّمَضَة».

وکان لقریش اعتزاز بالبطحاء، فالسید العندید یسمی (سِیّداد البطحاء)، وقریش مکة یسمون قریش البطاح، تمییزاً لهم عن قریش الظواهر أی ظاهر البادیة.

بَلْدَح:

بفتح الباء الموحدة وسکون اللام وفتح الدال المهملة وآخره حاء مهملة أیضاً.

قال ابن قَیْس الرُّقَیَّات (۱):

فِمِنیً فالجِمارُ من عبد شمس مُقفرات، فَبلْدَحٌ فحِراءُ وقالوا: لما قتل الحسینصاحب فَخّ سمع علی میاه غَطَفَان کلِّها هاتف یقول:

أَلا یا لقوم للسَّواد المصبّحِ ومَقتل أَولادِ النَّبیِّ ببَلْدَحِ

لِیَبْکِ حُسَیْناً کلُّ کَهْلٍ وأمرَدٍ من الجنِّ، إن لم تَبکِ للإنس نُوَّحِ وبلدح: هو وادی مکة الثّانی، الذی تقع فیه مقبرة الشُّهداء وأمُّ الدود (أمّ الجود). وسماه الأزرقی وادی مکة.

وقال: إن وادی بکَّة هو الذی یمرّ بالبیت (وادی إبراهیم)، وکان بَلْدَح فی

۱- ۱ معجم معالم الحجاز ۱: ۲۵۰.

ص: ۱۵۰

عهد الأزرقی لکل جزع منه اسم: فبقرب حراء یسمی مکة السِّدر، وعند الشهداء یسمّی فَخّاً. ویظهر أن اسم بلدح- من قدیم- لا یطلق إلا علی ما تجاوز الزاهر إلی الحدیبیة (الشمیسی)، وهناک أقوال وتعریفات ترکت للاختصار، راجعها فی المعجم (۱).

والحسین المقتول بفخ، الذیصار یسمیصاحب فخ: هو الحسین بن علی بن الحسن بن عمّ موسی الکاظم (علیه السلام)، خرج علی الدولة العباسیة سنة ۱۶۹ ه فقتله والی مکة، بعد معرکة دامیة فی المکان المعروف- الیوم- بالشهداء، فسمی هذا الحی الشهداء من یومها، أی مقبرة الشهداء. ولتلک الموقعة أخبار مطوّلة سنأتی علیها عند ذکر فخ إن شاء اللّٰه.

وقد نقل بعض المؤرخین: أنَّ عبد اللّٰه بن عمر دفن فی هذا الموضع، وهذا وهم، فعبد اللّٰه بن عمر دفن بمقبرة بنی عبد اللّٰه بن أسید فی أَذاخِر.

وقد تقدّم الحدیث عنها فی «أذاخر».

التَّنضباوی:

جزء کبیر من وادی ذی طوی: وادٍ کبیر یسیل من الطرف الغربی لجبل أذاخر وشمال جبل (قُعَیْقِعان)، فیسمی أعلاه اللصوص نسبة إلی ربع فی رأسه یسمی ربع اللصوص، سمی الآن ربع السد، نسبة إلی سدّ فخ القریب منه.

ثم یسمی العتیبیة إذاصار بین الحجون والکحل (الثنیة الخضراء) وعند بئر طوی یسمی جرول.

فاذا تجاوز الطرف الغربی لجبل الکعبة سمی التنضباوی؛ والاسم الذی یکتب فی الدوائر اسم غریب لم أر له اشتقاقاً أو نسبة هو الطندباوی، وهذا خطأ واضح، والاسم الصحیح هو (التنضباوی) نسبة إلی أشجار التنضب التی لحقنا

۱- ۱ المصدر نفسه.

ص: ۱۵۱

نحن بعضها عندما كانت تبنى تحتها أكواخ التكاررة، وسألت بعض شيوخ قبيلة المجانين عن اسم هذا الوادى، فقال: كله وادى طوى.

وسألته عما كان ينبت فى هذا الجزء من الوادى؛

فتبسم وقال: ما لحقنا فيه غير التنضب.

وسماه الأزرقى- فى هذا الموضع- (الليط). ثم يجتمع وادى طوى بوادى إبراهيم تحت جبل (ثبير الزنج) جبل المسفلة من الجنوب الغربى، فيكون أكبر روافد وادى إبراهيم.

وكانت هناك لوحة كتب عليها الطنبدأوى، وقال بعض العامة:

الطنطباوى، إلى آخر التحريفات.

التَّنْعيم:

وادٍ ينحدر شمالًا بين جبال بشم شرقاً وجبل الشَّهيد جنوباً فيصب فى وادى ياج، وهو ميقات لمن أراد العمرة من المكيين، وتسمى عمرته: عمرة التنعيم، أى مكان الاعتمار، وذلك تمييزاً لها عن عمرة الجعرانة، وكان يسمى نعمان، قال محمد بن عبد اللَّه النُّميرى:

فلم تر عينى مثلَ سِرب رأيتُه خرجنَ من التنعيم معتمرات

مررنَ بفَخّ ثم رُحنَ عشية يلبّين للرحمن مُؤتجرات

فأَصبح ما بين الأراك وحذوَه إلى الجذع جذع النخل والعمرات

له أَرَجٌ بالعنبر الغض فاغم تطلَّع رَيَّاه من الكفرات

تضوّع مِسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشت به زينبٌ فى نسوة عطرات وقد توهم بعضٌ أن نعمان الوارد هنا هو نعمان الأراك، وهذا خطأ، إذ إن من يعتمر قاصداً المسجد الحرام ليس قريباً من نعمان الأراك.

ص: ۱۵۲

وقد أصبح التنعيم اليوم حياً جميلًا من أحياء مكة. وقد ثبت أن رسول اللّه (صلى الله عليه و آله) أمر عبد الرحمن بن أبى بكر أن يعمر عائشة أخته من التنعيم، ومن ذلك اليوم اتخذه أهل مكة عمرة، وهو أقرب الحلّ إلى المسجد الحرام، فهو يقع على قرابة ستة أكيال شمالًا من المسجد الحرام على طريق المدينة.

وقد فسّر بعض الأدباء شعر النميرى: أنه على نعمان الأراك، لورود اسم نعمان، وذكر الأراك فى هذا الطريق، وليس لهم ذلك، ففى هذا الشعر: ذكر العمرة من التنعيم، ثم هبوط النسوة فخّاً بعد ذلك، متجهات إلى المسجد الحرام (موتجرات).

ثَبِير:

بفتح الثاء المثلثة، وكسر الباء:

قال عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو الملقب بالعرجى نسبة إلى عرج الطائف (۱):

وما أَنسَ مِ الأشياءِ لا أَنسَ موقفاً لنا ولها بالسَّفْح دون ثَبِيرِ

ولا قولها وهَناً وقد سَمَحتْ لنا سوابقُ دمعٍ لا تجفّ غَزِير:

أأنتَ الذى خبَّرت أنّك باكِر غداةَ غدٍ أو رائحٍ بهَجِيرِ؟ ويقول الحارث بن خالد المخزومى:

إلى طرف الجمَار وما يليها إلى ذات القَتَادة من ثَبِير قلت: معظم جبال مكة الكبار كانت تسمى الأثْبِرة جمع ثبير فمنها: ثبير غَيْناء وهو أشمخ هذه الأثْبِرة، وهو الذى تسميه عامة أهل مكة اليوم جبل الرَّخَم ذلك أن على رأسه غر الطير لا يفارقه، وكان يسمى- أيضاً- ثَبير الأثْبِرة، أى كبيرها. وكان يسمى فى الجاهلية سَمِيراً ثم سُمِّيصَفَراً، وكان يقال لقمته ذات

۱- ۱ معجم البلدان ثبير.

ص: ۱۵۳

القتادة، وهو المقابل لجبل النور (حراء) من الجنوب، والمشرف على منى من الشمال، ويسمى متنه الشمالى الشرقى «ثَقَبَةَ» بثلاث فتحات.

وكان الجاهليون لا يفيضون من مزدلفة حتّى تشرق الشمس على رأسه.

ولذلك يقولون: أشرق ثَبِير كيما نغِير.

الأثبرةُ:

جمع ثَبِير بفتح الثاء وكسر الباء الموحدة:

اسم يطلق على عدد من جبال مكة منها ثَبِير غَيْناء- كما تقدّم- وهو أضخم جبال مكة، يشرف على الأبطح من الشرق، ويشرف على منى من الشمال، ويقابل حِرّاء من الجنوب، وتعرفه العامة اليوم بجبل الرخم- كما تقدم أيضاً-.

وثبير الزنج: جبل المسفلة الذى يشرف عليها من الغرب، ومنه جبل عُمَر وجبل الشراشف وجبل الناقة وغيرها.

أجزاء من الجبل يسمى كل منها جبلًا، وهى من عادات العرب فى التسمية.

وثَبِير الخضراء: الجبل الذى يتصل بالخنادم من الشرق، يناوح ثَبِير غَيْناء من الغرب الجنوبى، يمتد جنوباً إلى جبل سُدَير، وغرباً إلى جبل السبع بنات، ومنه تشاهد جبل ثَوْر جنوباً عدلًا.

وثَبِير النَّصْع: جبل المزدلفة. وغيرها.

قال الفضل بن العباس اللُّهبى نسبةً إلى أبى لهب عمِّ النبى (صلى الله عليه و آله) (۱):

هيهات منك قُعَيقعانُ وبَلْدح فجنوب أثْبِرةٍ فبطنُ عِساب

فالهاوتانِ فَكْبكَبٌ فجتاوب فالبعوصُ فالأفراع من أشْقَاب قوله: فبطن عساب، لعلصوابه (فبطن كِساب)؛ لأن كساباً جبل لا زال معروفاً فى طرف وادى ملكان، وهو الذى يقول فيه عمر بن أبى ربيعة:

حى المنازل قد عمرنا خرابا بين الجرير وبين ركن كسابا (۲) أما عساب- أوله عين- فلم أجد مَن يعرفه.

وثَبِير الأحْدَب: وهذا هو الطرف الشمالى من ثَبِير النصع، يقع بين جبل ثَقَبَة وجبل الطارقى شمال مُزْدَلِفة، ولا تتصل حدودها به، ومنه يسيل وادى أُفَاعية الذى يمر بين ثَبِير غَيْناء وبين حِرَاء، وكان يُكوِّنصدر وادى إبراهيم، فكان سيله يضر بالمسجد الحرام؛ لأنه يسيل من جبال شوامخ، فلمّا بنى (العدل) حُوِّل ماء أفاعيه إلى مكة السدر «الصفيراء اليوم» فصار يذهب إلى فَخّ فبلدح.

وثَبِير النصع: وهذا هو الجبل الضخم الذى يشرف على مزدلفة من الشمال والشرق، ويعرف باسم جبل المزدلفة، يفصل بينه وبين المأزمين ريع يسمى رقع الْمرَار.

وثَبِير الزِّنْج: ويقول الأزرقى انه سمى بذلك، لأن زنوج مكة كانوا يحتطبون منه، ويلعبون عنده، وهو المعروف- اليوم- بجبل المسفلة، وله أسماء عديدة منها:

جبل عُمَر، يطلق على القسم المشرف على الشُّبِيكة، يأخذه ريع الحفاير، وجبل الناقة يجاور جبل عُمَر من الجنوب الشرقى، والناقة: حصاة هناك تشبه الجمل.

يجاور ذلك جبل الشراشف، وفى الجنوب الغربى يسمى جبل النُّوبة، ولعل هذا لهصلة باسم الزنج، ويسمّى غربه جبل الحفائر، والحفائر كانت تسمى فى عهد الأزرقى «الممادر»، أى حيث يستخرج المدر: وهو الطين الذى كانوا يبنون به، وهى- اليوم- حى من أحياء مكة، وثَبِير الخضراء هو الجبل ذو القلة الذى يشرف على الأقحوانة من الجنوب، ويمتد غرباً بجنوب فيتصل بالخنادم، ويمتد جنوباً فيتصل بجبل سُدَير، كما تقدم.

۱- ۱ انظر معجم معالم مكة التأريخية والأثرية.

۲- ۱ انظر معجم معالم مكة التأريخية والأثرية.

ص: ۱۵۴

ص: ۱۵۵

وثَبير ثَوْر: وهو يتلو هذا.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يعرف- اليوم- اسم ثَبِير بل أن كثيراً من جبال مكة لا تعرف لها أسماء.

ثَوْر:

بلفظ ثور البقر جبل يقع جنوب مكـة: يرى من المزدلفـة ومن المسـفلة، وقـد تقـدم أيضاً أنه أحـد أثبرة مكـة. قال أبو طالب عمُّ النّبى (صلى الله عليه و آله) (۱):

أَعوذُ بربّ الناس من كلّ طاعنٍ علينا بشرٍّ، أو مُخلِّق باطل

ومن كاشِحٍ يسعى لنا بمعِيبَةٍ ومن مُفترٍ فى الدِّينِ ما لم يحاولِ

وثَوْرٍ ومن أرسـى ثَبِيراً مكانه وعَيْرٍ وراقٍ فى حِرَاءٍ ونازلِ وهـذا الشـعر يـدل على أن ثَوْراً كان معروفاً فى مكة. ومنذ أن لجأ إليه رسول اللَّه (صلى الله عليه و آله) عند بدء الهجرة أصبح هذا الجبل مقدّساً يزوره المسلمون للذكرى، ويدخله بعضهم تيمناً.

وجاء فى سبب تسميته أطْحَل على وزن أفْعَل من الطُّحْلة وهى لون معروف (۲).

قـال المتقـدمون: إنه اسم الجبل المعروف اليوم باسم ثور، وإنّ اسم ثور هو ابن عبـد مناة بن أدّ بن طابخـة، فنسب ثور هـذا إلى الجبل أطحل فقيل: ثور أطحل. وإليه ينسب الفقيه المحدث سفيان بن سعد الثورى. وليس إلى ثور قضاعة.

قال البعيث الشاعر:

وجئنا بأَسلاب الملوكِ وأحرزتْ أَسنَّتُنا مَجْدَ الأسنَّة والأكلِ

وجئنا بعمروَ بعدما حلّ سربها محلَّ الذليل خلف أَطْحل أو عُكْلِ

۱- ۱ معجم البلدان ثور والسيرة «لامية أبى طالب».

۲- ۲ ان يكونصدر الدابة يميل إلى الحمرة، و هو لون مميز.

ص: ۱۵۶

ويعرف هذا الجبل- اليوم وفى التاريخ الإسلامى- بجبل ثور، وفيه غار ثور الذى أوى إليه محمّد (صلى الله عليه و آله) ورفيقه فى بدء الهجرة إلى المدينة.

وقد تناقل الناس- إلى اليوم- تحديداً خاطئاً لجبل ثور، فنجد فى مقررات المدارس أنه جبل بأسفل مكة. وهذا خطأ، فالجبل يقع جنوباً عدلًا من مكة أى جنوب المسجد الحرام، ولكن الطريق إليه كانت من المسفلة، ثم من ريع كُدَىّ وهما أسفل مكة، فظن زائروه أنه أسفل مكة. أما اليوم فيمكن الذهاب إليه من أجياد مباشرة بعد أن شُقّ ريعٌ هناك سمّىَ ريعَ بَخْش.

والناس يزورون الغار المقدس هناك، ولهم خرافة تقول: إن من يتعسر خروجه منه فهو لغير أبيه، ولا أدرى مَن أول من أطلق هذه الخرافة؟ غير أننا لم نر سميناً استطاع دخوله كما لم نر نحيفاً تعسر خروجه منه. والإسلام لا- يجيز مثل هذه الإشاعات، واختراع الخزعبلات.

وشهرة غار ثور فى مكة تغنى عن تحديده، وأنت تراه من حيث أتيت مكة بارزاً يشبه شكله شكل ثور مستقبل الجنوب، ولعل لشكله علاقة باسمه.

الجَزْل:

بفتح الجيم وسكون الزاى ..

قال عمر بن أبى ربيعة (۱):

ولقد قلت ليلة (الجَزْل) لما أخضلت ريطتى علىَّ السماء

ليت شِعْرى وهل يردّنّ (ليت) هل لهذا عند (الرَّبَاب) جزاء؟ وقال السباعى فى تاريخ مكة: جزل- بكسر أوله وتشديد ثانيه-: نسب إلى طائفة من الجنود كانت تلعب فيه.

وأقول: شعر عمر يدل على أن المكان كان معروفاً قبل أن تعرف مكة

۱- ۱ ديوانه: ۱۷.

ص: ۱۵۷

الجنود. ووصف هـذا الجبل ينطبق على الجبل المعروف بجبل خليفـة. وهو المقابل للمسـجد الحرام من الجنوب على يمين الداخل فى أجياد الكبير، فوقه قلعهٔ بناها الشريف سرور أحد ولاهٔ مكهٔ فى العهد العثمانى.

وهذا الجبل شق تحت نفق سنهٔ ۱۴۰۶ ه يوصل بين سفلهٔ مكهٔ وحى جياد الكبير.

الجِعْرَانهُ:

بكسر أوله وسكون ثانيه وتخفيف الراء، كذا اتفق اللغويون على ضبطها.

وأهل مكهٔ اليوم ينطقونها بضم الجيم.

قال أحدهم (۱):

فيا ليت بالجُعرانهٔ، اليوم، دارها ودارى ما بين الشآم فكَبكَب

فكنتُ أراهـا فى الملبين ساعـهً ببطنِ منىً ترمى جِمَـارِ الُمحَصَّب ويقصـد الشـاعر أن تكون داره شـمال كبكب، لأـن الجعرانـهٔ هناك. ولعلصواب قوله: مـا بين الشـآم فكبكب يكون (مـا بين السـتار وكبكب)؛ ذلـك أن جبـل السـتار يقع قرب الجعرانـهٔ من الجنوب، وهو الجبل الذى يشرف على علمى طريق نجد من الشمال، والذاهب من مكهٔ إلى نخلهٔ يجعل الستار على يساره عن قرب.

والجعرانـهٔ اليوم: قريهٔصـغيرهٔ فيصـدر وادى سـرف، فيهـا مسـجد يعتمر منه أهل مكـهٔ المكرمـهٔ، ولها مركز إمارهٔ، وتربطها بمكـهٔ طريق معبدهٔ، وفيها زراعهٔ قليلهٔ. وكان النبى (صلى الله عليه و آله) اعتمر منها بعد غزوهٔ الطائف، خرج منها ليلًا وعاد من ليلته.

۱- ۱ معجم البلدان جعرانهٔ.

ص: ١٥٨

جَمْع:

ضد التفرق.

قال ابن هرمة (١):

سَلا القلبُ إلا من تَذكُّر ليلةٍ بجَمْعٍ وأُخرى أسعَفت بالُمحصَّب

ومجلس أَبكارٍ كأنّ عيونها عيونُ المها أنضين قُدَّام رَبرَب وقال آخر:

تَمنّى أن يرى ليلى بجَمْع يسكن قلبه مما يعانى

فلما أن رآها خوّلتْه بعاداً فَتَّ فى عَضُد الأمانى

إذا سمح الزمانُ بها وضنَّت علىَّ فأىّ ذنبٍ للزمان وقال أبو طالب عمُّ النبى (صلى الله عليه و آله):

وليلة جَمْعٍ والمنازل من مِنىً وهل فوقها من حرمةٍ ومنازلِ؟

وجَمْعٌ إذاً ما المقربات أجزنه سراعاً كما يخرجن من وقع وابل وجمع هى المزدلفة سميت لاجتماع الحجاج فيها عند الإفاضة من عرفة، وبها المشعر الحرام، ومن قال: هى قزح فقد وهم. يصلى الحاج بجمعصلاة المغرب والعشاء جمع تأخير، ثم يبيت بها- على أغلب المذاهب- فيصلى الصبح ويدفع إلى منى.

وكانت العرب لا تدفع إلا بمجيز يدفع بها من جمع. فكانت الإجازة لخزاعة، ثمصارت لعدوان، وكان من عدوان أبو سيارة أحد بنى سعد بن وابش بن زيد بن عدوان، فقال أحدهم (٢):

نحن دفعنا عن أبى سياره وعن مواليه بنى فزاره

حتى أجاز سالماً حماره مستقبل القبلةَ يدعو جاره وكان أبو سياره يدفع بالناس على أتان (٣).

١- ١ معجم البلدان جمع.

٢- ٢ شفاء الغرام، ٢: ٣٢.

٣- ٣ الأتان: انثى الحمار.

ص: ۱۵۹

وفزارة من غَطَفان، ولا أدرى كيف كانوا موالى لأبى سيارة؟ ولم أر مَن علل ذلك.

وكان أبو سيارة يتقدم الحجاجصباح جمع راكباً حماراً ويخطب قائلًا:

اللهمّ أصلح بين نسائنا، وعاد بين رعائنا، واجعل المال بين سمحائنا، أوفوا بعهدكم، وأكرموا جاركم، وأقروا ضعيفكم. ثم يقول: أشرق ثَبِير كيما نغير.

وعلى كلّ فالناس- اليوم- لا تعرف جمعاً، إنما يعرفون المزدلفة، وهم يقولون (مزدلفة) و (مستلفة).

... يتّبع

ص: ۱۶۰

الهوامش:

زمزم فی الشعر العربی ماءُ زمزم لما شُربَ له

ص: ۱۶۱

زمزم فی الشعر العربی ماءُ زمزم لما شُربَ له

یا زمزمَ الخیرِ والرّوحُ الأمینُ أتی یَشُقّها عند إسماعیل مُرتضعا

کأسٌ من الحُبّ أهداه الکریمُ إلی طفلِ الخلیل فکان الرِّیَّ والشِّبَعَا بُرْءُ السّقامِ بها، برُّ الطّعام بها ریُّ الشّراب بها فی مائها اجتمعا

أغْنَتْ أبا الذَّرِّ عن ریِّ لَیالیَهُ وأسمَنَتْهُ بلا زادٍ فما جزعا

وکم سقیم رأی فی مائها فرجاً لَمّا تَناولَ من سلسالها جُرَعا

سُؤْرٌ من الخُلد أبقاهُ الکریمُ علی مرّ الزّمان لمن لبّی ومَن خشعا

ضیافةٌ منه للرّاجین رحمتَه ولا یُذادُ الذی فی برِّها طمعا

کذلک یَروِی ابنُ عبّاسٍ «لما شُربَتْ» فانهل بها ثمّ سَلْ ما شئتَ مُقْتَنِعا محی الدین عبد الحمید، عالج نفسک بماء زمزم: ۱۵۱

زمزم

ص: ۱۶۲

زمزم

ورثنا المجد عن آبا ئنا فرقا بناصعدا

وأیّ مناقبِ الخیر لم تشدد بنا عضدا!

أَلم نسق الحجیجَ ونذ حر الدلّافهٔ الرفدا

ونلقی عند تصریف ال منایا سادهٔ سددا

وزمزم من أرومتنا وبرغم أَنف مَن حسدا

وخیر الناس أولنا وخیر الناس إن بعدا

فإن نهلک فلن نملک وهل من خالد خلدا

وأیّ الناس لم نملک ونُمجّده وإن مجدا مسافر بن أبی عمرو بن أمیهٔ بن عبد شمس

***

لقد فَضَّلَ الرحمنُ آلَ محمّد بعلم وکانَ اللَّهُ بالنّاس أَخبرا

سقاهم لیسقوا الحاجَّ فی الحجِّ زمزما وخطَّ لهم فی جنّهٔ الخلدِ کوثرا الفضل بن عبد الرحمن بن ربیعهٔ بن الحارث بن عبد المطلب

***

ولنا حوضان لم یعطهما غیرَنا اللَّهُ ومجد قد تلد

حوضنا الکوثر حقّ المصطفی یرغم اللَّهُ به أهلَ الحسد

ولنا زمزم حوض قد بدا حیث مبنی البیت فی خیر بلد *** کما قال أیضاً:

حوض النبیّ وحوضنا من زمزم ظمئَ امرؤٌ یَرْوِه حوضانا فإذا رأیت شریبنا ومقامه من حوضنا فشریبنا أروانا

متمکناً یقضی وینفذ أمره حتی یکون کأنه أسقانا الفضل بن العباس اللهبی

***

زعم العلاء وغیره لم یزعم أن النبیذ مع النشیل محرم

کذبوا ورب منی لقد جاشت به حُمر الحیاض تحوز ذلک زمزم

هذا النبیذ ببطن مکهٔ سُنهٔ وإذا وردنا بطن حجر یحرم رجل من بنی حنیفهٔ

***

ویا واصفاً من ماء زمزمَ فَضْلَه نبیّ الهدی فی وصفه منک أوصَفَا

شفاء لسُقْم، بل طعامٌ لطاعمٍ رویناه مرفوعاً لنا، ومعرَّفا

وفی جُنْدُبٍ لما استقی بکٍّ آیهٔ بتعکین بطن منه فی شدهٔ العفا أبوذر الغفاری (جندب بن جنادهٔ)

ص: ۱۶۳

ص: ۱۶۴

شوقٌ ودعاء

وزمزم ماؤُها عذبٌ فراتٌ ترى فيها الشفاءَ وخيرَ طبِ

وكم نَهِلَتْ على ظمأٍ قلوبٌ وكم هَنِئَتْ بها من دون ريبِ!

فهل لى رشفَةٌ منها قريباً أُداوى مهجتى وأبُلُّ قلبى؟

فلا تحرم إلهى من تَمنّى ولا تمنعْ إلهى أيّصَبِ

إذا ما قُلتُ: ذا ماءٌ قراحٍ يقول السّائغون: بلى وربّى

فحسبى جُرْعةُ أُطفى أُوارى وأنقعُ غُلَّتى، وأُزِيلُ كَربى محى الدين عبد الحميد، عالج نفسك بماء زمزم: ۱۶۸

من اسماء زمزم عند الشعراء

من أسماء زمزم عند الشعراء

لزمزم أسماءٌ أتت فهى برّة وسيدةٌ بشرى وعصمةُ فاعلمِ

ونافعةٌ مضنونة عونةُ الورى ومُرْويةٌ سُقيا وظَبْيَة فافهم

وهمزةُ جبريل وهَزْمتُه كذا مباركةٌ أيضاً شفاءُ لأسقُمِ

ومُؤنِسةٌ ميمونةٌ حرميّةٌ وكافيةٌ شبّاعةٌ بتكرُّمِ

ومُغْذية عُدَّت وصافيةٌ غَدَتْ وسالمةٌ أيضاً طعامٌ لأطْعُمِ

شرابٌ لأبرار وعافيةٌ بَدَتْ وطاهرٌ تُكْتَم فأعْظِم بزمزمٍ وقال آخر:

لزمزمَ أسماء منها زمزمُ طعام طُعم وشِفَا مَن يسقَمِ

سُقْيَا نبىّ اللَّه إسماعيلا مُرْوية، هزمة جبرائيلا

ص: ۱۶۵

مُغْذِیهٔ عافیهٌ وکافِیَهٔ سالمهٌ وعصمهٌ وصافیَهْ

وبَرَّهٔ برکهٌ مبارکهٔ نافعهٔ سرٌّ یغشی ناسکه

مُؤنِسهٌ حِرْمِیّهٔ میمونهٔ وظَبْیهٔ طاهرهٔ مضنونهٔ

سیِّدهٔ وعَونهٔ قدْ دُعِیَتْ شبَّاعهٔ العیال قِدْماً سُمِّیت من کتاب فضل ماء زمزم: سائد بکداش.

***

زمزم خارج بأمر اللَّه أغاثه لابن خلیل اللَّه

وأُمّه هاجر حین سکنا بمکهٔ وبعده زال العنا

والابن هذا هو إسماعیل ذاک النبیّ الصادق النبیل

ابن خلیل اللَّه إبراهیم علیهما الصلاهٔ والتسلیم

وکان إسماعیل وهو یرضع عند خروج الماء وهو ینبع

قد وصلت حالته من الضرر من عطش فی منتهی من الخطر

خافت علیه أُمّه الموت ولا أنیس ولا وحش لدیهم لا ولا

قامت لتسعی سعیها فی الوادی فربما یغیثها منادی

إذ سمعتصوتاً کصوت شخص فهرولت تسعی أشدّ الحرص

فرأت الماء یفور جاریاًصارت تحوطه لیبقی باقیا

أخرجه جبریل رفقاً بهماصلّی علیه ربُّنا وسلما

فی ذلک العهد من الزمان بأمر ربِّ الملک الدیان

فشربت هاجر بعد أن سقت ولیدَها فرویا وفرحت

أغاثها ربّ العباد المنعم وصانها من الردی المحتم بـذا أتی الحدیث فی الصحیح فلا تمل عن قولنا الصحیح التاریخ القویم لمکّهٔ: الکردی

زمزم

ص: ۱۶۶

زمزم

هل ترى الشمس تحجّ الأربعا وضياها موشكاً أن يخشعا

هاهنا واد نداه أدمع ما تراه العين حتى تدمعا

فاخشعى يا روح فى أرجائه والثمى البيت وحيى الأربعا

أربعا لم تلف إلا حرة هاهنا المجد الذى لن يركعا

هاهنا فاضت ينابيع السنا وحبا التاريخ والدنيا معا

طوّفى يا روح فى الوادى فكم من نبى قام فيه وسعى

طهَّر اللَّه روابيه العلى بسلام دائم لن يفزعا

وأقام العزّ فى ساحاته وبنى البيت العتيق الأرفعا

لا تقلصحراء فيها جفوة فطرة اللَّه هنا ما أروعا

إنها مدرسة المجد التى نظم اللَّه بناها ورعى

ومع الجدب فقدصارت بما قدمت للناس سهلًا ممرعا

إنما الجدب عليها قبة ومجن رد عنها المطمعا

قد حماها الروم والفرس فلم يجد الزيف إليها مهيعا

حسبها واللَّه أن أهدت لنا أحمدَ النور وكانت مرتعا

من لدن آدم كانت مرتعا للهدى يأوى إليها طيعا

يا نداء اللَّه فى أرجائها يا أذان النور فيها مبدعا

يا خليل اللَّه هذى ساحة كتب اللَّه لها أن ترفعا

فامضِ يا جبريل واحفر زمزما وَ ارْوِ إسماعيل حتى يشبعا

واسق أجيالًا عطاشاً بعده من حجيج البيت كأساً منزعا

ص: ۱۶۷

إن یکن ماءً ففیه نفحهٔ کم أثارت شوقهم والأدمعا

یا ضیوفَ اللَّه لبُّوا ربّکم قد دعاکم فأجیبوا إذ دعا

یا ضیوفَ اللَّه هذی مکهٔ فادخلوها سجداً أو رکعا

واحملوا البرَّ إلی أکنافها کتب اللَّه هنا أن یجمعا

وانثروا الدمعصلاهٔ وانهلوا قرهٔ العین هنا أن تدمعا

واسمعوا کلّ ملبٍّ جاءها نشوهٔ الروح هنا أن تسمعا

واطلبوا العودهٔ فی الحِجر فکم تشتهی النفس هنا أن ترجعا

یا ضیوفَ اللَّه هذا بیته ویمین اللَّه فی الأرض معا محمد بدر الدین

***

تحقیق حول شعب أبی طالب

ص: ۱۶۸

تحقیق حول شعب أبی طالب

علی قاضی عسکر

علی قاضی عسکر

فی بدایة شارع الحجون شِعبٌ، یُسمّی فی الجاهلیة وبعد الإسلام ب «شعب أبی دُبٍّ»، ویسمّیه أهل مکة الیوم ب «مقبرة المعلّاة»، أو «جنة المعلّاة» (۱) ومعروف بین الإیرانیین ب «مقبرة أبی طالب». وکان أهل الجاهلیة وفیصدر الإسلام یدفنون موتاهم فی شعب أبی دب (۲) من الحجون إلی شعب الصفی،صفی السباب، وفی الشعب اللاصق بثنیة المدنیین الذی هو مقبرة أهل مکة الیوم (۳).

ویسمّی هذا الشعب أیضاً ب «شعب العفاریت»، ویعرف الیوم بشعبة الجن. وهو یتصل بالحجون الجاهلی (۴)، وهذا مکان یقصده الکثیر من حجاج بیت اللَّه

۱- ۱ فقه العبادات الحج: ۲۰۵.

۲- ۲ أبو دب کنیة رجل من بنی سُواءة بن عامر، سکنه فسمّی به، أخبار مکة للأزرقی ۲: ۲۱۰- معجم معالم‌الحجاز: ۵۶.

۳- ۳ أخبار مکة للازرقی ۲: ۲۰۹.

۴- ۴ المصدر نفسه ۲: ۲۷۲ فی هامشه.

ص: ۱۶۹

الحرام فی کل عام بعـد اتمام العمرهٔ أو الحـج لزيارهٔ المـدفونين فيه، منهم خديجهٔ بنت خويلد زوجهٔ رسول اللَّهصـلی الله عليه و آله امّ المؤمنين، وأبو طالب عمّ رسول اللَّهصلی الله عليه و آله و ....

يسـمّی بعض الناس هـذا الشـعب باسم «شـعب أبی طالب»، ويريـدون بـذلک المکان الذی حوصـر فيه رسول اللَّهصـلی الله عليه و آله وخديجهٔ وأبو طالب ومن کان معهم، لمدّهٔ ثلاث سـنوات من قبل المشرکين، وهی تسميهٔ غيرصحيحهٔ من الوجههٔ التاريخيّهٔ؛ لأنّ شعب أبی طالب مکان آخر بقرب المسجد الحرام.

نورد فيما يلی الأدلّهٔ الواضحهٔ، والقطعيّهٔ علی هذا الادّعاء:

الشعب فی اللّغهٔ:

قال الجوهری (م ۳۹۳ ه) فی الصحاح:

و «الشعب» بالکسر، الطريق فی الجبل والجمع «الشعاب» (۱).

قال ابن منظور (م ۷۱۱ ه) فی لسان العرب:

والشِّعْبُ: ما انْفَرَج بين جَبَلَين. والشِّعْب: مسيل الماء فی بطنٍ من الأرض (۲).

وقال فخر الدين الطريحی (م ۱۰۸۵) فی مجمع البحرين:

... «الشِّعب» بالکسر، هو الطريق فی الجبل، والجمع «شِعاب» ککتاب (۳).

مکان شعب أبی طالب:

تقع مدينهٔ مکهٔ فی أرض جبليهٔ وبين شـعابٍ کثيرهٔ؛ ولهذا فهی فی موقع منيع من مخاطر السـيول، وتبدو کأنّها تحتضن الدور الّتی فيها، بما يشبه الحصن الطبيعی، وقد کانت موطناً لسُکنی مختلف القبائل.

وفی جوار المسجد الحرام ثلاثهٔ شعاب متقاربهٔ وهی:

۱- ۱ الصحاح ۱: ۱۵۶.

۲- ۲ لسان العرب ۷: ۱۲۶.

۳- ۳ مجمع البحرين ۳: ۵۱۳.

ص: ۱۷۰

۱- شعب أبى طالب.

۲- شعب بنى هاشم.

۳- شعب بنى عامر.

وكان أجداد النبيصلى الله عليه و آله وقومه قد سكنوا فى هذه الشعاب الثلاثة.

(موضع هذه الشعاب الثلاثة موضّح فى الخارطة بشكل دقيق)

ص: ۱۷۱

قال الطريحى بعد تعريفه لمعنى الشعب:

وشِعبُ أبى طالب بمكة، مكان مولد النبيصلى الله عليه و آله وشعب أبى دبّ أيضاً بمكة وأنت خارج إلى منى (۱).

وجاء فى معجم البلدان فى ذيل كلمة «شعب أبى يوسف»:

وهو الشعب الذى أوى إليه رسول اللّهصلى الله عليه و آله، وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بنى هاشم وكتبوا الصحيفة، وكان لعبد المطلب فقسّمه بين بنيه حين ضعف بصره، وكان النبيصلى الله عليه و آله أخذ حَظَّ أَبيه، وهو كان منزل بنى هاشم ومساكنهم، فقال أبو طالب:

جزَى اللَّه عنّا عبد شمس ونَوْفلًا وتَيْماً ومخزوماً عقوقاً ومأثما

بتفريقهم من بعد وُدّ وأُلْفَةٍ جماعتنا كيما يَنالوا المحارما

كذبتم وبيتِ اللَّه نُبزى محمداً ولَمّا تَرَوْا يَوْماً لدى الشِّعب قائماً (۲) وقال العلّامة المجلسى قدس سره:

والشعب بالكسر: ما انفرج بين جبلين، وشعب أبى طالب معروف بمكّة، وهو الموضع الذى كان فيه رسول اللّهصلى الله عليه و آله وأبو طالب، وساير بنى هاشم عند إخراج قريش إياهم من بينهم. وكتب الكتاب بينهم فى مهاجرتهم ومعاندتهم.

ثم يقول فى ذيل كلمة الكلينى رحمه الله: «فى دار محمد بن يوسف»: المشهور فى السّير: أن هذه الدار كانت للنّبيصلى الله عليه و آله بالميراث، ووهبها عقيل بن أبى طالب، ثم باعها أولادُ عقيل بعد أبيهم محمدَ بن يوسف أخا الحجاج فاشتهرت بدار محمد بن يوسف، فأدخلها محمد فى قصره الذى يسمونه بالبيضاء، ثم بعد انقضاء دولة بنى أمية حجّت خيزران أُمّ الهادى والرّشيد من خلفاء بنى العباس فأفرزها عن القصر وجعلها مسجداً.- والقصوى مؤنث أقصى أى الأبعد- والمكان بهذا الوصف موجود الآن يزوره الناس (۳).

۱- ۱ مجمع البحرين ۲: ۵۱۳.

۲- ۲ معجم البلدان ۳: ۳۹۳.

۳- ۳ مرآة العقول ۵: ۱۷۳ و ۱۷۴.

ص: ۱۷۲

الدّار التی ولد فیها النبیصلی الله علیه و آله:

معرفة الموضع الذی ولد فیه النبیصلی الله علیه و آله والدیار التی کان یسکنها بنو هاشم فی مکة؛ یساعدنا علی أن نعرف شعب أبی طالب.

قال الأزرقی:

مولد النبیصلی الله علیه و آله أی البیت الذی ولد فیه النبیصلی الله علیه و آله وهو فی دار محمد بن یوسف أخی الحجاج بن یوسف، کان عقیل بن أبی طالب أخذه حین هاجر النبیصلی الله علیه و آله وفیه وفی غیره یقول رسول اللّهصلی الله علیه و آله عام حجة الوداع حین قیل له: أین ننزل یا رسول اللّه؟ وهل ترک لنا عقیل من ظل؟ فلم یزل بیده وبید ولده حتّی باعه ولده من محمد بن یوسف، فأدخله فی داره التی یقال لها البیضاء، وتعرف الیوم بابن یوسف، فلم یزل ذلک البیت فی الدار حتّی حجّت الخیزران أمُّ الخلیفتین موسی وهارون فجعلته مسجداً یصلی فیه، وأخرجته من الدار وأشرعته فی الزقاق الذی فی أصل تلک الدّار یقال له: زقاق المولد (۱)، وهذا الشعب یُعرف الیوم بشعب بنی هاشم وشعب علی، ویتّصل بالسّوق المسمّی بسوق اللیل (۲).

وذکر الفاکهی (م ۲۷۲، ۲۷۹ ه. ق):

ودار ابن یوسف لأبی طالب، والحق الذی یلیه بعضُ دارِ ابن یوسف من مولد النبیصلی الله علیه و آله وهو الشعب الذی حاصرت فیه قُرَیشٌ بنی هاشم، ورسول اللّه مَعَهُم فی الشِّعب (۳).

ثم أشار محقّق هذا الکتاب فی هامشه بانّ هذا الشعب یعرف الیوم ب «شِعْب علی» (۴).

ثم قال الفاکهی بشأن دار أبی یوسف ما یلی:

وقال بعضُ الناس: إنّ دارَ ابن یوسفَ کانت لعبدِ المطلب، فأمر الحجاجُ

۱- ۱ أخبار مکة للازرقی ۲: ۱۹۸.

۲- ۲ المصدر نفسه، فی هامشه.

۳- ۳ أخبار مکة للفاکهی ۳: ۲۶۴.

۴- ۴ المصدر نفسه.

ص: ۱۷۳

أخاه محمـد بن يوسف فاشتراها بمائـة درهم، فـدفعها الحجاجُ إليه، وأمر أخاه محمداً أن يبنيها، فبناها وكلاءُ محمد، فقال الناس: الدار لمحمـد بن يوسف، فلما ولى الوليـد بن عبد الملك (۱) استعملَ خالـدَ بن يوسف بن محمـد بن يوسف على مكة، فادّعى أنها لأبيه، فخاصـمه الحجاج بن عبـد الملك بن الحجاج بن يوسف، فنظروا فى الـدواوين فوجـدوا النفقـةَ والثمَنَ من الحجاج، وكان الحجاج قد جعل الـدارَ الخارجـةَ وقفاً على وَلَـدِ الحكم بن أبى عقيل، والوُسْطى على ولـد محمـد بن يوسف، والداخلـةَ عَلى وَلَدِ الحجّاج. وذكر بعض أهـل مكـة أن محمـد بن يوسف كان أودع عطاء بن أبى رباح المالَ الـذى بناها به ثلاثين ألف دينار، فلمّا أراد وكلاؤه قبضَها، دعا النّاسَ ليشـهدوا على قبضـها منه، فقال سـفيان بن عيينة: قال عمرو بن دينار: فكنت فيمن دُعى لِيَشْهد، فكانت رؤيتُها أحبَّ الَىَّ مِنْ دِرْهَمَين.

ثمصارت هذه الدّارُ بعد ذلك لولد عبد الملك بنصالح. ثمصارت اليوم لأبى سهل محمد بن أحمد بن سهل.

الشاعر يذكر دار ابن يوسف هذه:

وموعِدُها دارُ ابن يوسفَ غُدْوةً كذا الْخَوخَةُ القُصْوى المُغَلَّقُ بابُها ويقال: انّ النبيصلى الله عليه و آله وهب حقّه من هذه الدار، والشِّعْبَ لعقيل بن أبى طالب، وكان رسول اللّهصلى الله عليه و آله سَخيّاً حَليماً سَمْحاً كريماً (۲).

وقال الفاكهى فى موضع آخر:

وفى دار ابن يوسف بئرٌ جاهليـةٌ، حفرها عقيلُ ابن أبى طالب فلم تزل هذه الدار حتّى باعها ولدُه من محمد بن يوسف، وفى هذه الدار (۳) البيتُ الذى وُلِد رسول اللّهصـلى الله عليه و آله وقد اتُّخِذَ مصـلًّى يُصَلّى فيه، والذى يليه حق العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه حتّى دار خالصة مولاة الخَيْزَران، ثم حق المقوّم بن عبد المطلب، وهى دارُ طلوب مولاة زبيدة، ثم حق أبى لهب بن عبد المطلب وهى دار أبى يزيد

۱- ۱ كـذا فى الأصل وهو غريب، لأن الوليـد بن عبد الملك توفى سـنة ۹۶ والحجاج توفى سـنة ۹۵. وقداستعمل الوليد خلال حكمه رجلين على مكة، أولهما خالد القسرى، والثانى عمر بن عبد العزيز، ولم يستعمل على مكة سواهما. انظر شفاء الغرام ۲: ۱۷۲.

۲- ۲ أخبار مكة للفاكهى ۳: ۲۶۶.

۳- ۳ وكان الدار تقع على يسار الداخل إلى شعب على، وبها مكتبة مكة المكرمة التابعة لوزارة الحجوالأوقاف.

ص: ۱۷۴

اللهبى، وفيها كان يسكُن الفضلُ بن العباس (۱).

قال الكلينى البغدادى (م ۳۲۹ ه) قدس سره فى ذكر مولد النبيصلى الله عليه و آله:

ولـد النبيصلـى الله عليه و آله لاثنتى عشـرة ليلة مضت من شـهر ربيع الاوّل فى عام الفيل يوم الجمعة مع الزّوال، وروى أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، وحملت به أُمّه فى أيّام التشريق عند الجمرة الوسطى (۲) وكانت فى منزل عبد اللَّه بن عبد المطلب، وولدته فى شـعب أبى طالب فى دار محمد بن يوسف (۳) فى الزاويـة القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيّرته مسجداً، يصلّى الناس فيه (۴).

وذكر أيضاً فى مكان آخر من أنّه: وماتت خديجة عليها السلام حين خرج رسول اللَّهصلى الله عليه و آله من الشِّعب.

وجاء فى اتحاف الورى بأخبار أمّ القرى:

وكان الحَمْلُ برسول اللَّهصلى الله عليه و آله فى شِعب أبى طالب فى ليلة الجمعة من شهر رجب، وقيل فى أيّام التشريق (۵).

وذكر السيد الأمين فى أعيان الشيعة:

ولدصلـى الله عليه و آله بمكة يوم الجمعة أو يوم الاثنين ... وكانت ولادته فى الدار المعروفة بدار ابن يوسف، وهو محمد بن يوسـف أخو الحجـاج، وكانصلـى الله عليه و آله وهبهـا لعقيل بن أبى طالب، فلمّا توفى عقيل باعها ولـده من محمـد بن يوسف أخى الحجاج، فلمّا بنى داره المعروفة بدار ابن يوسف أدخل ذلك البيت فى الدار، ثم أخذته الخيزران أمّ الرشـيد فأخرجته وجعلته مسجداً يصلى فيه وهو معروف إلى الآن، يزار ويصلى فيه ويتبرك به. ولما أخذ الوهابيون مكة فى عصرنا هذا هدموه، ومنعوا من زيارته على عادتهم فى المنع من التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وجعلوه مربطاً للدواب (۶).

۱- ۱ المصدر نفسه: ۲۶۹.

۲- ۲ أى فى بيت كان قريباً منها وكان البيت لعبـد اللَّه أو موضع نزوله، إذ كانت لأهل مكة فى منى منازل وبيوتينزلونها فى الموسم، ويحتمل أن يكون المراد بالمنزل الخيمة المضروبة له هناك- مرآة العقول ۵: ۱۷۳.

۳- ۳ كان محمـد بن يوسف والياً على اليمن ومعروفاً بعـدائه لآل على عليه السـلام توفّى فى اليمن فى سـنة مائةللهجرة أو قبلها بقليل- الوافى بالوفيات ۵: ۲۴۲.

۴- ۴ الكافى ۱: ۴۳۹.

۵- ۵ إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى ۱: ۱۵.

۶- ۶ أعيان الشيعة ۱: ۲۱۹.

ص: ۱۷۵

وقال تقی الدین الفاسی المکی (م ۸۳۲ ه):

ولدصلی الله علیه و آله بمکة فی الدار التی کانت لمحمد بن یوسف أخی الحجاج بن یوسف. ویقال: بالشعب. ویقال بالردْم (۱). ویقال: بعسفان، قلت: قال السهیلی:

ولد بالشعب. وقیل: بالدار التی عند الصفا. وکانت بعد: لمحمد بن یوسف أخی الحجاج. ثم بنتها زبیدة مسجداً حین حجت. انتهی. والدار التی عند الصفا: هی دار الخیزران، ودار ابن یوسف بسوق اللیل، وهی الموضع المعروف بمولده علیه الصلوة والسلام. وهذا الذی قاله السهیلی فی ولادته بالدار التی عند باب الصفا غریب واللَّه أعلم. انتهی (۲).

وجاء فی السیرة الحلبیة ما یلی:

وکان مولدهصلی الله علیه و آله بمکة فی الدّار التیصارت تدعی لمحمد بن یوسف أخی الحجاج ... وکانت قبل ذلک لعقیل بن أبی طالب، ولم تزل بید أولاده بعد وفاته، إلی أن باعوها لمحمد بن یوسف أخی الحجاج بمائة ألف دینار، قاله الفاکهی ...

فأدخلها فی داره وسماها البیضاء أی لأنها بنیت بالجصّ، ثم طلیت به فکانت کلها بیضاء، وصارت تعرف بدار ابن یوسف. لکن سیأتی فی فتح مکة أنه قیل لهصلی الله علیه و آله:

یا رسول اللَّه تنزل فی الدور؟ قال: هل ترک لنا عقیل من رباع أو دور؟ فان هذا السیاق یدل علی أن عقیلًا باع تلک الدار فلم یبق بیده ولا بید أولاده بعده، إلّاأن یقال المراد باع ما عدا هذه الدار التی هی مولدهصلی الله علیه و آله ... وأن عقیلًا باع دار رسول اللَّهصلی الله علیه و آله التی هی دار خدیجة أی التی یقال لها مولد فاطمة، وهی الآن مسجد یصلی فیه بناه معاویة أیام خلافته، قیل وهو أفضل موضع بمکة بعد المسجد الحرام أی واشتهر بمولد فاطمة، لشرفها والّا فهو مولد بقیة اخواتها من خدیجة ولعل معاویة اشتری تلک الدار ممن اشتراها من عقیل، ویدل لما قلناه قول بعضهم لم یتعرّضصلی الله علیه و آله عند فتح مکة لتلک الدار، الّتی أبقاها فی ید عقیل أی التی

۱- ۱ قال البکری: ردم بنی جُمَح بمکة، کانت فیه حرب بینهم وبین بنی محارب بن فهر، فقتلت بنو محاربمن بنی جمح أشدّ القتل. فسُمّی ذلک الموضع بما رُدِم علیه من القتلی- شفاء الغرام ۱: ۴۳۲.

۲- ۲ العقد الثمین ۱۸: ۲۱۹ و ۲۲۰.

ص: ۱۷۶

هی دار خدیجة، فإنّه لم یزل بهاصلی الله علیه و آله حتّی هاجر فأخذها عقیل. وفی کلام بعضهم لما فتح النبیصلی الله علیه و آله مکة ضرب مخیمة بالحجون فقیل له: ألاـ تنزل منزلک من الشعب؟ فقال: وهل ترک لنا عقیل منزلًا ... وهی أی تلک الدار التی ولد بهاصلی الله علیه و آله عند الصفا قد بنتها زبیدة زوجة الرشید أمّ الأمین مسجداً لما حجت. وفی کلام ابن دحیة أن الخیزران أمّ هارون الرشید لما حجت أخرجت تلک الدار من دار ابن یوسف وجعلتها مسجداً. ویجوز أن تکون زبیدة جددت ذلک المسجد، الذی بنته الخیزران فنسب لکل منهما. وأن الخیزران بنت دار الأرقم مسجداً وهی عند الصفا أیضاً. ولعلّ الأمر التبس علی بعض الرواة؛ لأن کلا منهما عند الصفا.

وقیل ولدصلی الله علیه و آله فی شعب بنی هاشم.

ثم الحلبی یقول: قد یقال لا مخالفة لأنّه یجوز أن تکون تلک الدار من شعب بنی هاشم، ثم رأیت التصریح بذلک، ولا ینافیه ما تقدم فی الکلام علی الحمل من أن شعب أبی طالب، وهو من جملة بنی هاشم کان عند الحجون لانه یجوز أن یکون أبو طالب انفرد عنهم بذلک الشعب واللَّه أعلم (۱) انتهی.

یتّضح من هذه الروایة التاریخیة أن «شعب أبی طالب» لم یکن فی منطقة الحجون، بل قرب المسجد الحرام وإلی جانب جبل الصفا وفی مکان فیه دار محمد بن یوسف ... ولاـ یوجد هنالک دلیل یثبت هذا الاحتمال بأن شعب أبی طالب کان فی منطقة الحجون، وربما یفهم من کلمة «واللَّه أعلم» التی أوردها الحلبی أنه لم یکن متأکداً منصحة ما نقله.

وذکر المسعودی (م ۳۴۵ ه):

وکان مولده علیه الصلوة والسلام لثمان خلون من ربیع الأول من هذه السنة بمکة، فی دار ابن یوسف، ثم بعد ذلک بنتها الخیزران أمّ الهادی والرشید مسجداً (۲).

۱- ۱ السیرة الحلبیة ۱: ۶۲ و ۶۳.

۲- ۲ مروج الذهب ۲: ۲۷۴.

ص: ۱۷۷

وذكر فى موضع آخر:

وفى سنة ست وأربعين كان حصار قريش للنبيصلى الله عليه و آله وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشعب (۱).

ونقل ابن الأثير (م ۶۳۰ ه) عن ابن إسحاق بأن رسول اللّهصلى الله عليه و آله وُلد يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاوّل، وكان مولده بالدار التى تُعرف بدار ابن يوسف، قيل: ان رسول اللّهصلى الله عليه و آله وهبها عَقِيل بن أبى طالب، فلم تزل فى يده حتّى توفى، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج، فبنى داره التى يقال لها: دار ابن يوسف وأدخل ذلك البيت فى الدار حتّى أخرجته الخيزران فجعلته مسجداً يصلّى فيه (۲).

وذكر الطبرى (م ۳۱۰ ه) فى تاريخه نحوه (۳).

وقال الفاسى المكى فى ذكر المواضع المباركة بمكة المشرَّفة المعروفة بالمواليد:

فمنها المولد الذى يقال له، مولد النبيصلى الله عليه و آله بالموضع الذى يقال له سوق الليل، وهو مشهورٌ عند أهل مكة. وذكر الأزرقى أنّ عقيل بن أبى طالب أخذها لما هاجر النبيصلى الله عليه و آله إلى المدينة، ولم يزل بيده ويد أولاده حتّى باعه بعضهم من محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف الثقفى، فأدخله فى داره التى يقال لها دار البيضاء، ولم يزل هذا البيت فى هذه الدار حتّى حجّت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون، فجعلته مسجداً يصلّى فيه، وأخرجته من الدار وشرعته إلى الزقاق الذى فى أصل تلك الدار، انتهى (۴).

وجاء فى كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم:

كانت ولادة النبيصلى الله عليه و آله لمكة فى دار أبى طالب، بشعب بنى هاشم بقرب المسجد الحرام، ويسمّى الآن بشعب على أى على بن أبى طالب ولا زال محل

۱- ۱ المصدر نفسه: ۲۸۷.

۲- ۲ الكامل فى التاريخ ۱: ۲۹۴.

۳- ۳ تاريخ الأمم والملوك ۲: ۱۲۴.

۴- ۴ شفاء الغرام ۱: ۴۳۱.

ص: ۱۷۸

ولادتهصلی الله علیه و آله معروفاً إلی الیوم (۱).

وقد ذکر أکثر المؤرّخین أن ولادة النبیصلی الله علیه و آله کانت فی شعب أبی طالب، أو فی دار قرب الصفا، أو فی الدار المعروفة بدار ابن یوسف وهی ثلاثة أسماء لمکان واحد (۲).

وورد فی کتاب سیرة ساکن الحجاز:

وکان مولدهصلی الله علیه و آله بالشِّعب وهو شعب بنی هاشم (مکان معروف عند أهل مکة، یخرجون إلیه فی کل عام یحتلفون بذلک أکثر من احتفالهم یوم العید إلی یومنا هذا، فی الدار التی کانت لمحمد بن یوسف أخی الحجاج) (۳).

وذکر محبّ الدین الطبری المکی فی کتابه «القری لقاصد أم القری»:

کان عقیل بن أبی طالب قد استولی علیه (بیت النبیصلی الله علیه و آله) زمن الهجرة، فلم یزل بیده وید ولده حتّی باعوه لمحمد بن یوسف (أخی الحجاج) فأدخله فی داره التی یقال لها البیضاء، ثم عُرفت بدار ابن یوسف، ولم یزل ذلک، کذلک حتی حجّت الخیزران (جاریة المهدی) فجعلته مسجداً یصلّی فیه، وأخرجته من الدار إلی الزقاق الذی یقال له «زقاق المولد» ... وهو الآن مکتبة عامة (۴).

وقالصلاحُ الدّین الصَفَدی بعد بحث موسّع حول مکان ولادة النبیصلی الله علیه و آله:

القول الأرجح هو أنّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله قد وُلد فی عام الفیل فی دار تقع فی الزقاق المعروف بزقاق المولد الذی کان بید عقیل بن أبی طالب (۵).

وذکر عاتق بن غیث البلادی:

مولد رسول اللَّهصلی الله علیه و آله من الناحیة التاریخیة ثابت أنه ولد عامالفیل ۵۳ ق. ه تقریباً، فی شعب أبی طالب المعروف الیوم بشعب علی وقد حول إلی مکتبة مکة، إبعاداً له عن زحام الناس وولعهم بالتبرک به (۶).

وقد کان موضع ولادة رسول اللَّه، قبل تسلط الوهابیین علی الحرمین

۱- ۱ التاریخ القویم لمکة وبیت اللَّه الکریم ۱: ۶۷.

۲- ۲ السیرة النبویة لابن هشام ۱: ۱۶۷.

۳- ۳ نهایة الایجاز فی سیرة ساکن الحجاز ۱: ۶.

۴- ۴ القری لقاصد أمّ القری: ۶۶۴.

۵- ۵ الوافی بالوفیات ۵: ۲۴۲.

۶- ۶ فضائل مکة: ۲۳۲.

ص: ۱۷۹

الشريفين موضعاً يزوره المؤمنون والمسلمون الذين يفدون إلى مكة من كل أرجاء العالم (۱).

قال محمد بن علوی المالکی فی کتابه باسم «فی رحاب البیت الحرام»:

مولـد النبیصلی الله علیه و آله وهـو مكـان معروف إلى الآـن بمكـة فی سوق الليـل ... ولمـا هـاجر رسول اللّهصلی الله علیه و آله إلى المدينـة اسـتولى على هذا البيت عقيل بن أبی طالب ولم يزل بيده وبيد أولاده حتّى باعه بعضـهم من محمد بن يوسف الثقفی، ثم لما حجّت الخيزران أم الخليفتين أخرجته وجعلته مسـجداً يصـلّى فيه، قال ابن ظهيرة ما معناه: وجرت العادة بمكة فی ليلة مولد الرسول أن يتهيأ الكبار والعلماء وأعيان البلاد بالفوانس والشـموع فيخرجون إلى بيت مولـد الرسول لزيارته وإحياء ذكر مولـده ... قال: والمعروف المشـهور فی مولده- عليه الصـلاة والسـلام- هو الذی بسوق الليل ولا اختلاف فيه عند أهل مكة ثم قال: وكون هذا مولد الرسولصلی الله علیه و آله مشهور متوارث يأثر الخلف عن السلف (۲).

قال الفاسی المکی فیصفة مولد النبیصلی الله علیه و آله:

أما الصـفة التی أدركناه عليها، فإنه بيت مربع وفيه اسطوانة عليها عقدان، وفی ركنه الغربی مما يلی الجنوب زواية كبيرة قبالة بابه الذی يلی الجبل، وله باب آخر فی جانبه الشـرقی ايضاً، وفيه عشـرة شـبابيک، أربعة فی حائطه الشرقی، وهو الذی فيه باباه المتقدم ذكرهما، وفی حائطه الشـمالی ثلاثـة، وفی الغربی واحـد، وفی الزاويـة اثنان، واحد فی جانبها الشـمالی وواحد فی جانبها اليمانی، وفيه محراب، وبقرب المحراب حُفرة عليها درابزين من خشب، وذرْع تربيع الحُفْرة من كل ناحيـة ذراع وسُـدس، الجميع بـذراع الحديد، وفی وسـط الحُفرة رخامـة خضـراء، وكـانت هـذه الرخامـة مطوَّقـة بالفضّـة على مـا ذكره ابن جبير، وذكر أنّ سـعتها مع الفضـة ثلثا شبر (۳). وهذا الموضعُ جُعل علامة للموضع الذی وُلد فيه النبیصلی الله علیه و آله

۱- ۱ السيرة الحلبية ۱: ۵۷.

۲- ۲ فی رحاب البيت الحرام: ۲۶۲.

۳- ۳ كذا فی الأصل، ولكن الذی عند ابن جبير-ص ۱۴۱-: «فتكون سعتها مع الفضّة المتصلة بها شبراً».

ص: ۱۸۰

من هذا المكان (۱)، وذرع هذا المكان طولًا أربعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع.

وذلك من الجدار الشمالی إلی الجدار المقابل له، وهو الجنوبی الذی یلی الجبل، وذرْعه عرضاً أحد عشر ذراعاً وثمن ذراع. وذلک من الشرقی الذی فیه بابه إلی جداره الغربی المقابل له، وطولًا الزاویة المشار إلیها ثلاثة عشر ذراعاً ونصف ذراع وعرضها ثمانیة ونصف، الجمیع بذراع الحدید. وکان تحزیر ذلک بحضوری، ولم یذکر الأزرقیصفة هذا المکان ولا ذرْعه، وقد خفی علینا کثیرٌ من خبر عمارته. والذی علمته من ذلک أن الناصر العباسی عمّره فی سنة ستّ وسبعین وخمسمائة. ثم الملک المظفرصاحب الیمن فی سنة ستّ وستین وستمائة، ثم حفیده المجاهد فیسنة أربعین وسبعمائة، وفی سنة ثمانٍ وخمسین وسبعمائة من قِبَل الأمیر شیخون أحد کبار الدولة بمصر (۲)، وفی دولة الملک الأشرف شعبانصاحب مصر بإشارة مدیر دولته «یلبغا الخاصکی» (۳) سنة ستّ وستین وسبعمائة، وفی آخر سنة إحدی وثمانمائة، أو فی التی بعدها، من المال الذی أنفذه الملک الظاهر برقوقصاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغیره بمکة. وکانت عمارة هذا المولد بعد موته (۴).

هذا وقد وصفه ابن جبیر فی رحلته بوصف غیر هذا، مما یدلّ علی أنه لم یدم علیصفة واحدة بل کان یتغیرصفةً وبناءً بتغیر الزمن.

وأعاد بناء هذا البیت بعد أن تهدم وصار خرباً مهجوراً الشیخ عباس قطان أمین العاصمة، ووضعت فیه مکتبة عامة عظیمة فَخمة، تسمّی بمکتبة مکة المکرمة مفتوحة للمطالعة والمراجعة.

وفی الأعوام الأخیرة هدم البنایات الّتی حول المکتبة لتوسیع أطراف المسجد الحرام، ویمکن ملاحظة الأبنیة التی شیّدت فی موضع ولادة النبیصلی الله علیه و آله من خلال التصاویر.

۱- ۱ شفاء الغرام ۱: ۴۳۳.

۲- ۲ توفی سنة ۷۵۸ ه. الدرر الکامنة ۲: ۱۹۶ و ۱۹۷، رقم ۱۹۵۰.

۳- ۳ هو یلبغا بن عبد اللَّه الخاصکی الناصری الأمیر الکبیر المشهور. قتل سنة ۷۶۸ ه. قال ابن حجر: کانتلیلبغاصدقات کثیرة علی طلبة العلم ومعروف کثیر فی بلاد الحجاز. الدرر الکامنة ۴: ۴۳۸- ۴۴۰، رقم ۱۲۱۸.

۴- ۴ شفاء الغرام ۱: ۴۳۲- ۴۳۴.

ص: ۱۸۱

وجاء فی بحار الأنوار:

... ولد النبیصلی الله علیه و آله لاثنتی عشرة لیلة مضت من شهر ربیع الأوّل فی عام الفیل یوم الجمعة مع الزوال، وروی أیضاً عند طلوع الفجر قبل أن یبعث بأربعین سنة، وحملت به أمّه فی أیام التشریق عند الجمرة الوسطی وکانت فی منزل عبد اللَّه بن عبد المطلب، وولدته فی شعب أبی طالب فی دار محمد بن یوسف فی الزاویة القصوی عن یسارک وأنت داخل، وقد أخرجت الخیزران ذلک البیت فصیرته مسجداً یصلّی الناس فیه (۱).

وروی الزهرة عن أبی عبد اللَّه الطرابلسی، البیت الذی ولد فیه رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فی دار محمد بن یوسف (۲).

وقال الکلینی: [ولد] فی شعب أبی طالب فی دار محمد بن یوسف فی الزاویة القصوی عن یسارک وأنت داخل الدار (۳).

۱- ۱ بحار الأنوار ۱۵: ۲۵۱، روایة ۵ باب ۳.

۲- ۲ بحار الأنوار ۱۵: ۲۷۶ روایة ۲۳.

۳- ۳ المصدر نفسه.

ص: ۱۸۲

یظهر ممّا ذکرناه أوّلًا: أنّ النبیصلی الله علیه و آله قد وُلد فی شعب أبی طالب. وثانیاً: أنّ شعب أبی طالب موضع فی مکة، قرب المسجد الحرام، وبعیداً عن المکان الذی فی الحجون الذی یعرفه بعضٌ باسم هذا الشعب.

مقاطعة النبیصلی الله علیه و آله وأصحابه فی شعب أبی طالب:

فلما رأت قریشٌ أنّ أصحاب رسول اللّهصلی الله علیه و آله قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأنّ النجاشی قد منع مَن لجأ إلیه منهم، وأنّ عمر قد أسْلم، فکان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول اللّهصلی الله علیه و آله وجعل الإسلامُ یَفشو فی القبائل، اجتمعوا وائتمروا [بینهم] أن یکتبوا کتاباً یتعاقدون فیه علی بنی هاشم، وبنی المطّلب، علی أن لا یَنْکحوا إلیهم ولا یُنکحوهم، ولا یبیعوهم شیئاً، ولا یبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلک کتبوه فیصحیفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا علی ذلک، ثم عَلَّقُوا الصحیفةَ فی جَوف الکعبة توکیداً علی أنفسهم، وکان کاتبَ الصحیفة منصورُ بن عِکرمة بن عامر بن هاشم بن عَبْد مناف بن عبد الدار بن قُصَیّ ....

فلما فعلت ذلک قریش انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلی أبی طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه فی شِعْبه واجتمعوا إلیه، وخرج من بنی هاشم أبو لَهب، عبد العُزّی بن عبد المطّلب، إلی قریش فظاهرهم (۱).

وقال السید الأمین فی أعیان الشیعة:

... وحصروهم فی شعب أبی طالب أول المحرم سنة سبعة من البعثة فدخل بنو هاشم الشعب، مسلمهم وکافرهم عدا أبی لهب وأبی سفیان بن الحارث بن عبد المطلب لشدة عداوتهما للرسولصلی الله علیه و آله ... وانحاز إلیهم بنو المطلب بن عبد مناف فکانوا أربعین رجلًا، وحصن أبو طالب الشعب وکان یحرسه لیلًا ونهاراً ... وسمع أصواتصبیانهم من وراء الشعب وذلک أشدّ ما لقی رسول اللّهصلی الله علیه و آله

۱– ۱ السیرة النبویة لابن هشام ۱: ۳۷۵.

ص: ۱۸۳

وأهل بيته بمكة، وكان هشام بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى يأتى بالبعير بعد البعير قد أوقره طعاماً أو تمراً إلى فمّ الشِّعب فينزع عنه خطامه ويضربه على جنبيه فيدخل الشعب، فبقوا فى الشعب سنتين أو ثلاث سنين ... وخرج بنو هاشم من حصار الشعب فى السنة العاشرة أو التاسعة من النبوة إلى مساكنهم ... (۱).

قال الكازرونى فى المنتقى وغيره:

... فعمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبنى أبيه ومن اتبعهم، فدخلوا شعب أبى طالب وآذوا النبى والمؤمنين أذًى شديداً، وضربوهم فى كل طريق، وحصروهم فى شعبهم، وقطعوا عنهم المارّة من الأسواق ونادى منادى الوليد بن المغيرة فى قريش: أيّما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه، فبقوا على ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، حتّى سمعوا أصواتصبيانهم يتضاغون- أى يصيحون من الجوع من وراء الشعب- ...

ويصبح قريش وقد سمعوا أصواتصبيان بنى هاشم من الليل يتضاغون من الجوع ... (۲).

وجاء فى إتحاف الورى باخبار امّ القرى:

دعا رسول اللَّهصلى الله عليه و آله على كاتب الصحيفة فشُلَّت يده، ثم غدت قريش على مَنْ اسْلَم فأوثقوهم وآذوهم، واشتد البلاءُ عليهم ... ولما فعلت قريش ذلك انحاز رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وسائر بنى هاشم وبنى المُطَّلب،- خلا أبا لهب- وبنو المطلب وولده فى الشِّعْب، وخرج اللعين أبو لهب وولدُه إلى قريش، فظاهرهم على بنى هاشم وبنى المُطَّلب، وقطعوا عنهم المِيَرة والمادة، فكانوا لا يقدرون على ذلك إلّا من الموسم إلى الموسم، ولا يخرجون الّا من موسم إلى موسم، حتى بلغ بهم الجهد، وسمع أصواتصبيانهم من وراء الشِّعب يَتَضاغَوْن من الجوع. فمن قريش

۱- ۱ أعيان الشيعة ۱: ۳۳۵.

۲- ۲ بحار الأنوار ۱۹: ۱۸ و ۱۹.

ص: ۱۸۴

من سَـرَّهُ ذلک ومنهم من ساءَه، ولم یکن یصل إلیهم شیء إلّا سِرّاً، حتّی إنّ المُطْعِمَ بن عَدِیّ أدخل علیهم فی بعض الأیام ثلاثهٔ أوقار من الطعـام، وکـان النبیصـلی الله علیه و آله یَشـکُرُ له ذلک، وکانت العیر تأتی من الشام وعلیها الحِنْطَـهٔ إلی حکیم بن حِزَام بن خُوَیْلد فیوجهها نحو الشِّعب، ثم یَضـرب أدبارها فتـدخل علیهم، فیأخـذون ما علیها من الحنطـهٔ، وکان هشام بن عمرو بن ربیعـهٔ أوْصَلَ قریش لبنی هاشم حین حُصِرُوا فی الشِّعْب، أدخل علیهم فی لیلهٔ ثلاثهٔ أحمال طعام، فعلمت بذلک قریش، فمشوا إلیه فکلَّمُوه فی ذلک فقال: إنی غیر عائـد لشـیء تحـالفتم علیه. ثم عاد الثانیـهٔ وأدخل حِملًا أو حِمْلین، فغالظته قریش وهمّوا به، فقال أبو سـفیان بن حرب: دَعُوه؛ رجلٌ وصَلَ رحمه، أما إنی أحلُفُ باللّه لو فعلنا مثل ما فعل کان أجمل (۱).

وقـال فی موضـع آخر: ... فلمـا رأی أبو طـالب عمـلَ القوم جمع بنی عبـد المطلب وأمرهم أن یُـدخِلوا رسول اللّهصـلی الله علیه و آله شِعْبَهم، ویمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا علی ذلک مسلمهم وکافرهم ... (۲).

فلبث بنو هـاشم فی شـعبهم ثلاث سـنین، واشـتدّ علیهم البلاء والجَهْـدُ، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا یترکوا طعاماً یَقْـدُم مکـهٔ ولا بیعاً إلا بادروهم فاشتروه، یریـدون بذلک أن یُدْرِکُوا سَـفْکَ دم رسول اللَّهصـلی الله علیه و آله وکان أبو طالب إذا أخذ النّاسُ مضاجعهم أمر رسول اللَّهصـلی الله علیه و آله فاضـطجع علی فراشه، حتّی یری ذلـک من أراد مکراً به واغتیاله، فاذا نَوَّمَ الناس أمر واحـداً مِنْ بنیه، أو اخوته، أو بنی عمّه فاضـطجع علی فراش رسول اللَّهصـلی الله علیه و آله وأمر رسول اللّهصلی الله علیه و آله أن یأتی بعض فرشهم فینام علیه (۳).

وقال ابن کثیر فی السیرهٔ النبویهٔ:

... فلما رأی أبو طالب عملَ القوم جمع بنی عبد المطلب، وأمرهم أن

۱- ۱ إتحاف الوری بأخبار أمّ القری، الجزء الأوّل: ۲۸۳.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۲۸۴.

۳- ۳ إتحاف الوری بأخبار أمّ القری، الجزء الأول: ۲۸۴- دلائل النبوهٔ ۲: ۸۱- ۲: ۴۳- ۴۴- شرح المواهب ۱: ۲۷۸- ۲۷۹.

ص: ۱۸۵

یُدْخلوا رسول اللَّهصلی الله علیه و آله شِ‍عْبَهم وأمرهم أن یمنعوه ممن أرادوا قتله ... وحَصْ‍رهم إیّاهم فی شِ‍عب أبی طالب مدّة طویلة (۱).

وجاء فی کتاب التاریخ القویم لمکة وبیت اللَّه الکریم: فانحاز بنو هاشم بسبب ذلک فی شعب أبی طالب، وهو المعروف الیوم «بشعب علی» ودخل معهم بنو المطلب سواء فی ذلک مسلمهم وکافرهم ما عدا أبی لهب فإنه کان مع قریش، فلما انفصلوا عن قریش بالشعب المـذکور، جهـد القوم جهـداً عظیماً، وتعبوا تعباً شدیـداً حتّی أکلوا أوراق الأشـجار، لأن قریشاً شدّدوا الحصار علیهم، وکان ذلک فی السنة السابعة من البعثة، ومکثوا علی هذا الحال من الضیق والتعب الشدید ثلاث سنوات (۲).

وقال أیضاً فی موضع آخر:

قال هـذه القصـیدة أبو طالب عمُّ النبیصلی الله علیه و آله فی الشِّعب وهو شِ‍عْبُ أبی طالب، الّذی آوی إلیه بنو المطلب وبنو هاشم مع رسول اللَّهصلی الله علیه و آله ثم یذکر ما قاله فی الشعب:

وأبیض یستسقی الغمام بوجهه ثمال الیتامی عصمة للأرامل

یلوذ به الهلاک من آل هاشم فهم عنده فی رحمة وفواضل

جزی اللَّه عنّا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلًا غیر آجل

بمیزان قسط لا یخس شعیرة له شاهد من نفسه غیر عائل

ونحن الصمیم من ذؤابة هاشم وآل قصیٍّ فی الخطوب الأوائل (۳) وجاء فی بحار الأنوار:

من معجزاتهصلی الله علیه و آله أنّ قریشاً کلهم اجتمعوا وأخرجوا بنی هاشم إلی شعب أبی طالب، ومکثوا فیه ثلاث سنین إلّا شهراً، ثم أنفق أبو طالب وخدیجة جمیع مالهما، ولا یقدرون علی الطعام إلّا من موسم إلی موسم فلقوا من الجوع والعری ما اللَّه أعلم به ... (۴).

۱- ۱ السیرة النبویة لابن هشام ۲: ۴۳.

۲- ۲ التاریخ القویم لمکة وبیت اللَّه الکریم ۱: ۹۴- ۹۵.

۳- ۳ المصدر نفسه: ۹۶.

۴- ۴ بحار الأنوار ۱۹: ۱۶.

ص: ۱۸۶

وقال ابن سعد فی «الطبقات الكبرى»:

... وحصروا بنی هاشم فی شعب أبی طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين تنبّى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وانحاز بنو المطلب بن عبد مناف إلى أبی طالب فی شعبه مع بنی هاشم ... (۱).

وجاء فی الكامل لابن الأثير:

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبی طالب فدخلوا معه فی شعبه واجتمعوا ... وذكروا أن أبا جهل لقی حكيماً بن حِزام بن خُوَيْلد ومعه قمحٌ يريد به عمّته خديجة، وهی عند رسول اللَّهصلى الله عليه و آله فی الشِّعب متعلّق به وقال: واللَّه لا تبرح حتّى أفضحك، فجاء أبو البختری بن هشام فقال:

ما لك وله؟ عنده طعام لعمّته أفتمنعه أن يحمله إليها؟ خلّ سبيله، فأبى أبو جهل، فنال منه. فضربه أبو البختری بلَحی جمل فشجّه ووطأه وطأً شديداً، وحمزة ينظر إليهم، وهم يكرهون أن يبلغ النبیصلى الله عليه و آله ذلك فيشمت بهم هو والمسلمون.

ورسول اللَّهصلى الله عليه و آله يدعو الناس سرّاً وجهراً، والوحی متتابع إليه، فبقوا كذلك ثلاث سنين (۲).

وفی السيرة للذهبی:

فلبث بنو هاشم فی شعبهم ثلاث سنين ... وقال محقّقه فی هامشه: قال الحافظ أبو الحسن أحمد بن يحيی البلاذری عن المدائنی، عن أبی زيد الأنصاری، عن أبی عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: حصرنا فی الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنّا الميرة حتّى إن الرجل ليخرج بالنفقة فلا يبتاع شيئاً، حتّى مات منّا قوم (۳).

وجاء فی الصحيح من سيرة النبی الأعظمصلى الله عليه و آله:

ودخل بنو هاشم الشعب- شعب أبی طالب- ومعهم بنو المطلب بن عبد

۱- ۱ طبقات ابن سعد، ۱: ۲۰۹.

۲- ۲ الكامل فی التاريخ ۱: ۵۰۴.

۳- ۳ السيرة للذهبی: ۲۲۱.

ص: ۱۸۷

مناف، باستثناء أبی لهب- لعنه اللّه وأخزاه- واستمروا فیه إلی السنهٔ العاشرهٔ ...

ووضعت قریش علیهم الرقباء حتّی لا یأتیهم أحد بالطعام. وکانوا ینفقون من أموال خدیجهٔ وأبی طالب حتّی نفدت، حتّی لقد اضطروا إلی أن یقتاتوا بورق الشجر. وکانصبیتهم یتضاغون جوعاً، ویسمعهم المشرکون من وراء الشعب، ویتذاکرون ذلک فیما بینهم ... ولم یکونوا یجسرون علی الخروج من شعب أبی طالب إلّا فی موسم العمرهٔ فی رجب، وموسم الحج فی ذی الحجهٔ، فکانوا یشترون حینئذٍ ویبیعون ضمن ظروفصعبهٔ جداً ... وقد استمرّت هذه المحنهٔ سنتین أو ثلاثاً ... وکان علی أمیر المؤمنین علیه السلام أثناءها یأتیهم بالطعام سرّاً من مکهٔ، من حیث یمکن، ولو أنهم ظفروا به لم یبقوا علیه کما یقول الاسکافی وغیره (۱).

وجاء فی أعلام الوری:

... فلما بلغ ذلک أبا طالب جمع بنی هاشم ودخل الشعب وکانوا أربعین رجلًا، فحلف لهم أبو طالب بالکعبهٔ والحرم والرکن والمقام لئن شاکت محمّداً شوکهٔ لأثبنّ علیکم یا بنی هاشم. وحصّن الشعب وکان یحرسه باللیل والنهار ...

وکانت خدیجهٔ لها مالٌ کثیرٌ فانفقته علی رسول اللّهصلی الله علیه و آله فی الشِّعب (۲).

وکتب الیعقوبی (م ۲۹۳ ه) فی هذا الصدد:

ثم حصرت قریش رسول اللّه وأهل بیته من بنی هاشم وبنی المطلب ابن عبد مناف فی الشعب، الذی یقال له شعب بنی هاشم بعد ستّ سنین من مبعثه، فأقام ومعه جمیع بنی هاشم وبنی المطلب فی الشعب ثلاث سنین حتّی أنفق رسول اللّه ماله وأنفق أبو طالب ماله وأنفقت خدیجهٔ بنت خویلد مالها، ثم نزل جبرئیل علی رسول اللّهصلی الله علیه و آله فقال: إنّ اللّه بعث الأرضهٔ علیصحیفهٔ قریش فأکلت کل ما فیها من قطیعهٔ وظلم إلّا المواضع التی فیها ذکر اللّه (۳).

۱- ۱ الصحیح من سیرهٔ النبی الأعظم ۲: ۱۰۸- شرح النهج للمعتزلی ۱۳: ۲۵۶.

۲- ۲ أعلام الوری: ۵۹ و ۶۰.

۳- ۳ تاریخ الیعقوبی ۱: ۳۸۹.

ص: ۱۸۸

إن الوضع المهلک الذی آل إلیه النبیصلی الله علیه و آله وأصحابه، حرّک نفراً من قریش لنقض الصحیفة التی کتبتها قریش علی بنی هاشم، فنهض هشام بن عمرو مع زهیر بن أبی أُمیّة، ومطعم بن عدی، وأبو البختری، وزمعة بن أسود بن المطلب، فاتّعدوا له، خَطمَ الحجون الّتی بأعلی مکة فاجتمعوا هنالک، وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا علی القیام فی الصحیفة حتی ینقضوها (۱).

أقول: یقع شعب الحجون فی الموضع نفسه الذی فیه الآن مقبرة أبی طالب، وکان قبل الإسلام مقبرة أیضاً، وبالنتیجة فلو کان الشعب هنا، وفیه تعرض النبیصلی الله علیه و آله وأتباعه للمقاطعة، فلا معنی لأن یجعله الأشخاص المذکورون موضعاً خفیّاً لاجتماعهم وهو معرّض للخطر الدائم فی أیّة لحظة!! إنّ الاستفادة من هذا المکان کموضع خفی تدل علی أن الحجون کان خارج مکة، أو إلی جوارها علی الأقل، بل إن بعض الروایات تصرّح بأن الحجون کان خارج مکة فیصدر الإسلام، ولهذا لا یمکن القول بأن النبیصلی الله علیه و آله وأتباعه وقومه خرجوا کلّهم من مکة وأقاموا خارجها!!

وروی فی أصول الکافی عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: لمّا توفی أبو طالب نزل جبرئیل علی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فقال: یا محمد، أخرج من مکة، فلیس لک فیها ناصرٌ. وثارت قریش بالنبیصلی الله علیه و آله فخرج هارباً حتّی جاء إلی جبل بمکّة یقال له الحجون فصار إلیه (۲).

نقض الصحیفة:

بعد ثلاث سنین تقریباً، أخبر النبیصلی الله علیه و آله عمّه أبا طالب: بأنّ الأرضة قد أکلت کلَّ ما فیصحیفتهم من ظلم وقطیعة رحم، ولم یبق فیها إلا ما کان اسماً للَّه، فخرج أبو طالب من شعبه ومعه بنو هاشم إلی قریش، فقال المشرکون: الجوع

۱- ۱ تاریخ الأمم والملوک ۲: ۱۲۵.

۲- ۲ أصول الکافی ۱: ۴۴۹.

ص: ۱۸۹

أخرجهم ... وقـالوا له: یـا أبـا طـالب، قـد آن لـک أن تصالـح قومـک. قـال: قـد جئتکم بخیر، إبعثـوا لیصـحیفتکم، لعله أن یکون بیننا وبینکمصلح فیها. فبعثوا، فأتوا بها، فلما وضعت وعلیها أختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنکرون منها شیئاً؟

قالوا: لا. قال: إنّ ابن أخی حدّثنی، ولم یکذبنی قط: أن اللَّه قد بعث علی هذه الصـحیفة الأرضة، فأکلت کل قطیعة وإثم، وترکت کلّ اسم هو للَّه، فإن کانصادقاً أقلعتم عن ظلمنا، وإن یکن کاذباً ندفعه إلیکم فقتلتموه. فصاح الناس:

أنصـفتنا یا أبا طالب ... ففتحت، ثم أخرجت فإذا هی کما قالصـلی الله علیه و آله فکبّر المسـلمون، وامتقعت وجوه المشـرکین ... فقال أبو طالب:

أتبین لکم: أینا أولی بالسحر والکهانة؟ ...

فأسـلم یومئذٍ عالم من الناس ... ولکن المشـرکین لم یقنعوا بذلک بل اسـتمروا علی العمل بمضـمون الصـحیفة، حتی قام جماعة منهم بالعمل علی نقضها، وخرج الهاشمیون حینئذٍ من شعب أبی طالب (۱).

وقال ابن أبی الحدید: ... إنهم منعوا أیام الحصار فی شعب بنی هاشم من الماء العذب (۲).

أسماء بعض بنی هاشم الذین کانوا مع النبیصلی الله علیه و آله فی الشعب خلال مدّة المقاطعة:

۱- أبو طالب بن عبد المطلب.

۲- علی بن أبی طالب.

۳- حمزة بن عبد المطلب.

۴- عبیدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

(ومع أن عبیـدة لم یکن من بنی هاشم، إلّا أن اتحاد بنی المطلب وبنی هاشم، ومواقفهما المشترکة فی الجاهلیة والإسـلام، یتیح لنا عدّه من بنی هاشم).

۱- ۱ الصحیح من سیرة النبی الأعظم ۲: ۱۲۰ و ۱۲۱.

۲- ۲ البحار ۳۳: ۱۱۴ روایة ۴۰۸.

ص: ۱۹۰

۵- العباس بن عبد المطلب.

۶- عقیل بن أبی طالب.

۷- طالب بن أبی طالب.

۸- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

۹- ابو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب.

۱۰- الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

وکان شدیداً علی رسول اللّهصلی الله علیه و آله یبغضه ویهجوه بالأشعار، إلّا أنه کان لا یرضی بقتله (۱).

۱۱- خدیجة بنت خویلد (۲).

قد ذکر المؤرخون وکتّاب السّیرة: أنَّ الموضع الّذی حُصر فیه رسول اللّه وأصحابه علی ید قریش، هو شعب أبی طالب، أشرنا إلی بعضهم ونُشیر إلی بعض آخر:

قال الطبرسی: فلما فعلت ذلک قریش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلی أبی طالب فدخلوا معه فی شِعْبه، واجتمعوا إلیه فی شعبه ... (۳).

وقال الفاسی المکی (م ۸۳۲ ه):

فانحاز الهاشمیون غیر أبی لهب، والمطلبیون إلی أبی طالب، فدخلوا معه فی شعبه، فأقاموا علی ذلک سنتین أو ثلاثاً (۴).

وجاء فی بحار الأنوار: وحاصروا بنی هاشم فی الشعب، شعب عبد المطلب أربع سنین، فأصبح النبیصلی الله علیه و آله یوماً وقال لعمّه أبی طالب: إنّ الصحیفة التی کتبتها قریش فی قطیعتها قد بعث اللّه علیها دابة فلحست کلَّ ما فیها غیر اسم اللّه (۵).

وروی الواقدی:

دخل بنو هاشم فی لیلة الأول من المحرم من السنة السابعة للبعثة فی شعب

۱- ۱ شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ۱۴: ۶۵.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۵۹.

۳- ۳ تاریخ الأمم والملوک ۲: ۲۲۵.

۴- ۴ العقد الثمین ۱: ۲۳۰.

۵- ۵ بحار الأنوار ۱۸: ۱۲۰ روایة ۱۶.

ص: ۱۹۱

أبی طالب، واجتمع إلیهم بنو المطلب فی ذلک الشعب (۱).

وقال محمد إبراهیم آیتی رحمه الله:

ولما عزمت قریش علی فعلها اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب بن عبد مناف إلی أبی طالب وصاروا کلُّهم إلی الشعب، سوی أبی لهب بن عبد المطلب الذی ناصر قریشاً (۲).

وقال رفاعة رافع الطهطاوی:

شعب أبی طالب هو الموضع الذیصارت فیه المقاطعة ثم یقول: فانحاز الهاشمیون إلی أبی طالب ... فدخلوا معه فی شعبه، وخرج من بنی هاشم أبو لهب ... وأقام بنو هاشم فی الشعب ومعهم رسول اللّهصلی الله علیه و آله نحو ثلاث سنین، وکان بنو هاشم محصورین فی الشعب لاـ یخرجون الّا من موسم إلی موسم ... واخرجوا بنی هاشم وبنی المطلب من الشعب وذلک فی السنة العاشرة من مبعثه (۳).

وکتب إبراهیم رفعت باشا فی مرآة الحرمین:

القشاشیة، فی شرق المسجد الحرام ویطلّ علیها جبل أبی قبیس، وفی الجهة الشرقیة منها شعب علی أو شعب بنی هاشم (۴).

وقال یاقوت الحموی:

شعب أبی یوسف، هو الشعب الذی أوی إلیه رسول اللّهصلی الله علیه و آله وبنو هاشم لما تحالفت علیهم قریش، علی بنی هاشم ...، وکان لعبد المطلب فقسمه بین بنیه حین ضعف بصره، وکان النبیصلی الله علیه و آله أخذ حظّ أبیه وهو کان منزل بنی هاشم ومساکنهم (۵). قال عاتق بن غیث البلادی بعد نقل هذا الموضوع فی کتابه معجم معالم الحجاز:

ثم عرف هذا الشعب فیما بعد بشعب أبیصالب (۶)، ثم شعب بنی هاشم ویُعرف الیوم بشعب علیّ، وهو الشعب الذی یسیل بطرف أبی قُبَیْس من الشمال

۱- ۱ الطبقات الکبری ۱: ۲۰۹.

۲- ۲ تاریخ پیامبر اسلام تاریخ حیاة نبی الإسلام: ۱۵۴.

۳- ۳ سیرة ساکن الحجاز، الجزء الاول: ۱۱۵.

۴- ۴ مرآة الحرمین ۱: ۱۸۰.

۵- ۵ معجم البلدان ۳: ۳۹۳.

۶- ۶ کذا فی المتن، ویمکن أن یکون المراد شعب أبی طالب.

ص: ۱۹۲

بينه وبين الخندمة، فيه مولد رسول اللّهصلى الله عليه و آله وهو اليوم مكتبة مكة أى المولد، يصب سيله على سوق الليل فوق المسجد الحرام بحوالى ثلاثمائة متر. كانت عند مصبّة بَّذر فهدمت سنة ۱۳۹۹ ه فى توسعة شارع الغزّة (۱).

وجبل أبى قبيس، هو أحد أشهر جبال مكة، ومنه يبدأ شعب على أو شعب أبى طالب ويمتد إلى خندمة، وقد استودع فيه الحجر الأسود أيّام الطوفان وموضعه فى شعب على، أى المكان الذى ولد فيه الرسولصلى الله عليه و آله وذكر عبد الملك بن هشام أنه سمّى بأبى قبيس بن شامخ، وهو رجل من جُرْهُم، كان قد وَشى بين عمرو بن مُضاض وبين ابنة عمّه مَيّة، فنذَرَتْ أن لا تكلّمه، وكان شديد الكَلَف بِها فحَلَف لأقْتُلنَّ أبا قبيس، فهرب منه فى الجبل المعروف به، وانقطع خَبَرُه، فإما مات وإما تردّى منه، فسُمّى الجبل أبا قبيس لذلك، فى خبر طويل ذكره ابن هشامصاحب السيرة فى غير كتاب السيرة، وقال أبو المنذر هشام: أبو قبيس، الجبل الذى بمكة، كَناه آدم عليه السلام بذلك حين اقتبس منه هذه النار التى بأيدى الناس إلى اليوم، من مَرْخَتَين نزَلَتا من السّماء على أبى قبيس فاحتَكَّتا، فَاوْرَتا ناراً، فاقتبَسَ منها آدم، فلذلك المَرْخُ إذا حُكَّ احَدُها بالآخر، خرجتْ منه النار (۲).

بعض شعاب مكة:

كما ذكرنا سابقاً، يوجد فى الشّمال الشرقى للمسجد الحرام ثلاث شعاب، وهى:

۱- شعب على أو شعب أبى طالب ويسمّى اليوم بالقشاشية (۳) أيضاً.

۲- شعب بنى هاشم ويُسَمّى أيضاً ب «غزّة».

۳- شعب بنى عامر.

۱- ۱ معجم معالم الحجاز ۵: ۵۶.

۲- ۲ معجم البلدان ۱: ۱۰۳.

۳- ۳ لعل القشاشية منسوبة إلى الشيخ القشاشى، وقد كان يسكن مكة حوالى القرن الحادى عشر «انظر الجزء الثانى من كتاب تاريخ مكة للسباعى، حوادث الشريف أحمد بن عبد المطلب» من عهد الترك العثمانيين.

ص: ۱۹۳

كان يسكن فى هذه الأماكن الثلاثة، منذ العصر الجاهلى فما تلاه، أجداد النبيصلى الله عليه و آله وأبناء عبد المطلب وأبو طالب وبنى هاشم (۱).

وكذلك بعض البيوت فى شعب علي، وبعض دار ابن يوسف كانت لأبى طالب، وبعض دار ابن يوسف (مولد النبيصلى الله عليه و آله) وما حوله لأبى النبيصلى الله عليه و آله عبد اللَّه بن عبد المطلب، وكذلك دار خالصة مولاة الخيزران، لعباس بن عبد المطلب ودار الطلوب مولاة زبيدة، حقّ المقوم بن عبد المطلب. وذكر غير واحد من المكيين أنّ الشعب الذى يقال له: شعب ابن يوسف- وهو شعب على وبجانبه سوق الليل، كان لهاشم بن عبد مناف دون الناس. وكان عبد المطلب قد قسم حقه بين ولده ودفع إليهم ذلك فى حياته فمن ثمّصار للنبيصلى الله عليه و آله حق أبيه عبد اللَّه بن عبد المطلب، وللعباس بن عبد المطلب أيضاً الدار التى بين الصفا والمروة التى بيد ولد موسى بن عيسى التى إلى جنب الدار التى بيد جعفر بن سليمان، ودار العباس هى الدار المنقوشة التى عندها العلم الذى يسعى منه مَن جاء من المروة إلى الصفا بأصلها، ويزعمون أنها كانت لهاشم بن عبد مناف، ولهم أيضاً دار أمّ هانى بنت أبى طالب- كان بجانب الباب المعروف باسمها- التى كانت عند الحناطين عند المنارة فدخلت فى المسجد الحرام حين وسعه المهدى فى الهدم الآخر سنة سبع وسبعين ومائة (۲).

وقال أحمد السباعى:

... عند سوق الليل تصافحنا الدار التى كانوا يسمونها دار مال اللَّه، وكانوا ينفقون فيها على المرضى ويطعمونهم، وبالقرب من الدار يلتوى شعب ابن يوسف وهو ما نسميه شعب على، وفيه دور عبد المطلب بن هاشم ودور أخرى لأبى طالب وأخرى للعباس بن عبد المطلب وإذا عدنا إلى استقامتنا فى شارعنا العام يصافحنا دار العاص فى فوهة شعب بنى عامر، ثم يلتوى شعب بنى عامر فى

۱- ۱ مرآة الحرمين ۱: ۱۸۰ و ۱۸۱.

۲- ۲ أخبار مكة للازرقى ۲: ۲۳۳.

ص: ۱۹۴

دروب متعددة تقوم علیها دور لبنی بكر، وأخری لبنی عبد المطلب بن عبد مناف ... ونمضی قلیلًا إلی المعلاة لنجد الجزارین عن یمیننا فی شعب أبی دب، ثم مكان المقابر وهی بعد حدود شعب عامر ... (۱).

صفوة القول:

إضافةً إلی ما مرّ ذكره، فإن شعب علی وشعب بنی هاشم وشعب بنی عامر، قرب المسجد الحرام محددة بشكل دقیق علی الخرائط الموجودة عن الحجاز- قدیماً وحدیثاً- ولم یطلق أحدٌ اسم شعب أبی طالب علی مقبرة أبی طالب الواقعة فی شعب أبی دب، ولهذا فإن وجود الشعب فی ذلك المكان مع كل هذه الأدلّة والشواهد، یمكن تبریره بالنقاط التالیة:

أوّلًا: أنّ المنطقة كانت موضع سكن تلك العائلة.

وثانیاً: توفّر امكانیة الحیاة، والاستفادة من مخزون الطعام والاشیاء الأخری الموجودة فی الدور، والّا كیف یمكن البقاء علی قید الحیاة لمدّة ثلاث سنوات، ومقاومة الظروف القاسیة فی تلك المنطقة القاحلة الخالیة من أی ظل یظلهم من الشمس المحرقة، أو یقیهم لهب الرمضاء القاتلة؟!

ثالثاً: انّ المنطقة المسماة الیوم بمقبرة أبی طالب، كانت فی العصر الجاهلی مقبرة ایضاً. ولیس من المعقول لرسول اللَّهصلی الله علیه و آله ان یترك جمیع المناطق الموجودة فی مكة ویلتجئ إلی مقبرة هو وأبو طالب ومجموعة من النساء والأطفال!

رابعاً: أن الحجون- كما أوضحنا سابقاً- تقع خارج مكّة، وهذا لا یتّسق والروایات القائلة بأنّ بكاء الأطفال كان یُسمع من خارج الشعب.

خامساً: جاء فی بعض النصوص التاریخیة أن الأوضاع كانت علی درجة شدیدة من القساوة، اضطر معها المحاصرون إلی أكل أوراق الأشجار

۱- ۱ أخبار مكة للسباعی: ۳۱.

ص: ١٩٥

والخَبَطْ (١) (٢) بينما لم تكن هناك أيّة أشجار أو نباتات فی المقبرة آنذاك حتى يتناولها المحاصرون.

سادساً: يتضح مما نقله الأزرقی أن الحجون لم يسكنها أحد حتّی العام العاشر للهجرة، وظلت هذه المنطقة خارج مدينة مكة لعدة قرون.

سابعاً: لم تكن هذه المنطقة من مكة مسكونةً أساساً، وما كان فيها زرع أو دور، حتّی إنّ رسول اللّهصلی الله عليه و آله كان يضرب الخيام عند النزول فيها لعدّة أيام.

قال أبو الوليد:

إنّ النبيصلی الله عليه و آله بعدما سكن المدينة كان لا يدخل بيوت مكة، وكان إذا طاف بالبيت انطلق إلی أعلی مكة فاضطرب به الابنية، قال عطاء: فی حجته فعل ذلك أيضاً، ونزل أعلی مكة قبل التعريف، وليلة النفر نزل أعلی الوادی (٣)، ثم يضيف الأزرقی: قيل للنبيصلی الله عليه و آله يوم الفتح: ألَا تنزل منزلك بالشعب؟ قال: وهل ترك لنا عقيل منزلًا؟ فقيل لهصلی الله عليه و آله: فانزل فی بعض بيوت مكة فی غير منزلك، فأبی وقال: لا أدخل البيوت، فلم يزل مضطرباً بالحجون لم يدخل بيتاً، وكان يأتی المسجد من الحجون.

ونقل سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول اللّهصلی الله عليه و آله مضطرباً بالحجون فی الفتح يأتی لكلصلوة (۴).

يتضح مما سبق أن شعب أبی طالب كان فی غير موضع مقبرة أبی طالب، ولا يعرف متی حصل هذا الخلط وما سببه!!

والمؤرخ الوحيد الذی احتمل أن يكون موضع شعب أبی طالب فی منطقة الحجون هو الحلبی الذی قال بعد بيانه لموضع ولادة رسول اللّهصلی الله عليه و آله:

أقول: قد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن تكون تلك الدار من شعب بنی هاشم، ثم رأيت التصريح بذلك، ولا ينافيه ما تقدم فی الكلام علی الحمل من أن

١- ١ الخَبَطْ: اسم الورق السّاقط. لسان العرب ۴: ١۶.

٢- ٢ الغدير ٧: ٣۶٣.

٣- ٣ أخبار مكة للازرقی ٢: ١۶١.

۴- ۴ المصدر نفسه.

ص: ۱۹۶

شعب أبی طالب وهو من جملة بنی هاشم کان عند الحجون؛ لأنه یجوز أن یکون أبو طالب انفرد عنهم بذلک الشعب. واللّه أعلم (۱). ولکن لا یوجد هنالک دلیل یثبتصحة هذا النقل. وربما یفهم من کلمة «واللّه أعلم» التی أوردها الحلبی أنه لم یکن متأکداً منصحة ما نقله.

وعلی هذا فقد کان المسار الطبیعی للأحداث بالشکل التالی: أنه حینما تعرّض أبو طالب وبنو هاشم وبنو المطلب للخطر الداهم من العدو التقوا حول أبی طالب لکونه شخصیة معروفة ومهاب الجانب، واجتمعوا فی موضع یعرف بشعب أبی طالب، وتولوا حراسته دفاعاً عن أنفسهم وعن النبیصلی الله علیه و آله ولما انتهت المقاطعة، خرج بنو هاشم وبنو المطلب من الشعب، وعادوا إلی منازلهم، ولم یرجعوا إلی الشعب مرة أخری، والنصوص التاریخیة تثبت هذا المعنی، إلا أنّ البعض لم یلتفت إلیها.

۱- ۱ السیرة الحلبیة ۱: ۶۳.

ص: ۱۹۷

الهوامش:

عبد اللّه بن مسعود ورحلة الإيمان المباركة

ص: ۱۹۸

ص: ۱۹۹

ص: ۲۰۰

(۲) رجال من الحرمين الشريفين

عبد اللَّه بن مسعود ورحلة الإيمان المباركة

محمد سليمان

أُعرف ب (ابن مسعود)، اسمى عبد اللَّه بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى، كنيتى أبو عبد الرحمن، وقد اختارها لى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله. أُمّى أمّ عبد الهذلى، كان أبى حليفاً لبنى زهرة.

نشأتُ فى مكّة، وعملتُ أجيراً أرعى غنماً لعُقبة بن أبى مُعيط.

سمعتُ بدعوة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله للإسلام، وكنتُ يومها غلاماً يافعاً، بعد أن قدم جمعٌ من عمومتى إلى مكة فرافقتهم، وكان فى بغيتهم شراء عطر، فأُرشدوا إلى العباس بن عبد المطلب الذى كان جالساً عند زمزم، فجلسوا إليه، وجلستُ معهم. فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا ... عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر، يمشى على يمينه غلام، حسنُ الوجه ...، تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها، حتّى قصد الحجر فاستلمه، ثمّ استلمه الغلام واستلمته المرأة. طاف بالبيت سبعاً،

ص: ۲۰۱

والغلام والمرأة يطوفان معه. ثمّ استقبل الركن، فرفع يديه وكبّر، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها وكبّرت، ثمّ ركع فأطال الركوع، ثمّ رفع رأسه من الركوع، فقنتَ مليّاً، ثمّ سجد وسجد الغلام معه والمرأة، يتّبعونه، يصنعون مثلما يصنع، فرأينا شيئاً أنكرناه، لم نكن نعرفه بمكة. فأقبلنا على العباس، وقلنا: يا أبا الفضل، إنّ هذا أمر لم نكن نعرفه فيكم!

قال: أجل، واللّه، ما تعرفون هذا؟

فقلنا: من يكون هؤلاء؟

قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد اللّه، والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته، والغلام عليّ بن أبي طالب. أما واللّه ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد اللّه بهذا الدين إلّاهؤلاء الثلاثة.

فعدتُ إلى عملي، وقد شُغلت نفسي بما رأت. وما هي إلّاأيام حتّى أتيتُ النبيَّصلى الله عليه و آله، وأسلمتُ على يديه مبكراً، فكنت من السابقين الأوّلين، حيث كنتُ سادس ستة ما على وجه الأرض مسلمٌ غيرنا.

كما كنتُ أول مَن جهر بالقرآن الكريم بعد رسول اللّهصلى الله عليه و آله في مكّة.

قرأت منه آيات بيّنات، فراحت تدوي في سماء الكعبة، وأفق مكّة البعيد، بعد أن اجتمع - يوماً - أصحاب رسول اللّهصلى الله عليه و آله، فقالوا: واللّه، ما سمعت قريش بهذا القرآن يُجهر لهابه قطّ، فمن رجل يُسمعهموه؟ فقلت: أنا.

قالوا: إنّا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلًا له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه. فقلتُ: دعوني، فإنّ اللّه سيمنعني.

وغدوت من فوري حتّى أتيتُ المقام في الضحى، وما إنصرتُ على بعد خطوات من زعماء قريش، وهم في أنديتهم حتّيصحتُ بصوت عالٍ تجاوبت أصداؤه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان ...» (۱)

وأخذتُ أقرأ هذه السورة المباركة، فيما راح كلّ

۱- ۱ سورة الرحمن. استدلّ البعض بهذه القصة على أن سورة الرحمن مكيّة.

ص: ۲۰۲

زعيم من زعماء قريش– الذين ذهلوا وأُدهشوا، وكأنصاعقة نزلت عليهم من غرابة ما يسمعون– يلتفت للآخر سائلًا؟ ما يقول ابنُ أمّ عبد؟! ويأتيه الجواب: إنّه يتلو بعض ما جاء به محمد. وفجأة أسرعوا نحوى وملامح الغضب الذى تملكهم قد ارتسمت على وجوههم، ثمّ انهالوا علىَّ بأيديهم وعصيّهم، وقد غادرت الرحمة قلوبهم، وأنا أقرأ دون توقف حتّى بلغتُ من السورة ما شاء اللّه أن أبلغ، ثمّ انصرفتُ إلى أصحابى، وقد أُدمى رأسى من كثرة الجراح.

قالوا: هذا الذى خشينا عليك.

قلتُ: ما كان أعداءُ اللّه أهونَ علىَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها.

فقالوا: لا، حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون.

لقد كان زعماء الشرك يتربّصون الدوائر بكلّ مؤمن بالإسلام، وبكلّصادحٍ بآيات القرآن الذى يطعن عقائدهم الضالة، ويسفّه عقولهم، ولهذا تراهم لا ـ يكتفون بإرسال عيونهم لمتابعتنا ومراقبتنا بل يتابعوننا بأنفسهم. وأذكر أنّى ذهبتُ وسعد بن أبى وقاص، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وسعيد بن زيد لنُصلى بعيداً عن عيونهم، فى شعبٍ من شعاب مكة، فإذا بنفر من مشركى مكة منهم أبو سفيان بن حرب والأخنس بن شريق وغيرهما يطّلعون علينا، سبونا وعابونا، فحدث بيننا وبينهم عراك، وكان بيد سعد بلحى جملٍ ضرب به أحد رجالهم فشجّ رأسه، فكان أول دم أُريق منهم فى الإسلام.

ولما رأى رسول اللّهصلى الله عليه و آله ما حلّ بنا من البلاء، وما يُصيبنا من العذاب على أيدى قريش، قال: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ فيها ملكاً لا ـ يُظلَم أحدٌ عنده، وهى أرضصدق، حتّى يجعل اللّه لكم فرجاً مما أنتم فيه». فكانت أول هجرة لى. وبعد عودتى منها هاجرتُ إلى يثرب حيث

ص: ۲۰۳

كـان رسول اللّهصـلى الله عليه و آله قـد سـبقنا إليهـا، فنلتُ بـذلك وسـام الهجرتين، فوسام البـدريّين عنـدما شاركت فى معركـة بـدر الكبرى، وكان النصر حليف المؤمنين وهم قلة، والهزيمة والذلّ نصيب المشركين وهم كثرة.

وقـد أمر رسول اللّهصـلى الله عليه و آله أن يُلتمس أبو جهل الـذى أصابه معوّذ بن عفراء، فعـدتُ إلى ساحـة المعركـة، وأجلتُ نظرى فيهـا، فوجـدتُ أبـا جهل فى آخر رمق من حياته الآثمـة، التى كان من فصولها: الإعتـداء على رسول اللّهصـلى الله عليه و آله وتعـذيب المؤمنين، وقتل سميّة أمّ عمّار بن ياسر.

قلتُ له: الحمدُ للّهالذى أخزاك.

قال: وبماذا أخزانى .. لمن الدائرة اليوم؟

قلت: للّهولرسوله.

ثمّ قال حين رآنى عليصدره أُريد قتله: لقد ارتقيتَ مرتقًيصعباً يا رُوَيعىَ الغنم.

فقلت له: إنّى قاتلك يا أبا جهل!

قـال: لستَ بـأول عبـد قتـل سـيده! أمـا إن أشـد مـا لقيته اليوم فى نفسـى لقتلـك إيـاى، ألا يكون ولِّىَ قتلى رجلٌ من الأحلاف أو من المطيبين.

فضربته ضربةً وقع رأسه بين يديه ... وأقبلتُ برأسه وبسلاحه ودرعه وبيضته فوضعتها بين يدى رسول اللّهصلى الله عليه و آله، وقلتُ له: أبشر، يا نبىّ اللّه، بقتل عدوّ اللّه أبى جهل.

فقال رسول اللّهصـلى الله عليه و آله: أحقّاً، يا عبد اللّه؟ فو الذى نفسى بيده، لهو أحبّ إلىّ من حُمر النعم، اللّهمّ قد أنجزت ما وعدتنى فتمّم علىَّ نعمتك.

وسجد شكراً للّه، ثمّ شهد لى بالجنة.

بعدها أمر النبيصـلى الله عليه و آله بوضع قتلى المشركين فى القليب، وعندها تذكرتُ: أنّ النبيصلى الله عليه و آله كان يُصلّى يوماً عند البيت، وأبو جهل وأصحابه له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيّكم يجيءُ بِسَلى جزور بنى فُلان، وقد نُحرت بالأمس، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم عقبة بن

ص: ۲۰۴

أبي معيط فجاء به، فنظر حتّى سجد النبيصلى الله عليه و آله، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظرُ لا أُغير شيئاً، لو كان لي منعةٌ. فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول اللَّهصلى الله عليه و آله ساجد لا يرفع رأسه، حتّى جاءته فاطمةٌ بعد أن أسرعت امرأة فأخبرتها، فطرحته عن ظهره، ورفع رأسه ثمّ قال: «اللّهم عليك بقريش) ثلاث مرّات، فلما سمعواصوته، شقّ عليهم، وخافوا دعوته، وكانوا يرونَ أنّ الدعوة في ذلك البلد مُستجابة، ثمّ سمّي: (اللّهمّ عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعيط)، وعدّ السابع فلم أحفظه.

فو الذي نفسي بيده، لقد رأيتُ الذين عدّ رسول اللَّهصلى الله عليه و آلهصرعى يوم بدر، ثمّ سحبوا إلى القليب، قليب بدر.

فنالوا بذلك جزاءهم العادل.

ووقعت معركة أُحد فكنت من الذين استماتوا بالذب عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله والدفاع عنه أمام السيل المتدافع من مشركي قريش، الذي يستهدف قتل رسول اللَّهصلى الله عليه و آله بعد أن حلّت بنا هزيمة بعد نصر، كان سببها مخالفة الرماة أمرَ رسول:

«لا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا».

وما علمتُ أنّ أحداً من أصحاب رسول اللَّهصلى الله عليه و آله يريد الدنيا حتّى نزلت هذه الآية «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» (۱)

في أولئك الرماة الذين تنازعوا أمرهم بينهم، فريقٌ سال لعابه حين رأى الغنائم التي خلّفها المشركون وراءهم، فترك موضعه، وفريق قليل ثبت مكانه امتثالًا لأمر الرسولصلى الله عليه و آله فاستشهد عن آخره.

وفي معركة حنين، ركنّا إلى قوتنا وكثرتنا، حتّى قال قائلٌ منّا: لن نُغلب اليوم من قلة، فشدّت كتائب العدو علينا شدّة رجل واحد، وأصبنا بهزيمة مباغتة أول القتال، فتفرّقت جموع

۱- ۱ آل عمران: ۱۵۲.

ص: ۲۰۵

المسلمين الـذين انتـابهم الخوف والـذعر، فيمـا راحت جماعـة منّا تقـدر بثمانين رجلًا من المهاجرين والأنصار، وكنت أحـدهم تحيط برسول اللَّهصلى الله عليه و آله، الذى علاصـهوة بغلته البيضاء وسط المعركة، وهو يصيح بالمنهزمين: إلى أين أيها الناس؟ هلمّوا إلىّ- هلمّوا إلىّ ... أنا رسول اللَّه، أنا محمد بن عبد اللَّه.

أنا النبىّ لا كـذب أنا بن عبـد المطلب اللّهمّ نزّل نصـرك، اللّهمّ نزّل نصـرك ... وإذا بالجموع المنهزمـة تعود إلى ساحة المعركة، وقد غطّت تكبيرتهم وتلبيتهم فضاء الوادى، فكان النصـر بعـد الهزيمـة، وكان الظفر بعـد المذلة والهوان، وما رجعنا إلّاوقتلى المشـركين قد ملأت ذلك الوادى، وأسراهم فى‌الحبال عند رسول‌اللَّهصلى الله عليه و آله.

ثمّ تعال معى- عزيزى- لنقرأ كيفصوّر لنا القرآن الكريم هذهِ الواقعة أفضل تصوير بأعظم بيان.

«لقـد نصـركم اللَّه فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغنِ عنكم شـيئاً وضـاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ تولّيتم مـدبرين ثمّ أنزل اللَّه سـكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعـذّب الـذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثمّ يتوب اللَّه من بعد ذلك على من يشاء واللَّه غفورٌ رحيم» (۱).

وبـدأ رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله بتقسـيم غنائم حنين على المسـلمين، وعندها سـمعت رجلًا يقول: إنّ هذه القسـمة ما عُدل فيها، ما أريد بها وجه اللَّه.

فقلت؟ فمن يعدل إذا لم يعدل اللَّه ورسوله؟

وأتيتُ النبىَّصلى الله عليه و آله فأخبرتهُ، فتغيّر لونه حتّى ندمتُ على ماصنعت، ووددتُ أنى لم أخبره.

ثمّ قالصلى الله عليه و آله: «رحم اللَّه موسى، قد أوذى بأكثر من هذا فصبر».

وأنزل اللَّه تعالى: «ومنهم مَن يلمزك فى الصدقات فإن أُعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم

۱- ۱ التوبة: ۲۵- ۲۷.

ص: ۲۰۶

يسخطون» (۱).

لقد شـهدتُ مع رسول اللَّهصلى الله عليه و آله كلّ مشاهده، ولم أتخلّف عنه أبداً، ولا غرابة فى ذلك، فلقد تشرّفت بخدمته، ورافقته فى حلّه وترحاله، حتّيصرتُصاحب سرّه. قال لى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله:

«إذنُكَ علىَّ أن تسـمع سِوادى (سرّى)، ويُرفَعَ الحجاب، حتّى أنهاك». فكنت ألجُ عليه، وأُلبسه نعليه، وأمشى معه، وأستره إذا اغتسل، وأوقظه إذا نام، ولهـذا كلّه ولغيره عرفتُ عنـد الصـحابة بصاحب السواد والسواك، وصاحب سرّ رسول اللَّه. ولهـذا أيضاً ترى بعضـهم يعدّنى وأُمّى من آل النبىّصلى الله عليه و آله لكثرة دخولنا عليهم ولزومنا لهم. قال فىّ الصحابى الجليل حذيفة: «كان أقرب الناس هدياً ودَلّا وسـمتاً برسول اللَّهصلى الله عليه و آله ابن مسعود، حتّى يتوارى عنّا فى بيته. ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمدصلى الله عليه و آله أنه من أقربهم إلى اللَّه زلفاً». وكانت ملازمتى لرسول اللَّه فرصةً مباركةً، نافعة لى، تزوّدت منه إيماناً وحكمة وأدباً، واستقيتُ منه علماً ومعرفة، حتّيصرتُ فقيهاً فى الدين، عالماً بالقضاء وأحكامه، عارفاً بالقرآن وعلومه: ناسخه ومنسوخه، متشابهه ومحكمه ... تلقّيت كلّ ذلك من رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وبفضل وبركةصحبتى له. لقد أخذتُ من فىّ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله بضعاً وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول اللَّهصلى الله عليه و آله أنّى أعلمهم بكتاب اللَّه. فما من كتاب اللَّه سورة إلّا أنا أعلمُ حيث نزلت، وما من آية إلّا أنا أعلم فيمَ أُنزلت، ولو أعلم أنّ أحداً أعلمُ منّى لرحلتُ إليه، وما سمعتُ أحداً يردّ هذا علىّ ولا يعيبه. ولكنّى أذكر أن رجلًا قال لى يوماً: سمعتك تقول: «لو أعلم أحداً أعلم بكتاب اللَّه منّى تبلغه المطايا لرحلت إليه».

فقلتُ: نعم قلت: هذا.

فقال: فأين أنت عن علىّ.

قلت: به بدأتُ، إنّى قرأتُ عليه.

وأضيف- أيضاً- أنّى قرأت سبعين سورة على رسول اللَّهصلى الله عليه و آله،

۱- ۱ التوبة: ۵۸.

ص: ۲۰۷

وختمت القرآن على خير الناس بعده، علىّ بن أبى طالب ... وأن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما من حرفٍ إلا وله ظهر و بطن، وإن على بن أبى طالب عنده منه الظاهر والباطن.

كما كنت محبّاً للقرآن، حاملًا له، عارفاً بقراءاته، مجيداً لها، حسن الصوت به، وكنتُ أعدّ من القراء، ولفظة القراء هذه لا تطلق إلّاعلى نخبة قليلة تختصّ بقراءة القرآن، من بين عدد ممّن يعرفون القراءة فى مجتمعنا الذى غلبت عليه الأُميّة. وقد قال فىّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله: «مَن سرّه أن يقرأ القرآن غضاً أو رطباً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أُمِّ عبد» وأمّ عبد كنية أُمّى. وشهد لى علىّ عليه السلام أنّى أوّل من قرأ آية من كتاب اللّه على ظهر قلب بقوله: «أول من قرأ آية من كتاب اللّه عن ظهر قلبه ابن مسعود».

وكثيراً ما كان رسول اللّهصلى الله عليه و آله يحب أن يسمع القرآن منّى، وذات مرّة قال لى: اقرأ علىّ يا عبد اللّه.

قلتُ: أقرأ عليك، وعليك أُنزل يا رسولَ اللّه؟

فقالصلى الله عليه و آله: إنّى أُحبُّ أن أسمعه من غيرى.

فأخذتُ أقرأ من سورة النساء، حتّى إذا بلغتُ قوله تعالى:

«فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» فاضت عينا رسول اللّهصلى الله عليه و آله من الخشوع والخشية والإخبات للّه ولتنزيله.

ولطالما جاءنى بعض الصحابة إلى بيتى ليسمعو منّى قراءة القرآن وتفسيره؛ ولأن قراءتى هكذا كانت، ترى الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق من قبل الأمويين، الذى عرف بمكره واشتهر بإجرامه وتعطشه للقتل وتعذيب الناس، تراه يمنع قراءة القرآن كما قرأته، فيقول فى ضمن كلمة له يهدّد ويتوعد بها الناس: «... ولا أجد أحداً يقرأ علىّ قراءة ابن أمّ عبد إلّاضربتُ عنقه ...».

ص: ۲۰۸

وكنتُ من الذين نزلت فيهم:

«ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشىّ يُريدون وجهه ...» (۱)

نزلت فى ستة نفر وأنا واحد منهم، حينما كنّا جلوساً عند رسول اللّهصلى الله عليه و آله، فقال بعض زعماء قريش: إنّا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطردهم عنك.

فأنزل اللّه هذه الآية.

«ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلّاقليل منهم» (۲)

كنت من هذا القليل الذى استثناه اللّه تعالى، فقد قلنا:

واللّه لو أمرنا لفعلنا فالحمد للّهالذى عافانا، فقال رسول اللّهصلى الله عليه و آله: إنّ من أمتى رجالًا، الإيمان فى قلوبهم أنبت من الجبال الرواسى.

«الذين استجابوا للّهوللرسول من بعد ما أصابهم القرح للّذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم» (۳)

، نزلت هذه الآية فى الذين أجابوا دعوة الرسولصلى الله عليه و آله مع ما فيهم من جراح وآلام شديدة فى يوم أُحد، وكنت منهم، ندبنا الرسولصلى الله عليه و آله لنعود إلى المشركين فنقاتلهم.

ولما نزلت «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طَعِموا إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات» (۴).

قال رسولاللّهصلى الله عليه و آله لى: أنت منهم.

فكانت فرحتى بذلك عظيمة جداً.

*** نلتُ شرف الرواية عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله حتّى تجدنى فى بعض الكتب الحديثية أُدعى ب (عبد اللّه بن المسعود الراوى)، فقد ورد لى فى كتب الحديث الكثير من الروايات المتّفق عليصحّتها، كما أن جمعاً من أعيان الصحابة والتابعين روى عنى. وما نقلتُ حديثاً عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله حتّى تغير لون وجهى، وانتفخت أوداجى، وعلتنى كآبة وانحدر عرقى من جبينى، ودمعت عيناى، وأقول فى بداية نقلى للحديث: أو قريباً من هذا، أو نحو هذا، أو شبه هذا. كلّ ذلك خوفاً من

۱- ۱ الأنعام: ۵۲.

۲- ۲ النساء: ۶۶.

۳- ۳ آل عمران: ۱۷۲.

۴- ۴ المائدة: ۹۳.

ص: ۲۰۹

الزيادة والنقصان، أو السهو والنسيان، فأكون قد حكيت عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ما لم يقله، أو أدخل فی الدين ما ليس منه.

أذكر بعض ما رويته:

منصلّيصلاة لم يصل فيها عليَّ وعلى أهل بيتی لم تقبل منه.

سبابُ المسلم فسوق، وقِتاله كفرٌ.

سألتُ النبيصلى الله عليه و آله: أيُّ العمل أحبُّ إلى اللّه؟ قال: «الصلاةُ على وقتها».

قلتُ: ثمّ أيُّ؟ قالصلى الله عليه و آله: «ثمّ برُّ الوالدين». قلتُ: ثمّ أيُّ؟ قالصلى الله عليه و آله:

«الجهادُ فی سبيل اللّه». حدّثنی بهنّ، ولو استزدتهُ لزادنی.

إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخافُ أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه.

إنّ الصدق يهدى إلى البر، وإنّ البرّ يهدى إلى الجنّة، وإنّ الرجل ليصدق حتّى يكونصديقاً، وإنّ الكذب يهدی إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدی إلى النار، وإنّ الرجل ليكذب حتّى يكتب عنه اللّه كذاباً.

سمعت رسول اللّهصلى الله عليه و آله يقول بحقّ الصحابی الجليل «أبو ذر الغفاری»:

«يرحم اللّه أبا ذر يمشی وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين» وكان ذلك فی مسيره إلى تبوك، حيث وقف بأبی ذر جملُهُ فتخلّف عليه، فلمّا أبطأ أخذ رحله عنه، وحمله على ظهره، وتبع النبيصلى الله عليه و آله ماشياً، فنظر الناس وقالوا: يا رسول اللّه! هذا رجل على الطريق وحده.

فقالصلى الله عليه و آله: كن أبا ذر،

فلمّا تأمله الناس، قالوا: هو أبو ذر.

فقال رسول اللّهصلى الله عليه و آله: يرحم اللّه أبا ذر، يمشی وحده ....

وبقيت طيلة سنين أفكّر بهذا القول حتّى نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة وهو مكان يكرهه كثيراً، فأصابه بها أجلُه، ولم يكن معه إلّاامرأته وغلامه، فأوصاهما أن يغسلاه، ويكفناه ثمّ يضعاه على الطريق، فأوّل ركب يمرّ بهما

ص: ۲۱۰

يستعينان به على دفنه، ففعلاـ ذلك. فإذا بى فى رهط من أهل العراق، فأعلمتنا إمرأته بموته، حزنّا حزناً شديداً، ورحنا نبكى عليه بدموع غزيرة، وقلتُصدق حبيبى رسول اللّهصلى الله عليه و آله:

لقد سمعته يقول: «يرحم اللّه أبا ذر ...، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين» ثمّ واريناه الثرى فى سنة ۳۲ ه.

فلك اللّه يا أبا ذر، ما أنصفوك فى شىء.

ومن أدعيتهصلى الله عليه و آله التى رويتها هذا الدعاء:

ما من عبدٍ أصابه همٌّ، فقال: «اللّهمّ إنّى عبدُك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فىّ حكمك، عدل فىّ قضاؤك، أسألك بكلّ اسم سميتَ به نفسك، أو ذكرته فى كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ضياءصدرى، وربيع قلبى، وجلاءَ حزنى، وذهاب همّى» إلّاأذهب اللّهُ همّه، وبدّله مكان حزنه فرحاً.

ولو راجعت كتب التفسير، ومعاجم القراءات لوجدت لى قراءات أختصّ بها وحدى بلغت أربعاً وسبعين قراءة، وأخرى شاركتُ فيها آخرين، وتجد لى آراءً فى القرآن وتفسير آياته أنفرد بها، وأخرى أُشارك فيها غيرى، كما أنّ لى آراءً فى الفقه، وفتاوى. وحكم وأقوال تناثرت فى بطون الكتب، ببركات البيت النبوى الذى عشتُ فى كنفه، وارتويتُ من ينبوع إيمانه وعلمه وأدبه وحكمته.

وهذه باقة من حكم وأدعية وأقوال لى:

ليس من الناس أحدٌ إلّاوهو ضيفٌ على الدنيا، ومالُه عارية: فالضيف مرتحل، والعارية مردودة.

إنّ الرجل لا يولد عالماً، وإنّما العلم بالتعلم.

ما من شىء أولى بطول سجن من لسان.

ص: ۲۱۱

ومن دعائی: اللّهم وسع علیّ من فی الدنیا وزهدنی فیها، ولا تُزوِها (تبعدها) عنّی وترغبنی فیها ....

وإنّ لی دعاء ما أكاد أدعه:

اللّهمّ إنّی أسألك إیماناً لا یبید، ونعیماً لا ینفد، وقرة عین لا تنقطع.

إنّ فی كتاب اللّه آیتین، ما أصاب عبدٌ ذنباً فقرأهما ثمّ استغفر اللّه إلّا غفر له:

«والـذین إذا فعلوا فاحشـة أو ظلمـوا أنفسـهم ذكروا اللّه فاسـتغفروا لـذنوبهم ومن یغفر الـذنوب إلّـااللّه ولم یُصـرّوا علی مـا فعلوا وهم یعلمون» (۱).

«ومن یعمل سوءاً أو یظلم نفسه ثمّ یستغفر اللّه یجدِ اللّه غفوراً رحیماً» (۲).

إن عملتم فی دینكم بالقیاس، أحللتم كثیراً مما حرّم اللّه، وحرّمتم كثیراً مما أحلّ اللّه.

ومن خطبة لی:

أصدق الحدیث كتابُ اللّه، وأوثق العُری كلمة التقوی خیر زاد، وأكرم الملل ملّة إبراهیم علیه السـلام، وخیر السنن سنّة محمدصلی الله علیه و آله .. ومـا قـلّ وكفی خیرٌ ممّـا كثر وألهی، لنفسٌ تحییهـا خیرٌ من إمـارة لا ـ تُحصـیها. خیر الغنی غنی النفس. وخیر مـا أُلقی فی القلب الیقین.

الخمر جماع الآثام ... مَن یَغفر یُغفر له، مكتوب فی دیوان المحسنین. من عفا عُفی عنه، ... السعید مَن وعظ بغیره ...

أحسن الهدی هدی الأنبیاء، أقبحُ الضلالة الضلالةُ بعد الهدی، أشرف الموت الشهادة ....

*** عرف الصحابة قدری، ومنزلتی عند رسول اللّهصلی الله علیه و آله، وسبقی وفضلی فی الإسلام.

فقـد ارتقیت- یوماً- شـجرة لأجتنی من ثمرها للصـحابة وهم ینظرون إلی دقّة ساقی ویضـحكون، فقال لهم رسول اللّهصـلی الله علیه و آله: ما یضحككم! أو تعجبون من دقّة ساقیه؛ فو الذی نفسی بیده لهما أثقلُ فی المیزان

۱- ۱ آل عمران: ۱۳۵.

۲- ۲ النساء: ۱۱۰.

ص: ۲۱۲

يوم القيامة من أُحد.

وقد سمع عليٌّ عليه السلام- يوماً- ثناء جمع من الصحابة عليَّ حيث قالوا: ما رأينا رجلًا أحسن خُلقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسة، ولا أشدّ ورعاً من ابن مسعود. فقال عليه السلام:

«أُنشدكم اللّه أهو الصدق من قلوبكم؟

قالوا: نعم. قال: اللّهم اشهد أنّى أقول مثل ما قالوا، وأفضلَ من قرأ القرآن، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، فقيهٌ فى الدين، عالمٌ بالسنّة».

وها هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، يعين عمار بن ياسر والياً على الكوفة، ويجعلنى وزيراً ومعلماً فى كتاب واحد سنة ۲۱ ه، جاء فيه:

«إنّى قد بعثتُ عمار بن ياسر أميراً، وعبد اللّه بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول اللّهصلى الله عليه و آله، من أهل بدر، فاقتدوا بهما، وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد أثرتكم بعبد اللّه على نفسى».

فكنت فى الكوفة معلماً للقرآن، وفقيهاً فى الدين، وأميناً على بيت مال المسلمين، حتّى آل أمر الخلافة إلى عثمان، فبعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط والياً على الكوفة فى السنة الثانية من خلافته، وعقبة هذا من ألدّ أعداء رسول اللّهصلى الله عليه و آله، وقد قتله علىّ بن أبى طالب بأمر رسول اللّهصبراً بعد أسره فى معركة بدر، وأنزل اللّه فيه: «ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذتُ مع الرسول سبيلًا يا ويلتى لم أتخذ فلاناً خليلًا لقد أضلّنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولًا» (۱).

أما ابنه الوليد فقد أسلم يوم فتح مكّة، وكان فاسقاً بنصّ القرآن:

«يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (۲).

جرت بينى وبين الوليد هذا مشادة وخصومة، بعد أن استقرض مالًا من بيت مال المسلمين ولم يُرجعه، فأرسل الى عثمان يخبره بمطالبتى له

۱- ۱ الفرقان: ۲۷- ۲۸.

۲- ۲ الحجرات: ۶.

ص: ۲۱۳

بإعادة المال، وبدل أن يقف الخليفة بجانبى كتب إلىّ: «إنما أنت خازن لنا فلا تتعرّض للوليد فيما أخذه من المال».

فلم يتأخّر جوابى: «كنت أظن أنى خازن لمال المسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لى فى ذلك». ثمّ خرجت إلى مسجد الكوفة وقلت: «يا أهل الكوفة، فقدتُ من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتِنى بها كتاب أمير المؤمنين، ولم يكتب لى بها براءة ...».

ثمّ أعلنتُ استقالتى، وقلت:

«مَن غيّر غيّر اللّه ما به، ومَن بدّل أسخط اللّه عليه، وما أريصاحبكم إلّا وقد غيّر وبدّل ... إنّ أصدق القول كتاب اللّه، وأحسن الهدى هدى محمدصلى الله عليه و آله، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة فى النار».

فلما سمع الوليد كلّ ذلك، كتب كتاباً آخر إلى الخليفة عثمان قال فيه:

إنّه يعيبك، ويطعن عليك.

فأمر عثمان الوليد بإشخاصى إليه فى المدينة، فما كان من أهل الكوفة إلّا أن اجتمعوا بسلاحهم حولى قائلين: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقلت: إنّى لا أحبّ أن أكون أول من فتح باب فتنٍ لا تبقى ولا تذر. فأوصيتهم بتقوى اللّه، ولزوم القرآن.

ثمّ خرجتُ من الكوفة فيما راح أهلها يودعوننى بحزن وأسى قائلين:

جزيت خيراً، فلقد علمت جاهلنا، وثبّت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتنا فى الدين، فنعم أخو الإسلام أنت، ونعم الخليل ....

ولمّا وصلتُ مسجد رسول اللّهصلى الله عليه و آله فى المدينة إذ الخليفة يلقى كلمته، فلمّا رآنى قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشى على طعامه يقيء ويسلح.

فقلت: لستُ كذلك، ولكنّيصاحب رسول اللّهصلى الله عليه و آله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان.

وقد أثار كلام الخليفة أمّ المؤمنين عائشة فقالت: أى عثمان،

ص: ۲۱۴

أتقول هذا لصاحب رسول اللّه؟

فقال لها: أسكتی.

ثمّ أمر بإخراجی من المسجد، فضربتُ وأُخرجت.

ومنع عطائی سنتین، وأمر بمقاطعتی، ولم يأذن لی بمغادرة المدينة.

وتوجه علیّ عليه السلام نحو الخليفة قائلًا:

يا عثمان، أتفعل هذا بصاحب رسول اللّهصلی الله عليه و آله بقول الوليد بن عُقبة؟

فقال: ما بقول الوليد فعلتُ هذا، ولكن وجهتُ زبيد بن الصلت الكندی إلی الكوفة، فقال له ابن مسعود: إنّ دم عثمان حلال فردّ عليه علیّ عليه السلام: أحلت علی زبيد علی غير ثقة.

ثمّ حملنی علی عليه السلام إلی منزله، فقام برعايتی وتعاهدنی حتّی شفيتُ من آثار ضربهم لی.

ولما مرضتُ مرضی الذی متّ فيه، دخل علیّ الخليفة عائداً، وقال لی:

ما تشتكی؟

فقلت: ذنوبی.

فقال: فما تشتهی؟

فقلت: رحمة ربی.

قال: ألا أدعو لک طبيباً؟

قلتُ: الطبيب أمرضنی.

قال: آمر لک بعطائک؟

قلت: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغنٍ عنه.

قال: يكون لولدک.

قلتُ: رزقهم علی اللّه.

قال: استغفر لی يا أبا عبد الرحمن.

قلتُ: أسأل اللّه أن يأخذ لی منک بحقی.

ثمّ غادر بيتی دون أن يحصل علی رضای.

*** مات عبد اللّه بن مسعود عن ستين عاماً، وصلّی عليه حبيبُه عمّار بن ياسر مع جمع من أصحابه، ودفن ليلًا فی البقيع سنة ۳۲ ه.

فسلام عليک يا أبا عبد الرحمن فی الخالدين.

ص: ۲۱۵

إنّ الكتب التی ذكرت حياة هذا الصحابی الجليل، وكلّ ما يتعلّق به عديدة، أكتفی هنا بذكر ما اعتمدته فی هذه الترجمة له.

۱- مختصر (تاريخ دمشق لابن عساكر) لابن منظور؛ تحقيق روحيّة النحاس- دار الفكر.

۲- الكامل لابن الأثير.

۳- حلية الأولياء لأبی نعيم الاصفهانی ج ۱- اصدار دار الفكر.

۴- تاريخ الطبری لأبی جعفر الطبری.

۵- المغازی للواقدی.

۶- أُسد الغابة فی معرفة الصحابة- ابن الأثير ج ۳.

۷- العقد الفريد- ابن عبد ربه الأندلسی.

۸- ربيع الأبرار ج ۲.

۹- أحاديث أمّ المؤمنين عائشة للسيد العسكری.

۱۰-صحيح البخاری.

۱۱-صحيح مسلم.

۱۲- التاريخ الجامع للأصول للشيخ منصور ناصيف.

۱۳- أضواء علی السنّة النبويّة لمحمود أبو رية.

۱۴- السيرة النبويّة لابن هشام ج ۱، ج ۲.

۱۵- ترجمة الإمام علیّ عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق المحمودی ج ۳.

۱۶- معجم القراءات القرآنية- اعداد الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم مكرم.

۱۷- تاريخ المدينة المنوّرة- ابن شبة مجلد ۳- ۴.

۱۸- العدة- الشيخ الطوسی.

الهوامش:

ابعاد التأثيرات الفكريّة والأدبيّة

ص: ۲۱۶

ص: ۲۱۷

أبعاد التأثیرات الفكریّة والأدبیّة

أحمد الواسطی

علی العقلیة الیهودیّة فی الجزیرة العربیة

المقدمة:

تأثّرت العقلیـة الیهودیة فی المجالات الفكریّة والأدبیة بالمسـلمین فی الجزیرة العربیة، حیث نجد هذا التأثّر واضـحاً وجلیّاً علی نتاجات الیهود اللغویـة والأدبیـة، التی أخـذت تحاكی فیها الأسالیب اللغویة والأدبیة للمسـلمین، هذا فضـلًا عن تأثّرها بالآداب الأوربیة. ویحاول الیهود من خلال وسائلهم الإعلامیـة، وما یألفون من كتب ونشـرات أن یظهروا مكانتهم الفكریـة والأدبیـة، ویجعلوا من الجزیرة العربیة أرضاً یهودیـة، هـذا من جهة، ومن جهة أخری یحاولون ربط دورهم التاریخی بدور إبراهیم الخلیل علیه السـلام، مع العلم بأنّ الجزیرة العربیة طوال التاریخ لم تكن أرضاً یهودیة، كما أنّ دورهم كان متأخراً كثیراً عن

ص: ۲۱۸

دور إبراهيم الخليل عليه السلام.

مُنح اليهودصفة (أهل الكتاب) أو (أهل الذمة) عندما انتشر الإسلام، حيث أصبحت الدولة الإسلامية مسؤولة عن سلامتهم، فأخذوا بعلوم المسلمين، وألّفوا- للمرّة الأولى فى التاريخ- كتب النحو ومعاجم الألفاظ تقليداً للمسلمين العرب، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل نجد أنّ الشعراء اليهود قرضوا الشعر العبرى وفقاً للأبحر الشعرية المألوفة فى اللغة العربية. وتناولت فنون الشعر العبرى فى ذلك الوقت جميع الأغراض المعروفة فى الشعر العربى كالمديح، والهجاء، والفخر، والرثاء، والحكمة، والوصف ....

فالشاعر اليهودى يهوذا الحريزى يقول فى المدح:

لِليقى كل ياقار نافية فى نلفيه فى هولفيت بئير عَل روش مِشيحاف (۱) أى: لصاحبنا اللاوى احترام ورفعة، فقد بات اكليلًا على الشعراء

كما نجد أن الشعراء اليهود، حاكوا الشعراء العرب فى النظم العلمى والتعليمى، وفى نظم الأحاجى والألغاز (۲).

ولم يؤلّف اليهود كتباً علمية فى قواعد لغتهم إلّابعد أن تتلمذوا على يد المسلمين العرب، ونشأوا فى عهد الثقافة الإسلاميّة نشأةً مكّنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها.

فظهر سعيد بن يوسف الفيومى فيلسوف اليهود فى القرن العاشر (۳). وكان أوّل النحاة العبريين، الذين وضعوا قواعد النحو العبرى على غرار قواعد اللغة العربية وليس هذا فحسب، بل أخذ الكثير من العلوم الدينية، وتشرّبت روحه بمذهب «المعتزلة»، ويظهر هذا التأثّر جلياً فى معالجته الديانة اليهودية، ويعدّه النحاة اليهود أبا النحو العبرى.

ونقل اليهود إلى لغتهم العلوم الإسلامية كاللاهوت، والطب والفلسفة،

۱- ۱ د. ربحى كمال: الأدب العبرى: ۴۲۰.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ د. ربحى كمال: قواعد اللغة العبرية: ۴۱- ۴۲.

ص: ۲۱۹

وغيرها من أمثال كتب ابن سينا، «تهافت الفلاسفة» للغزالى، و «تهافت التهافت» لابن رشد.

ويقول الناقد (يهوذا الحريزى) بأسلوب حماسى: «اعلم أن الشعر البديع الحافل باللآلئ قد كان فى بادئ الأمر ملكاً مقصوراً على أبناء العرب المسلمين وحدهم، وقد وزنوه بموازينصادقة، وهم يفوقون فى شعرهم شعراء العالم قاطبة ... ومع أن لكل أمة شعراءَها، فإنّ جميع شعرهم لا قيمة له، ولا وزن فى مقابل شعر الإسماعيليين (أى المسلمين العرب) لأنهم- وحدهم- المستأثرون بالشعر العذب فى لفظه، الجميل فى فحواه ومعناه.

ثمّ يضيف الناقد العبرى الحريزى، متحدثاً عن تأثير الشعر العربى فى الشعر العبرى بقوله: إنّ بنى شعبنا بعد جلائهم عن أرض كنعان، قد قطن الكثيرون منهم مع العرب المسلمين فى أوطانهم، وألفوا التحدّث بلغتهم، والتفكير بتفكيرهم، وبامتزاجهم بهم تعلموا منهمصناعة الشعر الموزون فى اللغة العبرية ...» (۱).

والجدير بالذكر أن الشعراء اليهود عرفوا الأساليب البلاغية المألوفة آنئذٍ عند العرب المسلمين، التى بها كانوا يزيّنون قصائدهم ويحلّون أشعارهم. كما أن «بنى إسرائيل» أول من دان باليهودية، لكنهم لم يكونوا وحدهم اليهود حتى فى زمانهم (۲). ولم تعرف باسم (اللغة العبرية) إلّابعد السبى البابلى (۳). ولمّا استوطن (بنو إسرائيل) أرض كنعان، وعرفوا المدينة والحضارة،صاروا ينفرون من كلمة (عبرى) التى كانت تذكّرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا باسم (بنى إسرائيل) فقط (۴).

ولا يوجد فيصحف العهد القديم ما يدلّ على أنّهم كانوا يسمّون لغة (بنى إسرائيل) (باللغة العبرية)، بل كانت تارة تعرف باسم اللغة اليهودية: «يِهُوديت»

۱- ۱ يهوذا الحريزى: كتاب تحكمونى: ۹۸.

۲- ۲ ياقوت الحموى، معجم البلدان: ۳۹.

۳- ۳ مصنفات المؤرخ اليهودى يوسيف: ۹۸.

۴- ۴ د. اسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية: ۳۸.

ص: ۲۲۰

كما هو واضح فى [سفر اشعيا] (۱).

دَقّيرنا إلْ عَقاديما أراميت كِيْ شِمْعيم أنَحْنُوا قِى ألْ تِدَبّير إيلينوا يِهُوديت بأُزْنيه هاعام أشير عَلْ هَحوما.

ويعنى: كلّم عبيدك باللغة الأرامية ولا تكلّمنا «باللغة اليهودية» فى مسامع الشعب الذى على السور.

وتارةً تعرف باسم (لغة كنعان): (۲)

بَيوم هَهُوا يِهْيُو حاميش عاريم ب إيرِص مِصْريم مِدَقْروت سِفَت كِنَعَن قى نِشْباعوت لَيهْقاصِقاءوت عِير هَهيرِس يآمير لِ إحات.

ويعنى هذا النص: كان فى ذلك اليوم بأرض مصر خمس مدن تتكلّم (بلغة كنعان)، وتحلف برب الجنود، وتسمى إحدى هذه المدن مدينة الشمس.

ولقد كشفت فى (تل العمارنة) بمصر رسائل يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر (ق. م)، وإلى عصر الملك (أمون حوطف)، حيث كان «بنو إسرائيل» لا يزالون تحت سيطرة (مصر)، فقد ذكرت هذه الرسائل الموجهة من أمراء فلسطين والكنعانيين إلى عزيز مصر، أن قبائل (عبيرى) أو (حبيرى) تغزو فلسطين وتتوغّل من ناحية الصحراء فى بلاد خاضعة للنفوذ المصرى، ويطلبون منه النجدة (۳).

۱- ۱ سفر أشعيا: ۳۶: ۱۱:ص ۶۷۰ الأصل العبرى.

۲- ۲ سفر أشعيا: ۱۹: ۱۸:ص ۶۵۲ الأصل العبرى.

۳- ۳ د. اسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية: ۲۸.

ص: ۲۲۱

قلعة خيبر

وبقيت عقليـة (الأديب الإسـرائيلى) مطبوعة بطابع الصـحراء فى عصور الحضارة؛ لأنّ علاقة «بنى إسـرائيل» بأمم الصـحراء لم تنقطع فى عصر من العصور، ولا شك أن عادات «بنى إسرائيل»، وأخلاقهم الاجتماعية فى عصورهم الأولى كانت متأثرة بأخلاق وعادات العرب فى الجاهلية، وأن كثيراً من أسماء الأعلام العبرية القديمة شائعة الاستعمال عند العرب فى الجاهلية مثل:

ص: ٢٢٢

(عوقْديا) وتعنى: عبد اللّه و (سَعْديا) تعنى: السعد و (عفرا) تعنى:

عفراء (١).

المصطلح العبرى:

كان مصطلح (العبرى) أو (العبرانى) يطلق فى نحو الألف الثانية قبل الميلاد، وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العربية فى شمال جزيرة العرب، وغيرهم من الأقوام العربية، حتيصارت كلمة (عبرى) مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام (٢).

وقد ورد اسم (عبريو) فى ورقتين من أوراق البردى كُتبتا فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وفى عهد ملك مصر (رمسيس الثانى) من الأسرة التاسعة عشرة، الذى حكم من سنة ١٢٩٢ إلى سنة ١٢٢٥ ق. م موجودتين فى متحف لايد فى هولنده (٣). غير أنّ (جون أ. هامرين) يحسم هذه المعلومة فى المجلد الثانى من مصنّفه الضخم (تاريخ العالم) (۴) بالقول: «إنّ الاعتقاد بكون «الخبيرو» أو «العبريو» هم ذاتهم عين العبريين قد ظلّ لزمن طويل يؤيده ذلك التشابه فى الأسماء، بيد أنه من العسير علينا القول بهذا الرأى لعدم وجود شواهد تؤيده».

ويستدل (هامرين) فى تدعيم رأيه بما ذهب إليه الأستاذ (واردل) [] Prof Wardle فى مصنّفه الحديث (إسرائيل وبابل)[Israel and Babylon [بشأن القلاقل التى سبّبتها قبائل «الخبيرو» التى هاجمت فلسطين خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، فاستنجد أمراؤها الذين كانوا خاضعين بالاسم لمصر بالفراعنة، الأمر الذى سجّلت وقائعه ألواح (تل العمارنة) المشهورة من سياق رسائل بلاطى (امنحتب الثالث) و (امنحتب الرابع) (اخناتون) أى: من (١۴٠٠- ١٣۶٠ ق. م) على وجه التقريب حين ذكر (واردل) أن مجىء الغزاة من الصحراء

١- ١ المصدر نفسه.

٢- ٢ المصدر نفسه.

٣- ٣ محمد عزة دروزة، تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم: ٣١.

۴- ۴ جون أ. هامرين، ج ٢ الباب الخاص بفلسطين.

ص: ۲۲۳

کـان من الحوادث المألوفـة فی تاریـخ فلسـطین القـدیم، وذکّر أن (الخـبیرو) لم یکونوا عـبرانیین، حیث کـانوا أکبر بکثیر من الشـعب العبری (۱).

دور إبراهیم الخلیل علیه السلام یسبق دور الیهود:

یمکن تحدید عصر إبراهیم علیه السلام وفقاً لسیر الأحداث التاریخیة، والموافق للمنطق الحسابی العقلی بالعام ۱۹۵۰ ق. م- تقریباً- مع الأخـذ بعین الاعتبار ضـرورة التوقف لحظات عند مسألة تحدید تواریخ الأحداث القدیمة، التی لابدّ من أن یقال عنها: إنّها تقریبیة إلی أبعـد الحدود، وقد أفرد العالم الألمانی المعاصـر (کورت مارک)] Kirt W. Marek [فصـلًا طویلًا لمناقشـتها فی کتابه المنشور عام ۱۹۵۵ بعنوان Lesectetdes Hittespon «أسرار الحیثیین» نجتزئ منه هذه الفقرة من الفصل الثامن «علم التواریخ»: (۲) «إنّ أول عام حُدّد لابتداء التاریخ المصـری، وهو تأسیس أوّل سلالة من قبل الملک مینیس (مینا) الذی حقّق وحدة مصر، قد جری تعدیله علی التوالی، وخلال قرن واحـد من الزمن وعلی مرّ الاکتشافات الجدیدة، فقُدّم من العام ۵۸۷۶ ق. م الی العام ۲۹۰۰ ق. م ومع ذلک لیس هناک أی برهان علی أن هذا التاریخ الأخیرصحیح ونهائی».

وفی ضوء مـا یقوله «ب مونـتی» P. Montet ودانیـل روبس Rops Daniel وغیرهما من المتخصصـین (۳) بشأن تواکب حرکة الهکسوس نحو مصـر فی القرن السابع عشـر ق. م مع وصول یوسف وآله، وأنه فی مـدینه «أفاریس» بالدلتا، اسـتقبل عاهل هکسوسـی یوسف وأخوته استقبالًا حسناً.

کمـا نجـد أنّ بعض البـاحثین یغـالطون أنفسـهم بربـط تاریـخ بنی إسـرائیل بمیلاـد إبراهیم أبی الأنبیاء- علیه وعلیهم السـلام-، أی مع منتصف القرن العشرین قبل

۱- ۱ محمد عزة دروزة، تاریخ بنی إسرائیل من أسفارهم: ۳۲.

۲- ۲ سهیل دیب، التوراة تاریخها وغایاتها: ۸۹.

۳- ۳ موریس بوکای، القرآن الکریم والتوراة والإنجیل والعلم دراسة الکتب المقدّسة فی ضوء المعارف الحدیثة: ۲۵۵.

ص: ۲۲۴

الميلاد، بينما يربط عدد آخر من الباحثين تاريخ «بنى إسرائيل» بموسى عليه السلام وهو خطأ آخر جسيم، كذلك رأينا فريقاً ثالثاً يرجع تاريخ اليهود إلى زمن الأكديين بالعراق، فى حين نجد فريقاً رابعاً يجعل تاريخهم مواكباً لتلك الدفقات البشرية السامية (نسبة إلى سام بن نوح)، التى خفق بها قلب الجزيرة العربية فيصورة هجرات متعاقبة إلى أطراف الجزيرة شمالًا وجنوباً وشرقاً وغرباً.

وهذه الآراء جميعها على خلاف السياق المنطقى لتسلسل أحداث المنطقة، وخلافاً لما أثبتته الأحافير الأثريّة الحديثة. والجدير بالذكر ما أفاده الدكتور سوسه (۱) بأن كتبة التوراة إنّما عمدوا إلى إهمال التسلسل الزمنى؛ ليسهل عليهم ربط تاريخهم بعهود قديمة سبقت وجودهم، فأدخلوا التشويش على ذهن القارئ؛ بحيث أصبح تائهاً بين العصور، فلا- يدرى أيبد تاريخ اليهود مع عصر إبراهيم، أم يواكب عصر موسى، ويشوع بن نون تلميذه، وخليفته على بنى إسرائيل، أم من زمن الهجرات السامية العربية، أم من عصر الأكديين؟!

فالحقيقة أن كل عصر من هذه العصور يتميّز عن العصر الآخر تميّزاً واضحاً، فاليهود أتباع موسى عليه السلام ظهروا خلال القرن الثالث عشر ق. م، والأكديون ظهروا قبل عصر موسى بنحو ألفين وسبعمائة عام، حينما نزحوا من جزيرة العرب إلى شواطئ الفرات حوالى (۴۰۰۰ ق. م) بينما ظهر إبراهيم الخليل فى منتصف القرن العشرين قبل الميلاد، أى أن المساحة الزمنية التى تفصله عن عصر موسى تصل لسبعة قرون تقريباً. كما أن الهجرات السامية من قلب الجزيرة الى أطرافها سبقت وجود اليهود على ظهر البسيطة بنحو ألفى عام، ومن هنا جاء تأكيد العقاد (۲)على أننا إذا فتّشنا عن نسبة لإبراهيم لم نجد أصدق من النسبة العربية، كما كانت العربية يومئذٍ بين الجزيرة العربية وبقاع الهلال الخصيب، فلا يقال: عن إبراهيم إنه إسرائيلى؛ لأن يعقوب هو أول من تسمى ب (إسرائيل)،

۱- ۱ د. أحمد سوسه، العرب واليهود فى التاريخ: ۲۲.

۲- ۲ عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء: ۲۸۹- ۲۹۰.

ص: ۲۲۵

ويعقوب حفيد إبراهيم. ولا ـ يقال: عن إبراهيم: إنّه يهودى؛ لأنّ اليهودى ينسب إلى (يهوذا) رابع أبناء يعقوب. ولا يقال: إنه عبرى إذا كـان المقصود بالعبريـة لغـة مميزة بين اللغات الساميـة، تتفاهم بها طائفـة من الساميين دون سائر الطوائف، فإنّ إبراهيم كان يتكلّم بلغة يفهمها جميع السكان فى بقاع النهرين وكنعان، ولم تكن العبرية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية فى تلك الأيام. وقد يقال عنه: إنّه سامىينتمى إلى سام بن نوح، ولكنّها نسبة إلى جدّ وليست نسبة إلى قوم (۱).

لـذا فإبراهيم عليه السـلام لم يكن يهودياً قطّ ولا نصـرانياً كما يـدّعى المـدّعون، وما زعمُ «بنى إسـرائيل» بأنه يهودى، وأنهم على دينه يخالفون النصارى الذين زعموا ذات الزعم، فنزلت فيهم كلمة اللّه الفصل ببطلان قولهم أجمعين، حيث إن التوراة نزلت من بعده بنحو سبعمائة عام، والإنجيل من بعده بنحو تسـعمائة وخمسـين عاماً. وعليه فما كان لليهودية أو المسـيحية وجود فى عهده عليه السلام، ففيم هـذه المحاجاة فى شأن إبراهيم، وهو الـذى مال عن الأديان والعقائد الوثنية كافة الى الدين القيم مسـلماً موحِداً غير مشـرك باللّه، قال تعالى: «يا أهل الكتاب لِمَ تحاجّون فى إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلّامن بعـده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلِمَ تحاجّون فيما ليس لكم به علم واللّه يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصـرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (۲).

ثم تسـتطرد الآيات الكريمة القول بأن أحقّ الناس بإبراهيم عليه السلام أولئك الذين اهتدوا برسالته، واتّبعوا نور دعوته فى زمانه، وهذا النبى محمدصـلى الله عليه و آله: النبىّ الأُمـىّ لموافقته له فى أكثر شـرعه والـذين آمنوا من أمّته، هم الـذين ينبغى أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم. واللّه ناصر المؤمنين وحافظهم: «إن أولى الناس بإبراهيم للّذين اتبعوه وهذا النبىّ والذين آمنوا واللّه ولىّ المؤمنين» (۳).

۱- ۱ المصدر نفسه.

۲- ۲ آل عمران: ۶۵- ۶۷.

۳- ۳ آل عمران: ۶۸.

ص: ۲۲۶

فإبراهيم علیه السلام بعث فی بیئهٔ کانت لهاصلهٔ وثیقهٔ بنوح علیه السلام، حیث إنّ المنطقهٔ التی بعث فیها هی منطقهٔ نوح علیه السلام. أما هجرته علیه السلام فکانت لأسباب وأهداف سامیهٔ، حیث واجه الظروف نفسها التی واجهها الرسولصلی الله علیه و آله عند هجرته من مکهٔ المکرمهٔ.

وقد هاجر علیه السلام من العراق الی الشام، وعندما یمرّ به الناس وهو فی الطریق الی الیمن والشام یدعوهم إلی الإسلام (۱). وتؤکّد التوراهٔ بکلّ وضوح أن إبراهیم الخلیل علیه السلام هاجر من العراق بمفرده، ولم یکن للیهود وجود فی العراق فی عصره، ذلک أنّ دعوهٔ الربّ لإبراهیم الخلیل علیه السلام کانت موجههٔ إلیه بمفرده، وهی أن یهجر أرض العراق، فذهب ومعه سارای زوجه ولوط ابن أخیه: (۲)

۱- قیومِر یِهقا إِل أقرام لیخ لِخا مِی أرصِنحا

أُو مِمولدتنحا أُو مِبیت أقیخا إل ها آرص

أشیر أرئیخا

۲- قی إیعِشخا لِگوی گدول قَأرقارفخا قأگدلا

شِمیخا قی هِیه براخا

۳- قأقارِخا مِپارَخیخا أُو مِقلِّلْخا آأور

قی نقرِخوا قِخا کُل مِشبحوت ها آداما

۱- ۱ العلامهٔ المجلسی، بحار الأنوار ۱۲: ۲۴۵- ۲۴۶.

۲- ۲ سفر التکوین: ۱۲: ۱- ۵ الأصل العبری:ص ۱۶.

ص: ۲۲۷

۴- قَيلِخ أقرام كأشير دَپير إيلاق يِهْقا

قيلِخ إتّو لوط قى أقرام بن حاميش شانيم

قى شقعيم شانا بِصيتو ميحاران

۵- قايِقّح أقرام إت ساراى اشتو

قى إت لوط بن آحيف

ويعنى هذا النص:

۱- وقال الرب لإبراهيم: إذهب من أرضك ومن عشيرتك إلى الأرض التى سأُريك. ۲- فاجعلك أمّةً عظيمة وأباركك، وأعظم اسمك. ۳- وأبارك مباركيك، والعن لاعنيك، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. ۴ و ۵- فذهب إبراهيم كما قال له الربّ، فأخذ معه ساراى زوجه ولوطاً ابن أخيه.

وكان عمره خمسة وسبعين عاماً لمّا خرج.

ولم يكتفِ اليهود بأن عدّوا العراق وطنهم الأصلى، بل ربطوا تاريخهم القديم بجزيرة العرب، بدعوة أن اليهود هاجروا من فلسطين إلى جزيرة العرب، بعد تشريدهم على يد الرومان فى القرن الأول للميلاد.

وعلى هذا الأساس عدّوا شبه جزيرة العرب أرضاً يهودية طوال التاريخ، وغورَ الأردن هو الذى يفصل أرض إسرائيل الشرقية عن الغربية.

هذا ما يلقّنونه لطلّاب الجيل الجديد من عرب ويهود فى كتبهم المدرسية فى إسرائيل (۱).

۱- ۱ بابوريش، إسرائيل معالم البلاد وجغرافيتها للصفّ الثامن: ۱۲۷- و عزرا حداد وإلياس دانيال، التاريخ للصف الخامس: ۲۰۰.

ص: ۲۲۸

الهوامش:

اسماء المدينة المنوّرة ونعوتُها

ص: ۲۲۹

أسماء المدينة المنوّرة ونعوتُها

أحمد زمانی

المدینة، وما أدراك ما المدینة؟! منار الإسلام، ورایةُ الإیمان ... مأوی الرسول الکریم، ومثواه ومسراهُ إلی الرفیق الأعلی، مختلف الملائکة ومهوی أفئدة العارفین والمسلمین، ومنشأ زعامة الصالحین فی مشارق الأرض ومغاربها.

فیها یرقد الرسولُصلی الله علیه و آله، وابنته الزهراء البتول علیها السلام، وأبناؤُه الأئمة الطاهرون؛ أبو محمّد الحسن بن علیّ المجتبی، وأبو الحسن علیّ بن الحسین السّجاد زین العابدین، وأبو جعفر محمّد بن علیّ الباقر، وأبو عبد اللّه جعفر بن محمّد الصادق علیهم السلام إلی جانب کوکبة من أجلّة الصحابة والتابعین وأعیان المدینة.

وقد دعا رسول اللّهصلی الله علیه و آله لهذا البلد الأمین وأهله فقال: «اللهمّ بارك لنا فی مدینتنا، اللهمّ بارك لنا فیصاعنا ... ثمّ قال: والّذی نفسی بیده! ما من المدینة

ص: ۲۳۰

شِعب ولا نَقب إلّاعليه ملكان يحرسانه» (۱).

وللمدينة أسماء عديدة ومتنوّعة، وهذه الأسماء المتظافرة تدلّ على عظمة المدينة وشوكتها لأنّها موضوعة لمفاهيم عَميقة، ومبتنية على ما ورد حول المدينة من الآيات والأحاديث، وسنذكر بعضها ضمن العناوين التالية:

على أننا نكتفى هنا بذكر تسعين اسماً من أسماء المدينة، المنورة (۲) ونرتّبها حسب تسلسل حروف المعجم.

۱- أَثْرِب:

فهى لغة فى «يثرب» حيث تنوب الهمزةُ عن الياء، وقد ذكر الشعراء ذلك كثيراً (۳)، وسيأتى تفصيلها فى «يثرب».

۲- أرضُ اللَّه:

ذكر بعض المفسّرين من العامّة مثل الثعلبى، ومقاتل ومجاهد فى تفسير الآية الكريمة «... ألم تكن أرض اللَّه واسعة فتهاجروا فيها ...» (۴)

أنّ المراد من «أرض اللَّه» المدينة (۵).

وقال آخرون من الشيعة والسنة: إنّ «أرض اللَّه» مطلق البلاد، سواء كانت المدينة أو غيرها التى تقدرون فيها على إقامة أمور الدين (۶)، وجاء فى الميزان: وهذا يناسب سعة الأرض، ولولا فرض السعة لكان يقال: فتهاجروا منها (۷).

۳- أرضُ الهِجْرَة:

هى بلدة، هاجر النبيُّصلى الله عليه و آله وأصحابه من مكّة المكرمة إليها، وسُمِّى هؤلاء

۱- ۱صحيح البخارى، ۳: ۶۰ باب المدينة تنفى الخبيث-صحيح مسلم، ۲: ۲ و ۱۰۰۱، كتاب الحج، باب الترغيب فى سكنى المدينة- وسائل الشيعة، ۱۰: ۲۷۳، باب استحباب الإقامة بالمدينة.

۲- ۲ تسمية الأشياء مجازاً تحتاج إلى علاقات مناسبة كما ذكر فى علم البيان والعلاقات كثيرة منها: تسميةالشىء باسم جزئه أو سببه أو محلّه و ... وأكثر أسماء المدينة أسماء مجازيّة. شرح المختصر، تفتازانى: ۱۵۶.

۳- ۳ لسان العرب، ابن منظور، ۱: ۲۳۴.

۴- ۴ النساء: ۹۷.

۵- ۵ وفاء الوفا، السمهودى، ۱: ۱۰.

۶- ۶ أبى مسعود، محمد بن محمد العمادى، ۲: ۲۲۳- التفسير الكبير، الفخر الرازى، ۱۱: ۱۲.

۷- ۷ الميزان، العلامة الطباطبائى، ۵: ۵۰.

ص: ۲۳۱

ب (المهاجرين) والذين احتضنوهم ب (الأنصار). هذا مضافاً إلى أنّ هذا الاسم ورد فی الحدیث النبویّ کما نقله الطبرانی فی الأوسط حیث قال: قال رسولُ اللَّهصلی الله علیه و آله: «المدینـة قُبّهُ الإسـلام، ودار الإیمان، وأرض الهجرهٔ، ومَبْوَأ الحلال والحرام» (۱). وأیضاً سمّیت المدینهٔ ب

«دار الهجرهٔ».

۴، ۵- أَکَّالَهُ القُرَی. وأیضاً یعبّر عنها ب «أَکَّالَهُ البُلْدَان»:

وجاء فی حـدیث عن مالک بن أنس قال: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: «أُمِرتُ بقریهٔ تأکل القری» (۲) أی: أمرتُ بالهجرهٔ إلیها واستیطانها.

وقد ذکر أهل الحدیث وجهین لهذه الروایهٔ:

۱- کانت المدینهٔ مرکزاً لجیوش الإسلام، وقد نصر اللَّه دینه بأهلها، فمنها فتحت القری، وغنمت أموالها وسبایاها وأسراها.

۲- کان أکل المدینهٔ وقوتها من القری المفتتحهٔ، وهذه القری تُمایر الطعام وتسوق إلیها غنائمها (۳).

فقد غلبت المدینهٔ وأهلها علی البلاد والقری المجاورهٔ والبعیدهٔ، بواسطهٔ الإسلام ونصرهٔ اللَّه- عزّ وجلّ- فسمیّت أکّالهٔ البلدان أو أکّالهٔ القری.

۶- الإیمَان:

جاء فی تفسیر البیضاوی ذیل الآیهٔ الکریمهٔ «والذین تبوّؤا الدار والإیمان من قبلهم ...» (۴)

سَمّی اللَّه «المدینهٔ» بالإیمان؛ لأنّ المدینهٔ وأهلها کانوا مظهر الإیمان ومصیره (۵).

ونقل ابن شُبّهٔ حدیثاً عن عبد اللَّه بن جعفر بن أبی طالب، قال: سمّی اللَّهُ المدینهَ: الدّار والإیمان (۶).

۱- ۱ مجمع الزوائد، الهیثمی، ۳: ۲۹۸.

۲- ۲صحیح البخاری، ۳: ۵۴، باب فضل المدینهٔ، رقم الحدیث ۱۳۰.

۳- ۳صحیح مسلم، ۲: ۱۰۰۶، باب المدینهٔ تنفی شرارها- لسان العرب، ۱۱: ۲۳، مادّهٔ: أکل.

۴- ۴ الحشر: ۹.

۵- ۵ أنوار التنزیل وأسرار التأویل للبیضاوی، ۲: ۴۸۱.

۶- ۶ تاریخ المدینهٔ المنوّرهٔ، ابن شبّهٔ، ۱: ۱۶۲.

ص: ۲۳۲

۷، ۸- البارَّةَ، البَرَّة:

هاتان الكلمتان مترادفتان، ويقصد بهما زيادة الخير والبركة التى تتناول المدينة وأهلها خصوصاً، ومنها تنتشر إلى سائر البلاد عموماً، وأنّها منبع الفيض والبركات.

قال السمهودى: يقال للمدينة: البرَّةْ، إذ هى منبع الأسرار، وإشراق الأنوار، وبها العيشة الهنيئة، والبركات النبويّة (۱).

۹، ۱۰، ۱۱، ۱۲- البَحْر، البَحْرَة، البَحِيرَة، البُحَيْرَة:

تطلق هذه اللغات الأربع على المدينة المنوّرة. نقل الزركشى (۲) ثلاث منها، والرابعة تصغير لما قبلها، وقال ياقوت الحموى: الاستبحار والبحر: السعة لأنّها بمتّسع من الأرض. ولما قال سعد بن عُبادة،- حينما دخل النبيّصلى الله عليه و آله بيته لعيادته فى مرضه، وأنّهصلى الله عليه و آله شكا ممّا سمع عن عبد اللَّه بن أبىّ بن سلول: ولَقَدْ اصطلحَ أهل هذه البُحَيْرَة أن يُتَوجُوهُ فَيُعْصِّبُوهُ بالعِصابَةِ (۳).

البُحَيْرَة: مدينة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وهى تصغير البَحْرَةْ (۴). وهكذا يقال: هذه بَحْرَتُنا أىْ أرضنا. وقال القاضى أبو علىّ: البَحِيرة (بفتح الباء) مكبرة وهى مدينة النّبيصلى الله عليه و آله (۵).

۱۳- البَلَاط:

هو كلُّ أرض فُرشت بالحجارة والآجر، أو الحجارة المفروشة فى الدار أو غيرها. والبَلاطَةُ الحَمْراء: هى حجر يُسمّى حجر السماق، ولد عليها علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى بيت اللَّه الحرام، وقد كانت فى وسط الكعبة ثم غيّرت فى ضلع البيت عند الباب (۶). فقال الحاكم النيشابورى حول وليد الكعبة علىّ عليه السلام: فقد

۱- ۱ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السمهودى، ۱: ۱۱.

۲- ۲ أعلام الساجد بأحكام المساجد، الزركشى: ۲۵۳.

۳- ۳صحيح مسلم، ۳: كتاب الجهاد، رقم الحديث ۱۷۹۸.

۴- ۴ لسان العرب، ۴: ۴۴، مادّة: بَحَرَ.

۵- ۵صحيح مسلم، ۳: ۱۴۲۳، ح ۱۷۹۸، حكاه القاضى أبو على عن جماهير رواة مسلم.

۶- ۶ مجمع البحرين، الطريحى، ۴: ۲۴۰، مادّة: بَلَطَ.

ص: ۲۳۳

تواترت الأخبار، أنَّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبی طالب- كرّم اللَّه وجهه- فی جوف الكعبة (۱).

وأنشدصاحب وسائل الشيعة الشيخ الحرّ العاملی رحمه الله أرجوزة قيّمة طويلة ونحن نكتفی برباعية منها:

مَوْلِدُه بِمَكَّةٍ قد عُرِفا فی داخِلِ الكَعْبَةِ زِيدَتْ شَرَفا عَلی رُخامةٍ هناك حَمْرا معروفة زادت بذاك قَدرا (۲) ويطلق علی المدينة «البَلاطُ» لكثرة الأحجار فيها أو لاشتمال المدينة علی موضع معروف- وكان سوقاً- يصلّی فيه علی الجنائز علی عهد رسول اللَّهصلی الله عليه و آله (۳) يُسمّی «البَطْحاء».

وقال الفيروز آبادی: هو موضع بين مسجد النبيّصلی الله عليه و آله وسوق المدينة (۴).

۱- ۱ المستدرك علی الصحيحين، الحاكم النيشابوری، ۳: ۴۸۳.

۲- ۲ عليّ وليد الكعبة، محمد علی الأردوبادی: ۵۵.

۳- ۳ قاموس المحيط، الفيروز آبادی، ۲: مادّة: بَلَطَ- لسان العرب، ۷: ۲۶۴.

۴- ۴ مجمع البحرين، الطريحی ۴: ۲۴۰ مادّة بَلَطَ.

ص: ۲۳۴

فإطلاق «البَلاط» على المدينة إمّا مجازاً من تسمية الشيء باسم جزئه، أو من حيث إن «المدينة» أرض أكثرها من الأحجار.

۱۴- البَلَد:

هو المدينة كما ذكره القُرطبى فى تفسير الآية الشريفة: «لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌّ بهذا البلد» (۱)

ونقل قول الواسطى لتبيين الآية بهذه العبارة.

قال الواسطى: أىْ: نحلف لك بهذا البلد الّذى شرّفتَه بمكانك فيه حيّاً، وبركتك ميّتاً، يعنى المدينة (۲).

ورجّح القاضى- عياض بن موسى اليحصبى السبتى- هذا القول، وإن اتّفق أكثر المفسّرين على أنّ البلد فى الآية المذكورة: مكّة المكرّمة (۳).

۱۵- بَلَدُ رسولِ اللّه:

هذه الكلمة من أسماء المدينة كما رواه البزّاز- العالم الحنفى- عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أنّه قال: قال رسول اللّهصلى الله عليه و آله: «إنّ الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدى هذا- يعنى المدينة- وبجزيرة العرب، ولكن التحريش (۴) بينهم» (۵).

البَلَد فى هذا الحديث النبوىّ ينسب إلى رسول اللّهصلى الله عليه و آله فأطلق على المدينة؛ لأنها بلد رسول اللّهصلى الله عليه و آله ...

۱۶- بَيْتُ رسُولِ اللّه:

عُبّر عن المدينة المنوّرة بالبيت فى الآية الكريمة حيث قال: «عزّ مَن قائل»:

۱- ۱ البلد: ۱ و ۲.

۲- ۲ الجامع لأحكام القرآن، القُرطبى، ۲۰: ۴۰.

۳- ۳ مجمع البيان، الطبرسى، ۱۰: ۴۹۲- التفسير الكبير، الفخر الرازى، ۳۱: ۱۷۹- التبيان، الشيخ الطوسى، ۱۰: ۳۵۰.

۴- ۴ التحريش هو النفاق.

۵- ۵ مجمع الزوائد، الهيثمى، ۳: ۲۹۹.

ص: ۲۳۵

«کما أخرجک ربّک من بیتک بالحقّ وإنَّ فریقاً من المؤمنین لکارهون» (۱).

هـذه الآیـة نزلت فی غزوة بـدر، حینمـا کره الناس أن یخرجوا من المدینـة لمحاربـة المشـرکین، فأمر اللَّه نبیّه بالخروج من المدینـة مع أنّهصعب وکُره للمؤمنین (۲).

وفی هذه الآیة کلمة «بیت» أُضیفت إلی ضـمیر الخطاب «ک»، فالآیةنسبت البیت- المدینة- إلیصاحبه رسول اللّهصلی الله علیه و آله فیصیر معناها: بیت رسول اللَّهصلی الله علیه و آله.

۱۷- التِّین:

هو فاکهـة معروفـة یؤکـل رطباً ویابساً (۳)، والـتین هو اسم للسورة الخامسـة والتسـعین من السور القرآنیـة، قـال اللَّه عزّ وجـلّ: «والـتین والزیتون وطور سینین وهذا البلد الأمین» (۴).

وقال أبو الحسن الأوّل فی تفسیر الآیات: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: «انّ اللَّه- تبارک وتعالی- اختار من کلّ شـیء أربعة إلی أن قال: واختار من البلدان أربعة فقال تعالی: «والتین والزیتون ...» فالتین: المدینة، والزیتون: بیت المقدس، وطور سـینین: الکوفة، وهذا البلد: مکّة» (۵).

۱۸، ۱۹، ۲۰، ۲۱- جُبَار، الجَابِرَة، الجَبَّارَة، المَجْبُورَة:

هـذه اللغات الأربع تطلَق علی المدینة، أمّا الأولی: فهی علی وزن جُذام کما نقلها ابن شبّة حیث ذکر روایةً نبویّة (۶) وسنذکرها قریباً. وأمّا اللغات الثلاث الأخیرة: فهی مرویّة عن التوراة حسب ما ذکرها السمهودیّ وابن شبة (۷).

وهـذه الأسـماء الأربعـة تشترک معنیً حیث إنّ المدینـة تجبر الکسـیر، وتغنی الفقیر، وتجبر البلاـد علی الإسـلام، أو لأن الإنسان حینما یطالع ویدرس برکاتها

۱- ۱ الانفال: ۵.

۲- ۲ مجمع البیان، ۴: ۵۲۰.

۳- ۳ جاء فی الحدیث: روی أبو ذر رحمه الله عن النبیصلی الله علیه و آله قال فی التین: «لو قلت: إنّ فاکهة نزلت من الجنّة، لقلت هذه هی؛ لأنَّ فاکهة الجنة بلا عجم فکلوها فإنّها تنفع من النقرس» نور الثقلین، ۵: ۶۰۷- مجمع البیان، الطبرسی، ۱۰: ۵۱۰.

۴- ۴ التین: ۱- ۳.

۵- ۵ وسائل الشیعة، ۱۰: ۲۸۳ ح ۴- الخصال، الشیخ الصدوق: ۲۱۲- نور الثقلین، ۵: ۶۰۶.

۶- ۶ تاریخ المدینة المنوّرة، ابن شبّة، ۱: ۱۶۲.

۷- ۷ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۱۳- تاریخ المدینة المنورة، ابن شبّة، ۱: ۱۶۳.

ص: ۲۳۶

يذعن قهراً.

۲۲، ۲۳- جَزيرَة، جَزِيرَةُ العَرَب:

قال بعض العلماء فی الحديث النبویّ: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» المقصود بها هی المدينة (۱) ويؤيد هذا القول ما ذكر فی حديث العباس:

إنَّ النبيَّصلی الله عليه و آله التفتَ إلی المدينة وقال: «إنَّ اللَّه- تعالی- قد برّأ هذه الجزيرة من الشرك» (۲).

۲۴- الجُنَّة:

وهی وسيلة الوقاية والمحافظة علی الشیء، وهذا الاسم مأخوذ عن قول الرسولصلی الله عليه و آله فی غزوة أُحد حيث قالصلی الله عليه و آله: «أنا فی جُنَّةٍ حصينة» وأرادصلی الله عليه و آله بها «المدينة» (۳). ورواه أحمد بن حنبل مع اختلاف يسير عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاری كما يلی، قال: إنّ رسول اللَّهصلی الله عليه و آله قال: «رأيتُ أنّی فی درعٍ حَصِينَةٍ، ورأيت بَقراً تُنْحَرُ، فأوَّلتُ أنّ الدّرع الحصينة: المدينة، وأنّ البقر، بقر، واللَّه خير» (۴).

قال الشاعر:

هی جُنَّتی ممّا أخافُ وجَنَّتی وبجاه من فيها تُخَلَّصُ مُهْجَتِی (۵) ۲۵، ۲۶، ۲۷، ۲۸- الحَبِيْبَة، المُحِبَّة، المُحَبَّبَة، المَحْبُوبَة: (۶) هذه الهيئات الأربع من مادّة واحدة هی: حَبَبَ. وقد جرت علی لسان الناس وأُطلقت علی المدينة وهی مأخوذة عن الرواية النبويّة وهی:

«اللهمّ حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكّة أو أشدّ» (۷)، وفی كتب الحديث روايات كثيرة تتضمّن حبَّ رسول اللَّهصلی الله عليه و آله، ودعاءه للمدينة ولأهلها.

۱- ۱ سنن أبی داوُد، كتاب الخراج والإمارة، باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب، ح ۳۰۲۹.

۲- ۲ مجمع الزوائد، الهيثمی، ۳: ۲۹۹.

۳- ۳ وفاء الوفا، السمهودی: ۱۳.

۴- ۴ مسند أحمد بن حنبل، ۳: ۳۵۱.

۵- ۵ فضائل المدينة المنوّرة، الصالحی الشامی: ۱۳۹.

۶- ۶ عمدة الأخبار فی مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسی: ۶۵.

۷- ۷ وسائل الشيعة، ۱۰: ۲۳۷ ح ۵-صحيح مسلم، ۲: ح ۱۳۷۶-صحيح البخاری، ۳: ۶۱ ح ۱۴۸.

ص: ۲۳۷

قال الشاعر:

دارُ الحَبيب لَنا فَلُذْ بِرَحِيبِها فَالنَّفْسُ مُولِعَةٌ بِدارِ حَبِيبِها

اللَّهُ شَرَّفَها بِهِ لِنَصِيبِها واخْتَصَّها بِالطَّيِّبِينَ لِطِيبِها واخْتارَها وَدَعا إلى سُكْناها (۱) ۲۹، ۳۰- الحَرَم، المُحَرَّمَة:

وهما يطلقان على مكان مخصوص ينبغى بل يجب احترامه، وتقديسه وصيانته، ويحرم انتهاكه وهدمه، والمدينة هى من أبرز مصاديق الحرم. فقد روى امير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى فيها محدثاً، فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين ...» (۲).

وروى جميل بن درّاج عن الصادق عليه السلام نفس الرواية المتقدمة مع زيادة:

سُئِل الصادق عليه السلام: ما الحدث؟ قال عليه السلام: القتل (۳).

وبهذه القرينة نستطيع أن نقول: الُمحدِث هو القاتل، وأيضاً ورد فى حديث آخر: المدينة حرم كما حكى سهل بن حنيف وقال: أهوى رسولُ اللَّهصلى الله عليه و آله بيده إلى المدينة فقال: «إنّها حرمٌ آمنٌ» (۴).

ويطلق على المدينة المحرّمة كما ذكرناه آنفاً.

۳۱- حَرَمُ رسُولِ اللَّه:

إنّه اسم آخر للمدينة لأنّ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله نسب «الحرم» إلى نفسه فقالصلى الله عليه و آله: «إنّ مكّة حرم اللَّه، حرّمها إبراهيم عليه السلام وإنّ المدينة حرمى ما بين لابَتَيْها حَرَم» (۵).

ومضافاً إلى هذه الرواية النبويّة فقد وصفها أمير المؤمنين عليه السلام قائلًا: «مكّة

۱- ۱ فضائل المدينة المنورة، الصالحى الشامى: ۱۴۰.

۲- ۲صحيح مسلم، ۲: باب فضل المدينة، ح ۱۳۷۱- وسائل الشيعة، ۱۰: باب وجوب احترام مكة والمدينة ...، ح ۱۹۳۹۰- الفروع من الكافى، ۴: ۵۶۵، ح ۶.

۳- ۳ نفس المصادر الماضية.

۴- ۴صحيح مسلم، ۲: باب فضل المدينة، ح ۱۳۷۵.

۵- ۵ الفروع من الكافى، ۴: ۵۶۴، باب تحريم المدينة، ح ۵.

ص: ۲۳۸

حَرَمُ اللَّه، والمدينةُ حَرَمُ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله والكوفة حرمى، لا يريدها جَبّارٌ بحادثة إلّا قصمه اللَّه» (۱).

۳۲- حَسَنَة:

وهى اسم للمدينة لقوله- تعالى: «والذين هاجروا فى اللَّه من بعد ما ظُلِموا لَنُبوِّئَنَّهم فى الدنيا حسنة ...» (۲)

. روى الطبرسى عن ابن عباس رحمه الله أى بَلْدَةً حسنةً بدل أوطانهم وهى المدينة (۳).

وأيضاً روى الفخر الرازى (۴) عن الحسن والشعبى وقتادة ما ذكره الطبرى، ونقل القُرطبى عن الجميع نفس ما قدّمناه (۵).

۳۳، ۳۴- الخَيِّرَة، الخِيَرَة:

المدينة ذات خيرات كثيرة وهى مقبولة لدى الناس عامةً، ونبّه النبيّصلى الله عليه و آله الناس عليها حينما قالصلى الله عليه و آله: «المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون» (۶). ومن ثمَّ سمّيت المدينة بهما- الخَيِّرَة، الخِيَرَة-.

۳۵- دَارُ الأَبْرَار:

بعدما هاجر النبيّصلى الله عليه و آله من مكّة إلى المدينة واستقرّ فيها، اجتمع المهاجرون والأنصار وازدادوا يوماً بعد يوم خصوصاً فى السنة السابعة من الهجرة- حينما فتحت قلاع خيبر- فخرجت المدينة من جاهليّتها السابقة وأصبحت دار الأبرار (۷).

۳۶، ۳۷- دَارُ المُخْتَار، المُخْتَارَة:

المدينة هى الموطن الثانى لرسول اللَّهصلى الله عليه و آله حيث اختارها وأقامصلى الله عليه و آله فيها

۱- ۱ الفروع من الكافى، ۴: ۵۶۳، باب تحريم المدينة، ح ۱.

۲- ۲ النّحل: ۴۱.

۳- ۳ مجمع البيان، ۶: ۳۶۱.

۴- ۴ التفسير الكبير، ۲۰: ۳۴.

۵- ۵ الجامع لأحكام القرآن، ۱۰: ۷۱.

۶- ۶صحيح مسلم، ۲: ۱۰۰۸، ح ۱۳۸۸.

۷- ۷ الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ۲: السنة السابعة.

ص: ۲۳۹

العقد الأخير من عمره الشريف، وانتقل منها إلى الرفيق الأعلى. فالمدينة مختارة لمن اختاره اللَّه من خلقه في حياته ومماته (۱).

۳۸- دار الإيمان:

وضحنا في الرقم السادس علة إطلاق لفظة «الإيمان» على المدينة ولكن هذا الاسم ورد في الأحاديث مع الهيئة التركيبيّة مثل قول رسول اللَّهصلى الله عليه و آله:

«المدينة قبّة الإسلام، ودار الإيمان ...» (۲).

۳۹- دَارُ السُّنَّة:

هي المكان الذي تجلّت فيه الشريعة الإسلاميّة، والسّنة المحمّدية الغرّاء وكملتا، وعمل بها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله والمسلمون الأوائل (۳).

۴۰- دارُ السَّلامَة:

المدينة هي مأمن الرسول الكريمصلى الله عليه و آله حيث أنعم اللَّه بالسّلامة والسّكينة عليه خصوصاً، وعلى المؤمنين عموماً، وهذا معنى قول رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: «أنا في جُنَّةٍ حصينة» (۴) أو «رأيت أنّي في درع حصينة ...».

۴۱- ذَاتُ الحُجَر:

حُجَر وحُجَرَات جمع للحُجْرَة من البيوت، وهي كالغرفة تُجمع على غُرَف وغُرَفات والمدينة تشتمل عليها (۵).

۴۲- ذَاتُ الحَرَار:

۱- ۱ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۲۲.

۲- ۲ مجمع الزوائد، الهیثمی، ۳: ۲۹۸، المصدر نفسه فی الرقم ۳.

۳- ۳ عمدة الأخبار، أحمد بن عبد الحمید العباسی: ۶۹.

۴- ۴ مسند أحمد بن حنبل، ۳: ۳۵۱، ذکرت الحدیث فی الرقم ۲۶.

۵- ۵ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۱۵.

ص: ۲۴۰

الحِرار جمع حَرَّة وهی حجارةٌ سُودٌ. والمدینة تحتوی علی کثیر منها (۱).

۴۳- ذَاتُ النَّخْل:

لاشتمال المدینة علی نخیل کثیرة کما نشاهدها، ومن ثمّ جری هذا الاسم علی لسان «ابن التوأم الحمیری» و «عمران بن عامر» بدلًا عن المدینة. وأیضاً عبّر عن المدینة بذات النخل فی الروایة النبویّة «أریت دار هجرتی ذات نخل وحَرَّة» (۲).

۴۴- السَّلِقَة:

نقله أبو عبد اللَّه محمّد بن أمین المشتهر ب «الأقشهری» عن التوراة، وسُمیّت المدینةُ بها لاتساعها وتباعد جبالها (۳).

۴۵- سَیِّدَةُ البُلْدَان:

المدینة هی أفضل بقاع الأرض بعد مکّة المکرّمة؛ لأنّها مدفن سید المرسلین وخاتم النبیین محمدصلی الله علیه و آله.

وکتب أبو نعیم الأصبهانی فی کتاب «حلیة الأولیاء» أنّ عبد اللَّه بن عمر لمّا أراد أن یدخل المدینة، وقف أمامها فنادی: «یا طیبة یا سیدة البلدان» (۴).

۴۶- الشَّافِیَة:

سمّیت بهذا الإسم لقول رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: «تُرابُها شِفاء من کلّ داء» (۵)، وذکر ابن مُسْدِی (۶): یستشفی المحموم حینما تُعَلَّقُ أسماءُ المدینة علی عاتقه.

وروی ابن الأثیر عن سعد ... لمّا رجع رسول اللَّهصلی الله علیه و آله من غزوة تبوک، واجهصلی الله علیه و آله رجالًا من المتخلّفین المسلمین، فأثاروا غباراً، فخمَّر بعض من کان

۱- ۱ المصدر نفسه.

۲- ۲ الإصابة فی تمییز الصحابة، ۱: ۴۶۴.

۳- ۳ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۱۶.

۴- ۴ المصدر نفسه.

۵- ۵ الوفاء، ابن جوزی، ۱: ۳۹۹.

۶- ۶ هو الحافظ أبو بکر محمّد بن یوسف الأزدی الغرناطی الأندلسی المهلبی، قال ابن ناصر الدین: کان ذا رحلة واسعة ودرایة وهو عالم وحافظ للقرآن، جاور بمکّة أواخر عمره، وشاع أنّه علی مذهب أهل البیت علیهم السلام فقُتل غیلةً سنة ۶۶۳ ه. شذرات الذهب، ۵: ۳۱۳.

ص: ۲۴۱

مع النبیّصلی الله علیه و آله أنفه، فأزال رسول اللّهصلی الله علیه و آله اللثام عن وجهه وقال: «والذی نفسی بیده إنَّ فی غبارها شفاءً من كلّ داء» (۱).

۴۷، ۴۸، ۴۹، ۵۰، ۵۱- طابَة، طَيْبَة، طَيِّبَة، طَائب، مُطَيِّبَة:

الأسماء الخمسة من مادّة واحدة وتختلفصيغها ومصادرها؛ لأنّ ابن شَبَّة حينما ذكر- الأولی والثانية- اعتمد علی الحديث النبوی (۲).

وأمّا الثلاثة الأخيرة فهی مرويّة عن التوراة، كما نقلها وهب بن مُنَبِّة (۳).

قال السمهودی: هذه الأسماء الخمسة مبتنية وموافقة لقول اللَّه- عزّوجلّ- وهو: «حتّی إذا كنتم فی الفلك وجرين بهم بريح طيِّبَة» (۴) فكانت الريح الطيّبة جزاءً لمناجاتهم بعد خوفهم فی الفلك وهذه الريح الطيّبة هی فرحة تامّة ومسرّة قويَّة (۵)، فتسمية المدينة بهذه الأسماء الخمسة؛ لطيب تربتها- لمن دخل فيها، وطهارتها من الكفر والأرجاس (۶).

۵۲، ۵۳- طِبَابَا، ظِبَابَا:

قال ياقوت الحموی: طِبَابَا من أسماء المدينة حيث يطلق علی الأرض المستطيلة، وأيضاً علی الطريق والثوب وغيره، فإنّ المدينة سمّيت بذلك لأنّها كذلك (۷).

فإن كانت بالظاء المعجمة: فمن ظَبَّ وظبظب: إذا حمَّ حيث كانت المدينة محمومة إذا دخلها أحد ابتلی بالحمّی فنقل اللَّه- سبحانه- حمّاها إلی مُهَيْعَة بدعائهصلی الله علیه و آله (۸).

۵۴- العاصِمة:

۱- ۱ جامع الأصول، ابن الأثير، ۹: ۳۳۴.

۲- ۲ قال رسول اللّهصلی الله علیه و آله: للمدينة عشرة أسماء هی: المدينة، طيْبَة، طابة، ...» وسيأتی الحديث مفصلًا.

۳- ۳ فضائل المدينة المنوّرة، الصالحی الشامی: ۵۲.

۴- ۴ يونس: ۲۲.

۵- ۵ تفسير أبی السعود، محمّد بن محمّد العمادی، ۷: يونس، الآية ۲۲.

۶- ۶ معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادی، ۵: ۲۴۳.

۷- ۷ لسان العرب، ۱: ۵۵۵- عمدة الأخبار: ۷۳- معجم البلدان، ياقوت الحموی، ۵: ۸۳؛ طول المدينة ۱۲ ۶۰ درجة، وعرضها ۲۰ درجة.

۸- ۸ وسائل الشيعة، ۱۰: ۲۷۳ ح ۵.

ص: ۲۴۲

سمّیت بذلک لأنّ المدینة عصمت المهاجرین من کید المشرکین. وهی حصن الإسلام والمسلمین. وکان المسلمون یعتصمون بها، وقیل: معنی العاصمة المعصومة، لعصمتها قدیماً بجیوش موسی وداود علیهما السلام حیث إنّهم مبعوثون إلی مَن کان فیها من الجبابرة (۱)، أو لعدم دخول الطاعون والدّجال فیها، قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: «من أراد أهل المدینة بسوء أذابه اللَّه» (۲).

۵۵- العَذرَاء:

والدلیل علی تسمیتها بالعذراء لصعوبتها وامتناعها علی الأعداء حتّی تسلّمها رسول اللَّهصلی الله علیه و آله وهو المالک، وهی منقولة عن التوراة علی ما رواه إبراهیم بن أبی یحیی: إنّ هذا الاسم مع أسماء أخر مذکورة فی الکتب السماویة (۳).

۵۶- العَرَاء:

سمّیت بهذا الاسم لعدم ارتفاع أبنیة المدینة فی السماء، حیث إنّ المسلمین حاولوا أن لا ترتفع أبنیتهم علی بیت رسول اللَّهصلی الله علیه و آله ومسجده، ومن ثمّ تُشبه المدینة بالناقة العراء الّتی لا سنام لها أو لصغر سنامها (۴).

وقال الأزهری: العُری سادات الناس الذین یعتصم بهم الضعفاء، ویعیشون بعرفهم، ومن حیث إنّ المدینةصارت محتماً للمستضعفین بعد مهاجرة النبیّصلی الله علیه و آله لکی یصبحوا سعداء، فسمیّت بالعُری (۵).

۵۷- العَرُوض:

وهو کصَبور یطلق علی أرض منخفضة، تکون فیها أودیة السیول والمدینة کذلک؛ ولذا تُسمّی بالعَروض لأنّها من بلاد نجد، ونجد کلّها علی خطّ

۱- ۱ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۱۷.

۲- ۲صحیح البخاری، ۳: ۵۷؛ باب: لا یدخل الدجال المدینة-صحیح مسلم، ۲: ۱۰۰۸.

۳- ۳ عمدة الأخبار فی مدینة المختار، أحمد بن عبد الحمید العباسی: ۷۳.

۴- ۴ فضائل المدینة المنوّرة، الصالحی الشامی: ۵۳.

۵- ۵ لسان العرب، ۱۵: ۴۶.

ص: ۲۴۳

مستقيم طولًا، والمدينة معترضة عنها ناحية، وقال ابن سيدة: والعَرُوض مكّة والمدينة (۱).

۵۸- الغَرَّاء:

هی تأنیث الأغرّ أی الغُرَّة وهی البیاض فی الجبین، أو بمعنی الرجل الکریم والوسیم، أو یوم شدید الحَرّ، والغَرّاء: هی نبت طَیِّبُ الریح، والسیدة الکبیرة (۲).

والمدينةُ سادتِ البلادَ؛ لأنّ فيها الكرامة والفضيلة والبركة و .. وهيصفات مرموقة تسبّب تفوُّقها على سائر البلاد.

۵۹- غَلَبَةُ:

كانت المدينة تدعى فی الجاهليّة «غَلَبَةْ» لأنّ إليهود نزلت على العمالقة فغلبتهم عليها، ثمّ نزلت الأوس والخزرج على إليهود فغلبوهم عليها. وبعد ظهور الإسلام نزل المهاجرون على الأوس والخزرج فغلبوهم عليها (۳).

وقيل: سمّيت المدينة بالغلبة لظهورها واستيلائها على الأقطار من المدائن والأمصار (۴).

۶۰- الفاضِحَةُ:

نقل عن كُراع: لا يمكن لأحد أن يعيش فی المدينة، ويكتم عقائده الفاسدة، بل يفتضح ويُبان ما فی ضميره. وهذا هو أحد المعانی للحديث النبوی الشريف حيث قالصلی الله علیه و آله: «إنّما المدينة كالكير تنفی خبثها وينصع طيبها» (۵).

۶۱- القَاصِمَةُ:

۱- ۱ لسان العرب، ۷: ۱۷۳- عمدة الأخبار فی مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسی: ۷۵.

۲- ۲ المنجد، ۱: مادة: غرر وغيره من اللغات- عمدة الأخبار: ۷۵.

۳- ۳ عمدة الأخبار: ۷۵.

۴- ۴ عمدة الأخبار: ۷۵، منقول عن الزبير بن بكار.

۵- ۵ كتاب الجامع، الموطأ، ۲: ۸۸۲-صحيح مسلم، ۲: كتاب الحج، ح ۱۳۸۳.

ص: ۲۴۴

هی منقولهٔ عن التوراهٔ، حیث إنّ المدینهٔ قصمت کلّ جبّار عناها، ومتمرّد دخل علیها، وهذا المضمون مذکور فی الحدیث النبوی: «من أراد أهل المدینهٔ بسوء، أذابه اللّه کما یذوب الملح فی الماء» (۱).

۶۲- قُبَّهُ الإسلام:

هذا الاسم مأخوذ عن الروایهٔ التی نقلها الهیثمی وهی: «المدینهٔ قبّهٔ الإسلام، ودار الإیمان ...» ذکرناها فی الرقم (۲) (۳).

۶۳، ۶۴- القِریَهٔ، قَرْیَهٔ الأَنصَار:

قَرْیَهٔ- بفتح القاف وکسرها- تطلق علی مدینهٔ تتناول حوائج سکّانها، وأهل اللغهٔ یعبّرون عنها ب «المصر الجامع» (۴).

والقریهٔ تطلق علی المدن الصغیرهٔ والکبیرهٔ کما قال اللَّه- عزّ وجلّ:

«وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن علی رجل من القریتین عظیم» (۵).

قال الطبرسی رحمه الله: یعنون بالقریتین: مدینتی مکّهٔ والطائف (۶). وإنّ القریهٔ استخدمت فی القرآن الکریم ثلاث وثلاثین مرّهٔ، وعنیت فیها المدن والأمصار.

غیر أن هذا الاسم جری علی لسان رسول اللّهصلی الله علیه و آله وقال: «إنّ اللَّه قد طَهَّرَ هذه القریهٔ من الشرک»، وأشارصلی الله علیه و آله بیده إلی المدینهٔ (۷).

وقال أهل اللغهٔ أیضاً: المدینهٔ هی قریهٔ الأنصار.

۶۵- قَلْبُ الإیمان:

لما أورده ابن الجوزی فی الحدیث النبویّ: «المدینهٔ قبّهٔ الإسلام، قلب الإیمان و ...» (۸) وهذه هی الروایهٔ الّتی نقلها الهیثمی، إلّاأنّه زاد فیها: «قَلْبُ

۱- ۱صحیح مسلم، ۲: ۱۰۰۸، ح ۱۳۸۷.

۲- ۳ المنجد، أقرب الموارد، وغیرهما من کتب اللغهٔ، مادّهٔ: قری.

۳- ۲ مجمع الزوائد، الهیثمی، ۳: ۲۹۸.

۴- ۳ المنجد، أقرب الموارد، وغیرهما من کتب اللغهٔ، مادّهٔ: قری.

۵- ۴ الزخرف: ۳۱.

۶- ۵ مجمع البیان، الطبرسی، ۹: ۴۶.

۷- ۶ مجمع الزوائد، الهیثمی، ۳: ۲۹۹.

۸- ۷ الوفاء، ابن جوزی، ۱: ۳۹۹.

ص: ۲۴۵

الإيمان».

۶۶- المُؤْمِنَة:

لما نقله ابن زبالـة عن رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله حيث قالصـلى الله عليه و آله: «والـذى نفسـى بيده، إنّ تربتها لمؤمنة»، ثمّ قال ابن زبالة: «هذا الاسم «المؤمنة» مكتوب فى التوراة (۱).

۶۷- المُبَارَكَة:

لـدعاء رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله حينما نزل المدينة، قال أنس: وقف النبيصـلى الله عليه و آله أمام بيت أبى أيوب الأنصارى، وقرأ هذه الآية الكريمة (۲): «ربّ أنزلنى منزلًا مباركاً وأنت خير المنزلين» (۳)

. ومن ثمّ سميت المدينة ب «المبارك» أو «المباركة».

۶۸- مَبْوَأ ومبيّن الحلال والحرام:

المدينة هى محلّ تمكّن هذين الحكمين واستقرارهما، ومحلّ بيانهما، حيث قال النبيصلى الله عليه و آله:

«المدينـة قُبَّةُ الإسـلام .. ومبوأ الحلال والحرام» وأيضاً ورد: «مبيّن الحلال والحرام» نقلهما الطبرانى وابن الجوزى كما قـدّمناه فى الرقم «۳».

۶۹- المَجْبُورَة:

هى منقولة عن التوراة وستأتى مفصلًا (۴).

۷۰- المَحْبُورَة:

وهى من الحَبْر بمعنى الجمال وفى الحديث: «يخرج رجل من النار ذهب حَبْرَه» أى جماله وسـحناؤة. والتحبير: التحسـين الّذى يسـرُّ به، وقال اللَّه العظيم

۱- ۱ وفاء الوفا: السمهودى، ۱: ۲۰.

۲- ۲ سنن أبى داود، ۱: ۱۲۳.

۳- ۳ المؤمنون: ۲۹.

۴- ۴ سيأتى ذكرها فى الرقم «۸۰».

ص: ۲۴۶

«... فهم فی روضة يُحبرون» (۱)

جاء فی مجمع البيان اختصاص هذه الحالة بالمؤمنين فی روضة وهی الجنّة، أحسن شیء، لا يوجد مثلها عند العرب (۲).

والمِحْبار من الأرض السريعة النبات الكثيرة الخيرات. والمدينة محبورة لأنّ فيها نعم اللَّه مع السرور والخيرات الكثيرة. وقد لقّب رسولنا الكريم ب (المحبور) كما جاء فی دعاء النّور المروی عن سلمان الفارسی رحمه الله عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: علّمنی رسول اللَّهصلی الله عليه و آله هذا الدعاء: «بسم اللَّه النور بسم اللَّه الذی يقول للشیء كن فيكون ... بسم اللَّه الذی أنزل النور على الطور بقدر مقدور فی كتاب مسطور على نَبیّ مَحْبُور» (۳).

۷۱- المَحْرُوسَة:

لأنّ المدينة تُحرَسُ بالملائكة. روى الجندی عن النبیصلی الله عليه و آله قال: «المدينة مشتبكة بالملائكة على كلّ نقب منها ملك يحرسها» (۴).

فی هذا الحديث حراسة الملائكة تتعلّق بالنقب؛ لأنّ النقب طريق فی الجبل، والعدو يتسلّل منه، وحينما كانت الطرق الجبليّة محفوظة فالمدينة محروسة.

۷۲- المَحْفُوفَة:

وأيضاً تُسمى محفوفة: لأنّ النبیصلی الله عليه و آله قال: «المدينة ومكّة محفوفتان بالملائكة على كلّ نَقْب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون» (۵).

قال الشاعر:

مَحْرُوسَةٌ مِنْ كُلِّ رجسٍ طارقٍ ودخول دجّالٍ وطعنٍ لاحقِ

فالمرأ فيها ذُو فؤادٍ واثِقٍ هذی محاسنها فهل من عاشقٍ كَلِفٍ شَحِيحٍ باخِلٍ بِنَواها (۶)

۱- ۱ الروم: ۱۵.

۲- ۲ مجمع البيان، الطبرسی، ۷: ۲۹۸.

۳- ۳ دلائل الإمامة، أبو جعفر الطبری الإمامی: ۲۸، ۲۹.

۴- ۴ مجمع الزوائد، ۳: ۳۰۹- فضائل المدينة، الجندی، ح ۱۳.

۵- ۵ مسند أحمد بن حنبل، ۲: ۴۸۳.

۶- ۶ فضائل المدينة المنوّرة، الصالحی الشامی: ۱۴۲.

ص: ۲۴۷

۷۳- المَحْفُوظَة:

المدينـة محفوظـة بإرادة الملك الـدَيّان كما قال رسول اللّهصـلى الله عليه و آله: «القُرى المحفوظـة أربع: المدينة ومكّة، إيليا ونجران» (۱).

۷۴- مُدْخَلصِدقٍ:

«... ربِّ أدخلنى مُدْخَلصدق وأخرجنى مُخرجصدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً» (۲)

. ذكر الطبرسى فى تفسير هذه الآية الكريمة أربعة أقوال.

ثانيها: أنّ معناه أدخلنى المدينة وأخرجنى منها إلى مكّة للفتح. ونسبه إلى ابن عباس والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير (۳).

۷۵، ۷۶- المَدينَة، مَدينَة رسولِ اللَّهصلى الله عليه و آله:

المدينـة عَلَمٌ لعدّة مدن، منها: المدينة وهى «يثرب» (۴) وهذه الكلمة «المدينة» مذكورة فى أربعة عشـر موضـعاً من القرآن الكريم ولم يقصد بها مدينة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله الّا فى المواضع الأربعة التالية:

۱- سورة التوبة، ۱۰۱: «وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومِن أهلِ المدينةِ مَرَدوا على النفاقِ لا تعلمُهم نحن نعلمهم ...».

قال الكلبى: نزلت فى جهينة ومزيئة وأشـجع وغفّار من أهل المدينة يعنى عبد اللَّه بن أُبىّ، وجد ابن قيس، ومعتب بن بشـير، والجلاس بن سويد وأبى عامر الراهب (۵).

۲- التوبة، ۱۲۰: «وما كانَ لأهلِ المدينةِ ومَن حولهم من الأعرابِ أن يتخلّفوا عن رسولِ اللَّهِ ولا يرغبوا بأنفسِهِم عن نفسه ...».

۱- ۱ عمدة الاخبار، احمد بن عبد الحميد العباسى: ۷۸.

۲- ۲ الإسراء: ۸۰.

۳- ۳ مجمع البيان، الطبرسى، ۶: ۴۳۵.

۴- ۴ المنجد، ۲: الأعلام.

۵- ۵ أسباب النزول، ابى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى.

ص: ۲۴۸

یعنون ب «المدینة» وأهلها نفس ما مضی فی الآیة الکریمة المتقدمة.

۳- الأحزاب، ۶۰: «لئن لم ینتهِ المنافقون والذین فی قلوبِهم مرضٌ والمُرجفون فی المدینةِ لَنُغرینَّک بهم ...».

۴- المنافقون، ۸: «یقولون لئن رجعنا إلی المدینة لَیُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ وللَّهِ العزّةُ ولرسوله وللمؤمنین ولکنّ المنافقین لا یعلمون».

والمدینة فی هاتین الآیتین هی مدینة رسول اللَّهصلی الله علیه و آله (۱) کما تدلّ علیها القرائن الموجودة فیهما، وهذا هو أمر بیّن بحیث لم یتعرّض أحد خلافه. انتهی.

المدینة هی منقولة عن التوراة (۲)، وجری هذا الاسم علی لسان رسول اللَّهصلی الله علیه و آله حیث قالصلی الله علیه و آله: «اللهمّ حبّب إلینا المدینة کما حبّبت إلینا مکّة ...» (۳).

وقال الصادق علیه السلام: لمّا دخل النبیصلی الله علیه و آله المدینة خطّ دورها برجله ثمّ قال:

«اللهمّ من باع رباعه فلا تبارک له» (۴).

وأنّ النبیصلی الله علیه و آله نسب المدینة إلی نفسه عندما قال: «مَن أحدث فی مدینتی هذه حدثاً أو آوی محدثاً فعلیه لعنة اللَّه ...» (۵).

مضافاً إلی ما تقدم: ربما کان اسم المدینة أقدم زماناً ممّا ذکرنا حیث إنّ أهلها استقبلوا النبی الأعظم فی وصوله منشدین:

طلع البدر علینا من ثنیّات الوداع وجب الشکر علینا ما دعا للَّهداع

جئت شرّفت المدینة مرحباً یا خیر داعٍ فیشهد هذا أنّ المدینة کانت مشهورة لدی العرب. وربما کان النبیصلی الله علیه و آله قد سمّاها قبل هجرته (۶).

۷۷- المَرحُومَة:

هی منقولة عن التوراة، لأنّها دار المبعوث رحمةً (۷).

۱- ۱ مجمع البیان، ۸: ۳۷۱- ۱۰: ۲۹۵.

۲- ۲ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۲۳.

۳- ۳ بحار الأنوار، ۱۸: ۹ ح ۱۵ باب ۶.

۴- ۴ بحار الأنوار، ۱۹: ۱۱۹ ح ۴ باب ۷.

۵- ۵ مجمع الزوائد، الهیثمی، ۳: ۳۰۷.

۶- ۶ معجم معالم الحجاز، عاتق بن غیث البلادی، ۸: ۷۰.

۷- ۷ فضائل المدینة، الصالحی الشامی: ۵۸.

ص: ۲۴۹

۷۸- المَرزُوقَة:

سمّيت بذلك حيث إنّ اللَّه- عزّ وجلّ- كثّر حظّ المدينة ورزقهم بما شاء من النعمة، فهى مرزوقة كما ذكرها عمدة الأخبار (۱).

۷۹- المِسْكِينَة:

هذا الاسم منقول عن التوراة كما روى ذلك إبراهيم بن أبى يحيى فقال:

للمدينة فى التوراة أحد عشر اسماً: المدينة، المحبّة، المحبوبة، طيبة، طابة، المسكينة، جابرة، المجبورة، المرحومة، العذراء والقاصمة (۲). ووضحّنا أكثر هذه الأسماء حسب التسلسل المعجمى.

وسمّيت المدينة مِسْكِينَة لأنّها مسكن المساكين وملجأ الخاشعين والخاضعين للّهوالمتوسّلين برسول اللّهصلى الله عليه و آله وآله الكرام.

وأنشد هذه الخماسيّة الشيخ أبو عبد اللَّه محمّد التونسى:

يا ربِّ بالمختار يَسِّرْ أَمْرَنا واغْفِرْ خطايانا وأَذْهِبْ ضُرَّنا

واجْزِل عَطايانا وأَجْمِل سَتْرنا واجْعَل بطيبة فى حماه مَقَّرَنا وأَجِبْ سؤالَ نفوسنا ودُعاها

يا ربّصَلِّ على النبىّ مُحمَّدٍ والآل والصحب الكرام المُحْتَدِ

القائمين الراكعين السُجَّدِ أنصار دينك باللسان وباليَدِ والمال حُبّاً للرسول وَجاها (۳) ۸۰- المسلمة:

ذكرهاصاحب المعجم البلاذرى، سميّت بها لأنّ أهل المدينة انقادوا للَّه

۱- ۱ عمدة الأخبار، أحمد بن عبد الحميد العباسى: ۷۹، ۷۴.

۲- ۲ عمدة الأخبار، أحمد بن عبد الحميد العباسى: ۷۴- ۷۹.

۳- ۳ وفاءالوفا، السمهودى ۴: ۱۴۱۹ ذكرت الأبيات غير خماسيّة ولكن خمّسها أبو عبد اللَّه محمد التونسى.

ص: ۲۵۰

بالطاعة وبادروا إلى نصرة نبيّه المصطفیصلی الله علیه و آله وإنّها فتحت بالقرآن (۱).

۸۱- مَضْجَعُ رسُول اللَّهصلی الله علیه و آله:

لأنّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله قال: «المدینة مُهاجری ومَضْجَعی فی الأرض» (۲) والمدینة مضجعه ومرقده حیّاً ومیتاً.

۸۲- المُقَدَّسَة:

لتنزّهها عن الشرک، وطهارتها من أرجاس الذنوب والآثام، والمدینة تنفی الذنوب حینما یدخلها المسلم ویزور النبی الکریم (۳)صلی الله علیه و آله. وقال الأستاذ الدکتور الشریف رحمه الله:

فطوبی لِمَنْ زارَ خَیر الوری وحَطَّ عن النّفس أوزارها

فانَّ السعادة مضمونة لمن حلّ طَیْبَةَ أو زارها ۸۳- المَقَرّ:

فهذا کالمَمرِّ من القرار، ذکر فی دعاء رسول اللَّهصلی الله علیه و آله کما قال أنس: کان النبیصلی الله علیه و آله إذا قدم من سفر إلی المدینة دعاصلی الله علیه و آله له وللآخرین فقال: «اللهمّ اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً» (۴).

۸۴- المَکِینَة:

لتمکّنها فی المکانة والقدر والمنزلة عند اللَّه- عزّ وجلّ- کما ذکره السمهودی (۵).

۸۵- المُوَفِّیَة:

۱- ۱ فضائل المدینة المنوّرة، الصالحی الشامی،: ۵۸- وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۲۴.

۲- ۲ مجمع الزوائد، ۳: ۳۱۰- الحجج المبیّنة للسیوطی: ۲۵.

۳- ۳ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۲۴.

۴- ۴ المصدر نفسه.

۵- ۵ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۵۳.

ص: ۲۵۱

بتشديد الفاء وتخفيفها؛ لأنّ التوفية والإيفاء بمعنى واحد، وقد سـمّيت المدينة مُوفية؛ لأنها أوفت حقوق القادمين طعاماً وشـراباً. وترابها شفاء الأسقام والأمراض؛ وآبارها أطيب أنهار الدنيا، وأهل المدينة الموفون بالعهد (۱).

۸۶- النَحْر:

بفتح النون وسكون الحاء- علم لأرض المدينة وهكذا علم لأرض مكّة.

والنحر هو اللّون وجمعه نحار أی من كلّ لون. والنحر أيضاً: السوق الشديد.

وقيل لشدّة حَرِّهما (۲).

۸۷- الهَذْراء:

ذكره ابن نجّار نقلًا عن التوراة- والتسمية به لشدة حَرِّها- يقال: يوم هاذر: شديد الحرّ أو لكثرة مياهها وأنهارها المُصَوِّتة عند جريانها.

ويحتمل أن تكون الدال مهملة من هدر الحمام ويقال: أرض هادرة أی كثيرة النبات (۳).

۸۸- يَثْرِب:

وهی لغـة فی «أثرب» كما قدّمنا وهی اسم للمدينة قبل الإسـلام؛ لأنّ أوّل من سـكنها بعد التّفرّق هو: يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام (۴).

وهذا الاسم مأخوذ من الثَّرْب وهو الفساد أو من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب، أو يؤول الاسم إلى من بناها وهو غير موحّد (۵). ومن ذلك لا يحبُّهُ رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله وغيّره فقالصلى الله عليه و آله: «لا تدعوها يثرب فإنّها طَيْبَة»- يعنی المدينة- (۶) وقال أبو عبيدة: إنَّ مدينة الرسول فی ناحية من يثرب (۷).

۱- ۱ عمدة الأخبار فی مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسی: ۸۲.

۲- ۲ عمدة الأخبار فی مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسی: ۸۱.

۳- ۳ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۲۶- فضائل المدينة المنورة، الصالحی الشامی: ۶۰.

۴- ۴ مجمع البحرين، الطريحی، ۲: مادّة: ثرب- معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادی، ۱۰: ۱۳.

۵- ۵ تاريخ المدينة المنورة، ابن شبّة، ۱: ۱۶۲.

۶- ۶ الدرّ المنثور، ۵: ۱۸۸- تفسير أبی السعود، محمد بن محمد العمادی، ۷: ۹۴.

۷- ۷ التبيان، الشيخ الطوسی، ۸: ۳۲۳.

ص: ۲۵۲

۸۹، ۹۰- یَنْدَد، یَنْدَر (تَنْدَد، تَنْدَر):

لما رواه زید بن أسلم عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله: «للمدینهٔ عشرهٔ أسماء هی:

المَدِینَهٔ، وطَیْبَهٔ، وطَابَهٔ، ومِسْکِینَهٔ، وجبار، ومجبُورهٔ، ویندد، ویثرب» (۱).

قال الفیروز آبادی: یَنْدَدُ من نَدَدَ، وهی المدینهٔ وأیضاً یقول فی مادّهٔ نَدَرَ:

یَنْدَرْ کحَیْدَر وهی من أسماء المدینهٔ المنوّرهٔ (۲). ونقل فی بعض الکتب أنّهما:

تَنْدَدْ وتَنْدَرْ (۳).

وفی نهایهٔ هذه الأسماء نذکر ما ذکره السیّد المرتضی علم الهدی رحمه الله: «أنَّ من أسماء المدینهٔ: یثرب، طَیْبَهٔ، طَابَهٔ، الدَّار، المِسْکِینَهٔ، جَایِزَهٔ، اَلمحْبُورَهٔ، اَلمحَبَّهٔ، اَلمحْبُوبَهٔ، العَذْرَاء، المَرْحُومَهٔ، القَاصِمَهٔ، یَنْدَد» (۴).

فکلامه یحتوی علی اسم آخر غیر ما قدمناه وهو «جَایِزَهٔ».

هذه هی أسماء المدینهٔ المنوّرهٔ الّتی جمعتُها ورتّبتُها وتعرّضتُ لذکر بعض الدقائق واللطائف- الموجودهٔ فی الروایات من الشیعهٔ والسّنهٔ- فی وجه تسمیتها بها ولا ادّعی الاستقصاء الکامل؛ لأنّ عظمهٔ المدینهٔ ومَن فیها أکبر من أن یؤدّی حقّها مثلی.

الهوامش:

الروضة المقدّسة

۱- ۱ تاریخ المدینهٔ المنورهٔ، ابن شبّهٔ، ۱: ۱۶۲.

۲- ۲ قاموس المحیط، الفیروز آبادی، مادّهٔ: ندد، ندر.

۳- ۳ وفاء الوفا، السمهودی، ۱: ۲۷.

۴- ۴ مجمع البیان، الطبرسی، ۸: ۳۴۶.

ص: ۲۵۳

ص: ۲۵۴

ص: ۲۵۵

ص: ۲۵۶

ص: ۲۵۷

الروضة المقدّسة

محمد جواد الطبسی

لقـد کتب الکثیر من المؤرخین وغیرهم حول العناوین والموضوعات التی تخصّ المدینة المنوّرة: عن شـرافة أرضـها ومشـرّفِها، وعمن نزل وحلّ فیها وعن آثارها وأماکنها. ولکن قلّ من تعرّض لذکر الروضة المقدّسة فی المسـجد النبوی بنحو التفصـیل، وحقّق الموضوع کما ینبغی، من حدودها واختلاف الآراء فیها وبیان معناها وعلّة شرافتها وآدابها وغیر ذلک.

ولقد کان فی مضـماری، فی السـنوات التی کنت أتشرّف بزیارة قبر رسول اللَّهصلی الله علیه و آله، أن أتعرّف علی هذه البقعة الطاهرة أکثر ممّـا سـمعت أو قرأت بنحو الإجمال والایجاز، فلـذلک عزمت علی کتابةصـفحات وإن کانت بصورة موجزة، ولکن حاویـة علی جمیع أنحاء البحث حول هذه البقعة الطاهرة، آملًا بذلک الدخول فی ریاض الجنّة التی وعد المتّقون بها، إن شاء اللَّه تعالی.

ص: ۲۵۸

الروضة عند أهل اللغة:

قال ابن منظور: الروضة:

الأرض ذات الخضرة، والروضة:

البستان الحسن ... وقولهصلى الله عليه و آله: بين قبرى أو بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنّة ... (۱) وقال الطريحى: الروضة: الأرض الخضرة بحسن النبات ومنه روضات الجنان، وهى أطيب البقاع وأنزهها، ومنه الحديث ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة أى كروضة (۲).

ما قيل فى معنى الروضة:

فسّرت الروضة الشريفة ما يقرب من ثمانية معانٍ حسب الإحصاء وهى:

۱- إنّ من لزم طاعة اللَّه فى هذه البقعة آلت به الطاعة إلى روضة من رياض الجنّة. قاله الخطابى (۳).

۲- مَن عَبَدَ اللَّه بين القبر والمنبر، فله عند اللَّه روضة من رياض الجنّة. بهذا المعنى أشار العلامة المجلسى فى البحار عن العلل: العلة فى أن بين قبر النبيصلى الله عليه و آله وبين المنبر روضة من رياض الجنة: أنه مَن عَبَدَ اللَّه بين القبر والمنبر، وعرف حقَّ رسول اللَّه وأهل بيته عليهم السلام، وتبرأ من أعدائهم، فله عند اللَّه- عزوجل- روضة من رياض الجنة، ولا يكون له ذلك فى غير ذلك الموضع (۴).

۳- روضة فى الدنيا للعلم والمعرفة، حيث كان يقتبس ذلك من الرسول وهو فيها، ثمّ تجعل يوم القيامة إحدى رياض الجنّة (۵).

۴- إن تلك البقعة نفسها روضة من رياض الجنة، كما أن الحجر الأسود من الجنة، فيكون الموضع المذكور روضة من رياض الجنة الآن، ويعود روضة فى الجنة كما كان، ويكون للعامل بالعمل فيه روضة فى الجنة .. (۶) وأشير إلى هذا المعنى بما ورد عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: ما بين بيتى ومنبرى روضة

۱- ۱ لسان العرب ۵: ۳۶۹.

۲- ۲ مجمع البحرين: ۳۳۰.

۳- ۳ أخبار مدينة الرسول: ۸۳.

۴- ۴ مستدرك الوسائل ۱۰: ۱۹۵، البحار ۹۹: ۳۸۲.

۵- ۵ الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين: ۲۴.

۶- ۶ وفاء الوفا ۲: ۴۲۹.

ص: ۲۵۹

من رياض الجنة، ومنبرى على ترعة (۱)من ترع الجنة، وقوائم منبرى رتب فى الجنة. قال: قلت: هى روضة اليوم؟

قال: نعم، انه لو كشف الغطا لرأيتم (۲).

وقال البحرانى: ويحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة فى المنبر والروضة، بأن يكون حقيقتها كذلك، وإن لم يظهر فى الصورة بذلك فى الدنيا؛ لأن الحقائق تظهر بالصور المختلفة (۳).

۵- من أقام بهذا الموضع فكأنه أقام فى روضة من رياض الجنة. قاله ثعلب (۴).

۶- ينقل ذلك الموضع بعينه إلى الجنة. قاله ابن حجر (۵).

۷- العبادة فيها تؤدى إلى الجنة (۶).

۸- البقعة كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة، بما يحصل فيها من ملازمة حِلَقِ الذكر، ولاسيما فى عهدهصلى الله عليه و آله .. (۷) حدود الروضة:

بعد التعرف على معنى الروضة:

نودّ أن نشير إلى حدود الروضة المقدسة، وما ورد فى تحديدها من روايات وأقوال، ونواصل البحث والنقاش فى ذلك.

ألف- التعابير الواردة عن النبى فى تحديد الروضة:

وردت تعابير مختلفة فى تحديد الروضة الشريفة عن الرسول الكريمصلى الله عليه و آله، رواها عنه جمع من الصحابة: كجابر بن عبد اللَّه، وعبد اللَّه بن زيد المازنى، وابن عمر، وأبى سعيد، وأنس بن مالك، وسعد بن أبى وقاص، وسنذكرها لك بالتفصيل.

۱- قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنّة (۸).

۲- وقالصلى الله عليه و آله: ما بين حجرتى ومنبرى روضة من رياض الجنّة (۹).

۳- وقالصلى الله عليه و آله: ما بين بيتى

---

۱ - ۱ قال البحرانى: الترعة بضمّ المثناة الفوقانية ثمّ المهملتين فى الأصل: هى الروضة على المكان المرتفعخاصة، فإذا كان فى المطمئنين فهى روضة .. وقيل الترعة: الدرجة وقيل: الباب .. الحدائق الناضرة ۱۷: ۴۱۵.

۲- ۲ وسائل الشيعة ۱۰: ۲۷۰، فروع الكافى ۴: ۵۵۴.

۳- ۳ الحدائق الناضرة ۱۷: ۴۱۶.

۴- ۴ لسان العرب ۵: ۳۶۹.

۵- ۵ الدر الثمين: ۲۴، وفاء الوفا ۲: ۴۲۹.

۶- ۶ أخبار مدينة الرسول: ۸۲، عمدة الأخبار: ۱۳۸، وفاء الوفا ۲: ۴۲۹، اتحاف المؤمنين: ۶۴.

۷- ۷ وفاء الوفا ۲: ۴۲۹.

۸- ۸ وسائل الشيعة ۱۰: ۲۷۰، فروع الكافى ۴: ۵۵۵، العقد الثمين ۳: ۴۱۰، وفاء الوفا ۲: ۴۲۶، أخبار مدينة الرسول: ۸۰، عمدة الأخبار: ۱۳۸.

۹- ۹ شفاء الغرام ۲: ۳۶۲، أخبار مدينة الرسول: ۸۲.

ص: ۲۶۰

ومصلای روضة من ریاض الجنّة (۱).

۴- وقالصلی الله علیه و آله: ما بین حجرتی ومصلای روضة من ریاض الجنّة (۲).

۵- وقالصلی الله علیه و آله: ما بین منبری والمصلی روضة من ریاض الجنّة (۳).

۶- وقالصلی الله علیه و آله: ما بین مسجدی إلی المصلی روضة من ریاض الجنّة (۴).

۷- وقالصلی الله علیه و آله: ما بین قبری ومنبری روضة من ریاض الجنّة (۵).

۸- وقالصلی الله علیه و آله: ما بین منبری وبیوتی روضة من ریاض الجنّة (۶)

۹- وقالصلی الله علیه و آله: ما بین هذه البیوت إلی منبری روضة من ریاض الجنّة (۷).

ب- تحدید الروضة عن أهل البیت علیهم السلام:

ووردت روایات عن أهل البیت علیهم السلام فی الروضة، وحدّها، ما یلی:

۱- عن مرازم قال: سألت أبا عبد اللَّه علیه السلام عمّا یقول الناس فی الروضة فقال: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: ما بین بیتی ومنبری روضة من ریاض الجنّة، ومنبری علی ترعة من ترع الجنّة. فقلت له: جعلت فداک فما حدّ الروضة؟

فقال: بعد أربع أساطین من المنبر إلی الظلال. فقلت: جعلت فداک من الصحن فیها شیء؟ قال: لا (۸).

۲- عن أبی بصیر عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: حدّ الروضة فی مسجد الرسولصلی الله علیه و آله إلی طرف الظلال (۹).

۳- عن جمیل بن دراج قال:

سمعت أبا عبد اللَّه علیه السلام یقول: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله ما بین منبری وبیوتی روضة من ریاض الجنّة، ومنبری علی ترعة من ترع الجنّة، وصلاة فی مسجدی تعدل ألفصلاة فیما سواه من المساجد إلّاالمسجد الحرام.

قال جمیل: قلت له، بیوت النبی وبیت علی منها؟ قال: نعم وأفضل (۱۰).

۱- ۱ وفاء الوفا ۲: ۴۲۸.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ المصدر نفسه.

۴- ۴ عمدة الأخبار: ۱۸۲، وفاء الوفا ۲: ۴۲۸.

۵- ۵ وسائل الشیعة ۱۰: ۲۷۰، وفاء الوفا ۲: ۴۲۷.

۶- ۶ فروع الکافی ۴: ۵۵۶، وسائل الشیعة ۳: ۵۴۳.

۷- ۷ وفاء الوفا ۲: ۴۲۸ و ۴۲۹.

۸- ۸ البحار ۹۷: ۱۴۶، وسائل الشیعة ۱۰: ۲۷۱، فروع الکافی ۴: ۵۵۵.

۹- ۹ المصدر نفسه.

۱۰- ۱۰ المصدر نفسه.

ص: ۲۶۱

ج- تحديد الروضة في أقوال الآخرين:

لقد وقع الخلاف في تحديد الروضة الشريفة، فمنهم من حدّدها ما بين المنبر والحجرة الشريفة التي دفن النبي فيها وعليه الأكثر، اعتماداً عليصحيحتين إحداهما قوله: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة ..

والثّانية ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة (۱)، ومنهم من قال:

إنّها تعمّ جميع المسجد الموجود في زمنه.

ومال إلى هذا الرأي الشنقيطي قائلًا: وأنا أميل إلى رأي الإمام مالك، والزين المراغي في تحديد الروضة الشريفة بما بين جميع بيوت النبي وبين منبره الشريف لأدلّة منها: ما ذكروه من حمل الخصوص في قوله (قبري) على العموم في قوله (بيتي) وما رواه أحمد: ما بين هذه البيوت إلى منبري روضة من رياض الجنّة .. وحديث وقوائم منبري على ترعة من ترع الجنّة الذي يفهم منه: أن ما كان شمال المنبر الشريف من الأرض هو ترعة من ترع الجنّة، والى الشمال الغربي من ذلك في نهاية المسجد حيث باب الرحمة كان يقع آخر بيت من بيوت الرسول .. (۲) ومنهم من قال: إنّها تعمّ المسجد في زمنه وبعده. قال الراساني: إنّ اسم الروضة يعمّ مسجدهصلى الله عليه و آله كلّه مع ما زيد فيه (۳).

ومنهم من قال: إنّها من حجرته إلى مصلّاه لرواية ما بين حجرتي ومصلاي على القول بأن المراد مصلّى العيد (۴).

د- الروضة وحدّها في أقوال الفقهاء:

حدّد فقهاؤنا- رضوان اللَّه عليهم- الروضة بما بين القبر والمنبر اعتماداً على ما روى عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة.

وإليك بعض الآراء في هذا المجال:

۱- ۱ الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين: ۲۴، المسجد النبوي عبر التاريخ: ۴۹.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ اتحاف المؤمنين بتاريخ مسجد خاتم المرسلين: ۶۲.

۴- ۴ المصدر نفسه، عمدة الأخبار: ۱۸۲.

ص: ۲۶۲

۱- قال الشيخ الطوسی: ...

ويستحبّ أن يصلّى ما بين القبر والمنبر ركعتين فإنّ فيه روضة من رياض الجنّة .. (۱)۲- وقال ابن البراج: الروضة: هی ما بين القبر والمنبر إلی الأساطين التی تليصحن المسجد، وليس فی الصحن من الروضة شیء .. (۲) ۳- وقال يحيی بن سعيد: ثمّ أتی المنبر فمسح رمّانتيه، وصلّی بين القبر والمنبر، وهو روضة من رياض الجنّة .. (۳) ۴- وقال ابن ادريس:

ويستحب الصلاة بين القبر والمنبر ركعتين، فإنّ فيه روضة من رياض الجنّة .. (۴) ۵- وقال ابن حمزة: فإذا فرغ أتی المنبر ومسح وجهه وعينيه برمانتيه .. وصلّی ركعتين بين القبر والمنبر، فإنّ فيه روضة من رياض الجنّة (۵).

۶- وقال المحقّق الحلی: الرابع يستحبّ الغسل لدخولها وزيارة النبیصلی الله عليه و آله استحباباً مؤكداً، وزيارة فاطمة عليها السلام فی الروضة والأئمة فی البقيع، والصلاة بين المنبر والقبر وهو الروضة (۶).

۷- وقال البحرانی: قد اتفقت الأخبار وكلمة الأصحاب علی أنه يستحبّ لزائر المدينة بعد الدخول إكثار الصلاة فی مسجد الرسول، ولا سيّما فی الروضة وهی ما بين القبر والمنبر إلی طرف الظلال (۷).

وقفة مع القارئ حول روايات الروضة:

كان هذا عرضاً موجزاً من الروايات المرويّة عن النبیصلی الله عليه و آله والأئمة المعصومين عليهم السلام، وما قيل فی ذلك حول تحديد الروضة المقدّسة.

ولنا وقفة خاطفة وسريعة معك حول مفاد هذه الروايات من جهة حدود الروضة بداية ونهاية فإنّها تتضيق بالنظر إلی بعضها، وتتسع بالنظر إلی أخری:

۱- ۱ النهاية: ۳۱۷ الجوامع الفقهية.

۲- ۲ المهذب:.

۳- ۳ الجامع للشرايع: ۲۳۱.

۴- ۴ السرائر:.

۵- ۵ الوسيلة: ۱۹۷.

۶- ۶ المختصر النافع: ۹۸.

۷- ۷ الحدائق الناضرة ۱۷: ۴۱۵.

ص: ۲۶۳

فالرواية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والثامنة والتاسعة جعلت بداية الروضة بيته وحجرته وبيوته الشريفة.

والرواية الخامسة جعلت بداية الروضة منبرهصلى الله عليه و آله والسادسة: المسجد الشريف والسابعة: قبرهصلى الله عليه و آله. هذا من جهة البداية.

وأمّا من جهة النهاية: فالرواية الأولى والثانية والخامسة والسابعة والثامنة والتاسعة جعلت نهاية الروضة المنبر الشريف. والرواية الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة مصلاه أو المصلّى.

فتكون حدود الروضة بحسب ما مرّ علينا من الروايات ستّة:

الحدّ الأول: ما بين بيته وحجرته والمنبر. والحدّ الثانى: ما بين حجراته والمنبر. والثالث: ما بين بيته ومصلاه. والرابع: ما بين المنبر والمصلّى.

والخامس: ما بين القبر والمنبر.

والسادس: ما بين المسجد إلى المصلّى.

وعلى هذا فيكون أضيق الحدود هو ما دار بين القبر ومصلّاه إذا فسّرنا المصلّى بمحرابه فى المسجد. وأوسع الحدود: هو ما كان بين المسجد ومصلّى العيد.

وأمّا ما ورد عن أهل البيت العصمة عليهم السلام ففى بعضه: ما تحدد الروضة من المنبر إلى الظلال وفى بعض آخر: تحدّد الروضة بما بين المنبر وبيوتهصلى الله عليه و آله وبيت على وفاطمة، وثالثه بين القبر والمنبر.

والذى يخطر بالبال بل يكون فى النهاية هو المختار: أن روايات بين البيت أو القبر والمنبر روضة من رياض الجنّة كثيرة ومتظافرة ومشهورة ومنقولة فى معظم الكتب الحديثية، ومؤيّدة بروايات وردت عن أهل البيت عليهم السلام كما مرّ عليك. وإنّنا وإن عثرنا على أحاديث نقلت عنهصلى الله عليه و آله بما يخالف الحدّ المذكور: من أن حدّ الروضة فيما بين المسجد والمصلّى، أو كل المسجد فى زمن الرسول أو بعده. لكن كل هذه الأقوال مردودة وغير ثابتة وأنّهم استدلّوا

ص: ۲۶۴

بأشياء أغلبها ضعيف مبناها، وهذا ما أشار إليهصاحب كتاب اتحاف المؤمنين (۱).

يبقى ما رواه جميل عن الصادق عليه السلام: أن الروضة هو ما بين المنبر وبيوت النبيصلى الله عليه و آله فنقول: إنصحّت الرواية عنه. وأثبتنا أن بيوت النبى كانت تمتد إلى باب الرحمة، وقصد النبى من البيوت كل بيوته، فكلّ المسجد داخل فى الروضة كما قيل.

ولكن يمكن أنّه أرادصلى الله عليه و آله غالب بيوته التى كانت تقع على جهة الشرق لا كلّ بيوته. إضافة على ذلك أنه لم يدّع أحد من علمائنا هذا الحدّ بحيث يكون كلّ المسجد داخلًا فى الروضة. وأمّا بيت على وفاطمة وإن كان بحسب الحدّ المذكور خارجاً عن حدّ الروضة، لكن يمكن أن نعدّ البيت من الروضة أيضاً اعتماداً على قول أهل البيت بأن بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام من الروضة. وأهل

۱- ۱ اتحاف المؤمنين: ۶۴.

ص: ۲۶۵

البيت أدرى بما فى البيت.

*** مساحة الروضة الشريفة:

وأمّا مساحة الروضة طولًا وعرضاً فقيل: يبلغ طول الروضة اثنين وعشرين متراً، وعرضها خمسة عشر متراً (۱).

وقال فى الدرّ الثمين: ومساحة الروضة الشريفة من المنبر الشريف غرباً إلى الحجرة شرقاً سبعة وستّون ذراعاً بالذراع الهاشمى .. (۲)

علّة تشريف الروضة المقدّسة:

وهناك سؤال يطرح نفسه بأنه:

لماذا فضّلت تلك البقعة الطاهرة على ساير المسجد؟

والجواب عن ذلك هو: أنّا وإن لم نعثر على شىء يدل بوضوح على حكمة أفضلية الروضة على ساير المسجد، ولكن يكفينا ما روى عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول اللّهصلى الله عليه و آله:

ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة .. لأنّ قبر فاطمة بين قبره ومنبره، قبرها روضة من رياض الجنّة (۳).

وأن اللّه شرف تلك البقعة الطاهرة لأنّها مدفن الزهراء فاطمة عليها السلام باعتبار أن قبر المعصوم وحواليه روضة من رياض الجنّة، كما ورد فى أن قبر النبيصلى الله عليه و آله (۴) والحسين عليه السلام (۵) وعلى بن موسى الرضا عليه السلام (۶) أيضاً روضة من رياض الجنّة ولا استغراب من ذلك. ولكن لمّا لم يعين مكان قبر الزهراء فى الروضة، وكان بين القبر والمنبر؛ فلذا قال رسول اللّهصلى الله عليه و آله ما بين قبرى ومنبرى مشيراً إلى قبر الزهراء عليها السلام. وهذا الاحتمال وإن لم يكن بعيداً فى نفسه، إلّاأن قبر الزهراء قد خفى علينا، فقد روى أنها دفنت فى بيتها أو فى البقيع (۷).

ولكن يمكن الالتزام بذلك، والقول بامتداد الروضة الشريفة، ودخول قبر الزهراء فى الروضة، وإن

۱- ۱ المسجد النبوى عبر التاريخ: ۴۹، أشهر المساجد فى الإسلام ۱: ۲۲۲، مرآة الحرمين ۱: ۴۵۱.

۲- ۲ الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين: ۲۴.

۳- ۳ البحار ۹۷: ۱۹۲.

۴- ۴ المصدر نفسه.

۵- ۵ مستدرك الوسائل ۱۰: ۳۲۵.

۶- ۶ المصدر نفسه: ۳۵۷.

۷- ۷ البحار ۹۷: ۱۹۲.

ص: ۲۶۶

كانت مقبورة فى بيتها، اعتماداً على الخبر المذكور عن الصادق، قال فيه:

قبرها روضة من رياض الجنّة، لتوسعة الروضة بحيث تشمل بيتها، كما ادّعاه العلّامة المجلسى مؤيداً بما روى جميل عن الصادق عليه السلام قال: فقلت له: بيوت النبىّ وبيت علىّ منها؟ قال: نعم وأفضل.

ويحتمل أنها لما كانت هذه البقعة الطاهرة محلّ جلوس النبىّ للوعظ والتبليغ وأداء الرسالة الإلهيّة، ولما كانت تلك البقعة معدّة لكسب العلم والمعرفة حيث كان يُقتبس ذلك من الرسولصلى الله عليه و آله وهو فيها، لذلك شرّفها اللَّه على ساير المسجد. ويحتمل أيضاً: أن هذه البقعة لمّا كانت قطعة من الجنّة وستعود إليها؛ فلذلك شرّفها اللَّه تعالى.

آداب الروضة:

اهتمّ السلف والخلف برعاية الآداب والمستحبّات فى الروضة المقدّسة، ووردت روايات كثيرة ترغب فى الدّعاء وتحبب الصلاة وطلب الحاجة من اللَّه- عزوجل- وحتى زيارة فاطمة بنت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله فى الروضة المقدّسة، وإليك نصّ ما روى فى ذلك:

۱- استحباب الصلاة فى الروضة:

عقد الحرّ العاملى رحمه الله باباً حول استحباب الإكثار من الصلاة فى مسجد النبيصلى الله عليه و آله، خصوصاً بين القبر والمنبر، وفى بيت علىّ وفاطمة عليهما السلام، وتعرض لذكر روايات مروية عن المعصومين عليهم السلام بأن الصلاة فى مسجد النبيصلى الله عليه و آله تعدل ألفصلاة فى غيره (۱)، أو تعدل عشرة آلافصلاة (۲)، وترغيبهم فى الصلاة فى المسجد النبوى بعد الاستشهاد بقول النبيصلى الله عليه و آله: ما بين منبرى وبيوتى روضة من رياض الجنّة، وصلاة فى مسجدى تعدل عشرة آلافصلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام. قال جميل: قلت له:

۱- ۱ وسائل الشيعة ۳: ۱۹۲.

۲- ۲ المصدر نفسه.

ص: ۲۶۷

بيوت النبيّ وبيت على منها؟ قال: نعم وأفضل (۱).

وقال الشيخ الطوسى: ويستحب أن يصلّى ما بين القبر والمنبر ركعتين فإنّ فيه روضة من رياض الجنّة (۲).

وقال ابن ادريس الحلّى:

ويستحبّ الصلاة بين القبر والمنبر ركعتين فإنّ فيه روضة من رياض الجنّة (۳).

وقال البحرانى: قد اتفقت الأخبار وكلمة الأصحاب: على أنه يستحبّ لزائر المدينة بعد الدخول إكثار الصلاة فى مسجد الرسولصلى الله عليه و آله ولا سيّما فى الروضة وهى ما بين القبر والمنبر إلى طرف الظلال (۴).

وقال المحقّق: وتستحب الصلاة بين القبر والمنبر وهو الروضة (۵).

۲- استحباب طلبالحاجة فى الروضة:

ومن جملة الآداب والمستحبات الواردة فى الروضة الدعاء والثناء وطلب الحاجة. روى معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام قال: إذا فرغت من الدعاء عند القبر فائت المنبر وامسحه بيدك، وخُذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح عينيك ووجهك به ..، وقم عنده فاحمد اللَّه واثن عليه وسل حاجتك، فإن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله قال: ما بين منبرى وبيتى روضة من رياض الجنّة .. (۶).

۳- استحباب زيارة الزهراء فى الروضة:

ومن الآداب فى الروضة زيارة فاطمة بنت محمّدصلى الله عليه و آله فيها. قال الشيخ المفيد: ثمّ قف وزر فاطمة فإنها هناك مقبورة. فإذا أردت زيارتها فتوجّه إلى القبلة فى الروضة، وقل: السلام عليك يا رسول اللَّه وعلى بنتك الصديقة الطاهرة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله، السلام عليك أيتها البتول الشهيدة الطاهرة .. ثمّ ارفع يديك وادع بما بدا لك .. (۷)وقال المحقّق: الثالثة يستحب أن

۱- ۱ البحار ۹۹: ۳۸۲، وسائل الشيعة ۳: ۵۴۳.

۲- ۲ النهاية: ۳۱۷ الجوامع الفقهية.

۳- ۳ السرائر:.

۴- ۴ الحدائق الناضرة ۱۷: ۴۱۵.

۵- ۵ شرايع الإسلام ۱: ۲۷۹، المسالک ۲: ۳۸۴.

۶- ۶ مستدرک الوسائل ۱۰: ۱۹۵، وسائل الشيعة ۱۰: ۲۷۰، فروع الكافى ۴: ۵۵۳.

۷- ۷ المقنعة: ۷۱.

ص: ۲۶۸

تزار فاطمة عليها السلام من عند الروضة (۱).

وقال العلّامة الحلّى: والغسل عند دخولها وزيارة فاطمة عليها السلام فى الروضة وبيتها والبقيع والأئمة به والصلاة فى الروضة .. (۲)

وقال الشيخ الطوسى: ويستحبّ أن يُصلى ما بين القبر والمنبر ركعتين فإن فيه روضة من رياض الجنّة. وقد روى أن فاطمة عليها السلام مدفونةً هناك، وقد روى: أنّها مدفونة فى بيتها، وقد روى أنها مدفونة فى البقيع، وهذا بعيد.

والروايتان الأوليان أشبه وأقرب إلى الصواب، وينبغى أن يزور فاطمة عليها السلام من عند الروضة .. (۳) ۴- استحبابصلاة زيارة النبيصلى الله عليه و آله فى الروضة:

ويستحبّ أيضاً لمن زار النبيصلى الله عليه و آله أن يصلّى الركعتين عند الفراغ من زيارته فى الروضة. قال الشهيد فى الدروس: وسادسهاصلاة ركعتين للزيارة عند الفراغ، فإن كان زائراً للنبى ففى الروضة .. (۴) تلخص مما ذكرنا: أن الروضة المقدّسة الواقعة فى الحرم المدنى بقعة طاهرة شرّفها اللَّه، وعظّمها ببركة رسوله الكريمصلى الله عليه و آله وهى ما بين القبر والمنبر. وعلى مَن زار النبيصلى الله عليه و آله أن يحمد اللَّه ويثنى عليه ويصلّى ويدعو ويزور السيدة فاطمة فيها. رزقنا اللَّه وإيّاكم زيارته.

۱- ۱ شرايع الإسلام ۱: ۲۷۹، المسالک ۲: ۳۸۲.

۲- ۲ قواعد الأحكام:.

۳- ۳ النهاية:.

۴- ۴ البحار ۹۷: ۱۳۴.

ص: ۲۶۹

الهوامش:

المساجد والأماكن الاثرية المجهولة لزائر المدينة المنوّرة الميمونة

ص: ۲۷۰

ص: ۲۷۱

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنوّرة الميمونة

عبد الرحمن خويلد

«اللّهمّ حبِّب إلينا المدينة كحبّنا مكّة أو أشدّ» رسول اللَّهصلى الله عليه و آله

مقدمة:

بما أنّ للمدينة المنوّرة فضلًا كبيراً على المسلمين، لأنّها مهاجر الرسول الكريم محمّد (صلى الله عليه و آله)، وعاصمة الإسلام الأولى، ومنها انطلق الإسلام إلى الآفاق، وعمّ بنوره البشريّة، وأنقذ مَن هداه اللَّه سبحانه من الشرك والضلالة إلى التوحيد والهداية، لذلك لابدّ من معرفة معالمها المهمّة، وآثارها الرائعة.

وقد رأيت أنّ أكثر الزائرين لطيبة الطيبة لا يعرف عنها سوى المسجد النبوى الشريف، والبقيع، والمزارات الأربعة المشهورة، وهى (مسجد قباء، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، وشهداء أُحد)، علماً أنّ قسماً منهم لا

ص: ۲۷۲

يعرف حتّى هذه المزارات الأربعة إلّابعد سماعه عنها من أصحابه، أو من بعض سائقى السيارات عندما يرفعون أصواتهم بعبارة (زيارة يا حاج).

أمّا بقية المساجد والأماكن الأثرية الأخرى فاعتقد أنّ أغلب زوّار هذه المدينة العزيزة إن لم يكن كلّهم لا يعرف أو لم يسمع عن بعضها، مع كثرة زياراته للمدينة المنوّرة.

وكيف تُجهل هذه المساجد والأماكن التى كانت عامرة بنزول الوحى عليه السلام، أو كونها مصلّى أو مقيل أو مبيت النبى (صلى الله عليه و آله)؟

فتجوّل زوّارها فى ربوعها يعيد إلى أذهانهم الذكريات العطرة، والصور الرائعة للسيرة النبويّة على هذه الأرض المباركة، ممّا يثلجصدورهم، ويسعد نفوسهم، ويزيد إيمانهم. لذلك رأيت أنّ من الضرورى إخراج كتابٍ لينتفع به الزوّار. والمنهج الذى اتّبعته فيه هو: تصوير هذه المساجد والأماكن لسهولة التعرّف عليها أوّلًا، وللحفاظ عليصورتها خشية اندثارها ثانياً، ثمّ إيضاح أماكنها، والتعليق عليها. وقد رتّبتها من حيث القرب والبعد عن مسجد الرسول (صلى الله عليه و آله)، مراعياً فى ذلك موقعها فى اتّجاه واحد، ووضعت خريطة تبيّن أماكنها، وتسلسل أرقامها؛ ليستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر، كما أنى حرصت على ذكر المساجد التى ثبت أنّ النبى (صلى الله عليه و آله)صلّى فيها، وختمتُ الكتاب بوضع أربعة فهارس له.

راجياً من اللّه تعالى العون والسداد والتوفيق لما يحبّه ويرضاه، إنّه نِعم المولى ونِعم النصير.

۱- مسجد المصلّى (الغمامة)

يقع هذا المسجد إلى الغرب من مسجد النبى (صلى الله عليه و آله)، ويبعد عنه حوالى

ص: ۲۷۳

ص: ۲۷۴

أربعمائة متر، وتقام فيه الصلوات الخمس عداصلاة الجمعة.

وكان يسمّى ب (مسجد المصلّى)، لأن أكثرصلاة النبى (صلى الله عليه و آله) للعيدين فيه (۱)، ثمّ سمّى ب (مسجد الغمامة)، ولا يُعرف عند أغلب الناس فى الوقت الحاضر إلّابهذا الاسم. ويُروى أن المصطفى (صلى الله عليه و آله) خرج إلى المصلّى فقال: «هذا مُستَمطَرنا ومُصلّانا لِفِطرنا وأُضحانا، فلا يضيق ولا ينقص علينا» (۲).

۲- مسجد الإمام علىّ بن أبى طالب (عليه السلام)

موقع هذا المسجد بالقرب من مسجد الغمامة فى الشمال الغربى منه، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بتسعين متراً تقريباً. ولقد ذكرت بعض كتب تاريخ المدينة (۳): أنّ

۱- ۱ آثار المدينة: ۸۲، والدر الثمين: ۲۲۷.

۲- ۲ تحقيق النصرة: ۱۴۲، وآثار المدينة: ۸۲، والدر الثمين: ۲۲۷.

۳- ۳ تحقيق النصرة: ۱۴۲، ووفاء الوفا ۲: ۷۸۲، والدر الثمين: ۲۲۸- ۲۲۹.

ص: ۲۷۵

النبيّ (صلى الله عليه و آله)صلّى في مكان هذا المسجد سنة أو سنتين، وقد تغنّى بعض الشعراء بالمصلّى، واشتاقوا إلى ما حوله من مساكن، قال أحدهم:

فكم من حرّة بين المصلّى إلى أُحد إلى ما حاز ريم

إلى الجماء من خدّ أسيل نقيّ اللون ليس به كلوم وقال آخر:

ليت شعرى هل العقيق فسلع فقصور الجماء فالعرصتان

فإلى مسجد الرسول فما حا ز المصلّى فجانبا بطحان

فبنوا مازن كعهدى أم لى سوا كعهدى فى سالف الأزمان (۱) وهذا المسجد أكبر من سابقه، وقد جدّد حديثاً.

۳- مسجد السقيا

مكان هذا المسجد غرب المسجد النبوى، ويبعد عنه حوالى كيلومترين ومائة متر، ويتميز بقبابه الثلاث، والوسطى أكبرها، وهو الآن داخل سور محطة السكة الحديدية- التى يطلق عليها عند عامة الناس اسم (الاستصيون)- فى الجهة الجنوبيّة منه.

وبُنى هذا المسجد فى مكان قبّة الرسول (صلى الله عليه و آله) عند خروجه لغزوة بدر، واستعراض جيشه «۱»، ووعده اللَّه- تعالى- أن تكون إحدى الطائفتين له، إما العير أو النفير، بقوله سبحانه: «وإذ يعدُكم اللَّه إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودّون

۱- ۱ تاريخ معالم المدينة المنوّرة ۱: ۷۲، ووفاء الوفا ۲: ۹۷۲.

ص: ۲۷۶

ص: ۲۷۷

أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد اللّه أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين» (۱)

وقدصلّى النبيّ (صلى الله عليه و آله) فيه ودعا اللّه أن يبارك للمدينة فى مدّها وصاعها (۲).

وكانت إلى الجنوب من هذا المسجد بئر السقيا، التى كان يُستعذب من مائها لرسول اللّه (صلى الله عليه و آله)، وقد دُفنت ولم يبق لها أثر (۳).

۴- مسجد المنارتين

يقع هذا المسجد إلى الغرب من مسجد السقيا، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بكيلومتر واحد، وهو قبل محطة العواجى (الخضر) للبنزين بمائة متر، على يمين

۱- ۱ الأنفال ۸: ۷.

۲- ۲ وفاء الوفا ۲: ۸۴۴، والدر الثمين: ۲۲۸.

۳- ۳ قيل: إنه كان يفصل بينها وبين المسجد طريق مكة القديم، ينظر: آثار المدينة: ۹۲، وقيل: إنه يمر فوقها الطريق المذكور، ينظر: الدر المنثور: ۲۲۸، واللّه أعلم بالصواب.

ص: ۲۷۸

الـذاهب على طريق مكة القديم. وهو الآن متروك، والمتبقى منه عبارة عن بناء حجرى شـبه مقفل، ولا يمكن الصـلاة فيه؛ لأنه لم يُهيأ لذلك. وقدصلّى النبى (صلى الله عليه و آله) فى مكانه، فلذلك بُنى هذا المسجد (۱).

قال الأستاذ غالى الشـنقيطى فى كتابه الدر الثمين (۲): «وعلى يسار طريق جـدّة يوجد مسـجد المنارتين، وقد قيل: إنّ النبىّ (صـلى الله عليه و آله)صلّى فى مكانه فلهذا بنى ثَم مسجد، وهو الآن جديد البناء وجميل وكبير تقام فيه الصلوات الخمس».

وقد توهّم فى ذلك، لأنّ المسجد يقع على يمين طريق جدّة- مكّة، كما أنّه لم يجدّد لحدّ الآن، ولم تقم فيه الصلوات.

۵- مسجد الإجابة

۱- ۱ تحقيق النصرة ۱: ۱۲۹، ووفاء الوفا ۲: ۸۷۸، وعمدة الأخبار: ۱۹۸.

۲- ۲ص ۲۲۸.

ص: ۲۷۹

يقع هذا المسجد إلى الشمال الشرقى من المسجد النبوى، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بستمائة وخمسين متراً، ويطلق على اسم الشارع الذى يمرّ بالقرب منه شارع الستين.

وكان هذا المسجد لبنى معاوية (۱) من الآوس، وعُرف هذا المسجد باسمهم، لكنّه اشتهر الآن بمسجد الإجابة؛ لأنّ اللّه تعالى استجاب لنبيّه (صلى الله عليه و آله) فيه، فروى «أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه و آله) أقبل ذات يوم من العالية حتّى إذا مرّ بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلّينا معه، ودعا ربّه طويلًا ثمّ انصرف إلينا، فقال: سألت ربّى ثلاثاً فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة، سألته أن لا يهلك أمتى بالسّنة (۲)فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» (۳).

۱- ۱ تحقيق النصرة: ۱۲۹، وعمدة الأخبار: ۱۷۶، وآثار المدينة: ۹۴.

۲- ۲ السّنة: الجدب، وهو انقطاع المطر، ويبوسة الأرض، ينظر: المصباح المنير السين مع النون ۱: ۲۹۷، و الجيم مع الدال ۱: ۱۲۶.

۳- ۳ أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة ۴: ۲۲۱۶، حديث رقم ۲۸۹۰، والطبرانى فى الصغير ۱: ۸.

ص: ۲۸۰

وقال ابن شبه (۱): «صلّى الرسول (صلى الله عليه و آله) فى مسجد بنى معاوية ركعتين، ثمّ قام فناجى ربّه ثم انصرف».

وقيل: إنّ النبىّ (صلى الله عليه و آله)صلّى فيه عن يمين المحراب قدر ذراعين، وقد اهتم بهذا المسجد، وجدّد فى الأزمنة السابقة مرّات عديدة (۲)، وقيل: إنّ المباهلة بين النبىّ محمّد (صلى الله عليه و آله)، ووفد نصارى نجران، وقعت فى هذا المسجد، وذلك عندما أمر اللَّه- تعالى- رسوله (صلى الله عليه و آله) بملاعنتهم، لكنهم تراجعوا فى اللحظة الأخيرة، ورفضوا الملاعنة (۳).

الهوامش:

من رحلة ابن جبير عن الحج

۱- ۱ تاريخ المدينة المنورة ۱: ۶۸.

۲- ۲ الدر الثمين: ۱۵۲.

۳- ۳ سيرة ابن هشام ۲: ۱۶۰.

ص: ۲۸۱

من رحلة ابن جبير عن الحج

عبد اللَّه المؤمن

هذهِ بعض اللمحات التى سطرتها رحلةُ ابن جبير- أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَير الكنانى، الأندلسى، الشاطبى، البلنسى. ولد فى بلنسية. وسمع العلوم من أبيه فى شاطبة، وأخذ القرآن عن أبى الحسن بن أبى العيش أثناء رحلته الثالثة الطويلة- بعد رحلتين قصيرتين- التى استغرقت من يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال سنة ۵۷۸ ه وختمها يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر محرم سنة ۵۸۱ ه، وقد استغرقت رحلته الحجازية ابتداءً من ليلة الجمعة الرابعة والعشرين من شهر ربيع الأول من العام ۵۷۹ ه، وانتهاءً فى يوم الأحد العشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة. أما مدة إقامته فى مكة

ص: ۲۸۲

فيصفها لنا بقوله:

«فكانت مدّة مقامنا بمكة،- قدسها اللَّه- من يوم وصولنا إليها، وهو يوم الخميس ۱۳ لربيع الآخر من سنة تسع وسبعين، إلى يوم بإقلاعنا من الزاهرة، وهو يوم الخميس الثانى والعشرين لذى الحجة من السنة المذكورة، ثمانية أشهر وثُلث شهر، التى هى بحسب الزائد والناقص من الأشهر مئتا يوم اثنتان وخمسة وأربعون يوماً سعيدات مباركات ....

ونحن بهذه اللمحات سوف نعود مع ابن جبير؛ ولنرى معه أحوال الناس فى ذلك الزمان، وحال العمران، وما وصفه لنا من مشاعر مقدسة وأنفاس متجهة وقلوبٍ خاشعة، وأيدٍ متضرعة.

آفة الحجّاج:

يصف لنا ابن جبير هذه الآفة، وهو فى وصفه يضع الحقائق، ويوضح الواقع، ويبين كيف تعامل الإنسان فى ذلك الزمان مع ما يواجهه من مصاعب.

فابن جبير- بعد أن يصل إلى جدّة عن طريق البحر الأحمر، الذى كان يسميه بحر فرعون- يصف لنا طريقةَ ذهاب الحجّاج من جدّة وإليها عن طريق البحر، فيقول:

«والركوب من جُدّة وإليها آفة للحجّاج عظيمة إلا الأقل منهم؛ ممن يسلمه اللَّه- عزّ وجلّ-، وذلك أن الرياح تُلقيهم- على الأكثر- فى مراسٍ بصحارى تبعد منها مما يلى الجنوب فينزل إليهم البُجَاة، وهم نوع من السودان ساكنون بالجبال، فَيُكرون منهم الجمال، ويسلكون بهم غير طريق الماء، فربما ذهب أكثرهم عطشاً، وحَصَلوا على ما يخلّفه من نفقة أو سواها، وربما كان من الحجاج من يتعسّف (۱) تلك المَجْهَلة (۲)على قدميه فيضلّ ويهلك عطشاً. والذى

۱- ۱ تعسف الصحراء: خبط فيها على غير هداية.

۲- ۲ المجهلة: الأرض التى لا يهتدى فيها.

ص: ۲۸۳

يسْلَم منهم يصل إلى عيْذاب كأنه مُنْشَر من كفن، شاهدنا منهم مُدّةَ مُقامِنا أقواماً قد وصلوا على هذه الصفة فى مناظرهم المستحيلة (۱)، وهيئاتهم المتغيرة، آية للمتوسمين. وأكثر هلاك الحجاج بهذه المراسى، ومنهم من تساعده الريح إلى أن يحطّ بمُرْس عيذاب، وهو الأقلّ».

صفة جُدّة:

وبعد أن يصف ابن جبير فى رحلته أهوال بحر فرعون- أى البحر الأحمر- ينتقل إلى وصف مدينة جُدّة- بعد أن وصل إليها- فهو يقول فى وصفها:

«وجُدّة هذه قرية على ساحل البحر المذكور، أكثر بيوتها أخْصَاص، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين، وفى أعلاها بيوت من الأخصاص كالغُرَف، ولها سطوح يُستراح فيها بالليل من أذَى الحَرّ، وبهذه القرية آثار قديمة تدلّ على أنها كانت مدينة قديمة، وأثرُ سُورها المُحدِق بها باقٍ إلى اليوم، وبها موضع فيه قبّة مشيّدة عتيقة، يُذْكر أنه كان منزل حَوّاء أمّ البَشَر-صلى اللّه عليها- عند توجّهها إلى مكّةَ، فبُنى ذلك المبنى عليه تشهيراً لبركته وفضله، واللّه أعلم بذلك».

وصف سكان جدّة:

ثم يأتى بعد ذلك إلى وصف سُكان جُدّة نسباً ومعاشاً وعملًا:

«وأكثر سُكّان هذه البلدة مع ما يليها من الصحراء والجبال أَشْرَاف عَلَوِيّون: حَسَنِيّون وحُسَيْنِيّون، وجَعْفَرِيّون- رضى اللّه عن سَلفِهم الكريم- وهم من شظف العيش بحالٍ يتصدّع له الجماد إشفاقاً، ويَستَخدِمون أنفسَهُم فى كلّ مهنة من المِهَن: من إكراء جمال إن كانت لهم، أو مبيع لبن أو ماء، إلى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حَطَب يَحتَطِبونه، وربما تناول ذلك نساؤهم الشريفات بأنفسهنّ،

۱- ۱ المستحيلة: المتغيرة.

ص: ٢٨٤

فسبحان المُقدّر لما يشاء، ولا شك أنهم أهل بيت ارتضى اللَّه لهم الآخرة ولم يرتضِ لهم الدنيا، جعلنا اللَّه ممن يَدين بحُبّ أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً».

استغلال الحجّاج:

ويصف لنا ابن جبير طائفة من الناس تستغل الحجاج سرقة واعتداءً وتذيقهم من البلاء ما لا يوصف.

«وأكثر هذه الجهات الحجازيّة وسواها فِرَق وشِيَع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى، وهم يعتقدون فى الحاج ما لا يُعتَقد فى أهل الذمة، قدصَيّروهم من أعظم غَلّاتهم التى يستغِلونها: ينتهبونهم انتهاباً، ويسبّبون لاستجلاب ما بأيديهم استجلاباً. فالحاجّ معهم لا يزال فى غَرامة ومؤونة إلى أن ييسّر اللَّه رجوعه إلى وطنه».

إلى الحرم الشريف:

ثم يصف لنا ابن جبير طريقه من جُدّة إلى مكّةَ وصفاً دقيقاً فيه سرعة البديهة، وأمانة النقل.

«وفى عَشيّ يوم الثلاثاء الحادى عشر من الشهر المذكور- ربيع الآخر-، وهو فى الثانى من شهر اغُشْت، كان انفصالنا من جدة بعد أن ضمن الحاج بعضهم بعضاً، وثُبتت أسماؤهم فى زمام (١) عند قائد جدة على بن مُوَفق، حسبما نفذ إليه ذلك من سلطانهصاحب مكة مُكثر بن عيسى ....

وأسرينا تلك الليلة إلى أن وصلنا القَرين مع طلوع الشمس، وهذا الموضع هو منزل الحاج، ومحطّ رحالهم، ومنه يُحْرِمون وبه يُريحون اليوم الذى يصبحونه،

١- ١ الزمام: لعله أراد السجل.

ص: ۲۸۵

فإذا كانوا فی عشیةٍ رَفَعُوا وأسْرَوا لیلتَهم، وصبّحوا الحرم الشریف، زاده اللّه تشریفاً وتعظیماً.

والصادرون من الحجّ ینزلون به أیضاً ویُشرِ رُون منه إلی جدّة، وبهذا الموضع المذکور بئر مَعِینة عذبة، والحاج بسببها لا یحتاجون إلی تزود الماء غیر لیلة إسرائهم إلیه، فأقمنا بیاضَ یوم الأربعاء المذکور مُریحین بالقَرین، فلما حان العشیّ رُحْنا منه مُحْرِمین بعُمْرَة، فأسرینا لیلتنا تلک، فکان وصولنا مع الفجر إلی قَریب الحرم، فنزلنا مُرتقبین لانتشار الضوء.

ودخلنا مکّة، ... وکان نزولنا فیها بدار تُعْرف بالنسبة إلی الحلال قریباً من الحرم، ومن باب السُدّة أحد أبوابه فی حجرةٍ کثیرة المرافق المَشْکینَة مُشْرِفة علی الحرم وعلی الکعبة المقدسة».

صفة المسجد الحرام:

ویعرج بنا ابن جبیر- ونحن معه فی زمانه داخل الحرم المکی الشریف- وصفاً لبنائه، وتعریفاً لعمرانه، وتبییناً لما حواه من هندسة.

«البیت المکرّم له أربعة أرکان، وهو قریب من التربیع ... إن ارتفاعه فی الهواء من الصفْح (۱)الذی یُقابل باب الصفا، وهو من الحجر الأسود، ومنه ابتداء الطواف، ویتقهقر الطائف عنه لیُمِرّ جمیعَ بدنه به، والبیت المکرّم عن یساره، وأول ما یُلْقَی بعده الرکن العراقی، وهو ناظر إلی جهة الشمال، ثم الرکن الشامی، وهو ناظر إلی جهة الغرب، ثم الرکن الیمانی، وهو ناظر إلی جهة الجنوب، ثم یعود إلی الرکن الأسود، وهو ناظر إلی جهة الشرق، وعند ذلک یُتم شوطاً واحداً.

وباب البیت الکریم فی الصفح الذی بین الرکن العراقی ورکن الحجر الأسود، وهو قریب من الحَجَر بعشرة أشبار مُحَقّقة، وذلک الموضع الذی بینهما من

۱- ۱ الصفح: الجانب والوجه.

ص: ۲۸۶

صفح البيت يُسمّى المُلْتَزَم، وهو موضع استجابة الدعاء، والباب الكريم مرتفع عن الأرض بأحد عشر شبراً ونصف، وهو من فضة مُذهبة، بديع الصنعة، رائق الصفة، يستوقف الأبصار حُسناً وخشوعاً للمهابة التى كساها اللّه بيته، وعُضادتاه كذلك، والعتبة العليا كذلك أيضاً. وعلى رأسها لوح ذهب خالص إبريز فى سعته مقدار شبرين، وللباب نَقّارَتا فضّة كبيرتان يتعلّق عليهما قُفل الباب، وهو ناظر للشرق، وسعته ثمانية أشبار، وطوله ثلاثة عشر شبراً، وغلظ الحائط الذى ينطوى عليه الباب خمسة أشبار».

ثم يصف لنا ابن جبير- ونحن معه فى رحاب التوحيد- ما يحوى البيت الكريم من فرش وأعمدة ورخام، وهو فى ذلك لا يُغادر ما تقع عليه عينه دون أن يدوّنه:

«وأول ما يلقى الداخل على الباب عن يساره الركن الذى خارجه الحجر الأسود، وفيهصندوقان فيهما مصاحف، وقد علاهما فى الركن بُوَيْبان من فضة كأنهما طاقان مُلْصَقان بزاوية الركن .... وفى الركن الذى يليه وهو اليمانى كذلك، لكنّهما انقلعا وبقى العمود الذى كانا ملصقَيْن عليه، وفى الركن الشامى كذلك وهما باقيان، وفى جهة الركن العراقى كذلك، وعن يمينه الركن العراقى وفيه باب يُسمّى بباب الرحمة يُصْعَدُ منه إلى سطح البيت المكرّم، وقد قام له قَبْو فهو متّصل بأعلى سطح البيت، داخله الأدراج».

ثم يصف لنا ابن جبير طريق الطواف الدائرى، وحجارته ذات الألوان المتعددة كأنها الرخام:

«وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنه الرخام حسناً، منها سُود وسُمر وبيض قد ألصِق بعضها إلى بعض، واتّسعت عن البيت بمقدار تسع خُطًى إلا فى الجهة التى تقابل المقام، فإنها امتدّت إليه حتّى أحاطت به، وسائر

ص: ۲۸۷

الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض، وطواف النساء فى آخر الحجارة المفروشة، ...».

أما كيف يسقى الحاج من ماء زمزم فيصف لنا ذلك ابن جبير بقوله:

«ويُخْرَج مع الليل لسقى الحاج فى قِلال يسمّونها الدوارق، كل دَوْرَق منها ذو مقبضٍ واحد، وتَنّور بئر زمزم من رخام قد أُلصِقَ بعضه ببعض إلصاقاً لا تحيله الأيام، وأُفرِغ فى أثنائه الرصاص، وكذلك داخل التنور، وحفّت به أعمدة الرصاص المُلْصَقَة إليه بلاغاً فى قوّة لَزّه ورَصّه: اثنان وثلاثون عموداً قد خرجت لها رؤوس قابضة على حافة البئر دائرة بالتّنور كله، ودَوْرُه أربعون شبراً، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف، وغِلظه شبر ونصف، وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعَتُها شبر، وعمقها نحو شبرين، وارتفاعها عن الأرض خمسة أشبار، تُملأ ماءً للوضوء، وحولها مصطبة دائرة يرتفع الناس إليها ويتوضّأون عليها».

ثم يذكر لنا وهو يتحدّث عن الحجر الأسود، موقعه وصفته، وما يلاقيه الحاج من لُدونة عند تقبيله، ويصف الحجر الأسود تشبيهاً بالخال:

«والحجر الأسود المُبارك مُلْصَقٌ فى الركن الناظر إلى جهة المشرق، ولا يُدْرَى قدرُ ما دخل فى الركن، وقيل إنّه داخل فى الجدار بمقدار ذراعين، وسعته ثلثا شبر، وطوله شبر وعُقَد، وفيه أربَعُ قِطَع ملصقَة.

ويقال: إن القَرْمَطِيّ (۱)- لعنه اللَّه- كان الذى كسرَه، وقد شُدّت جوانبه بصفيحة فضّة يلوح بصيص بياضها على بصيص سواد الحجر ورونقه الصقيل، فيبصر الرائى من ذلك منظراً عجيباً هو قَيْدُ الأبصار.

وللحَجَر عند تقبيله لُدُونة ورطُوبة يتنعّمُ بها الفمُ حتّى يَودّ اللاثم أن لا يقلع فمه عنه، وذلك خاصّية من خواصّ العناية الإلهيّة، وكفى أن النبيَّصلى الله عليه و آله ... قال:

۱- ۱ يشير إلى طاهر الجنابى وإغارته على مكة، وقتله الحاج، وقلعه الحجر الأسود، وحمله معه إلى البحرين.

ص: ۲۸۸

«الركن يمين اللّه فى الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه».

وفى القطعة الصحيحة من الحجر مما يلى جانبه الذى يمين المستلم له- إذا وقف مُستقبِله- نقطة بيضاءصغيرة مُشرِقة تلوح كأنها خالٌ فى تلك الصفحة المباركة، وفى هذه الشامة البيضاء أثَر: «إن النظر إليها يجلو البصر»، فيجِبُ على المقبّل أن يقصد بتقبيله موضعَ الشامة المذكورة ما استطاع».

ويتابع ابن جبير وصفه للحرم الشريف بذكرصوامعه.

«وللحرم سبعصوامع: أربع فى الأربعة جوانب، وواحدة فى دار الندوَة، وأخرى على باب الصفا، وهى أصغرها، وهى عَلَم لباب الصفا، وليس يُصْعَدُ إليها لضيقِها، وعلى باب إبراهيمصومعة قد ذُكرَت عند باب إبراهيم فيما بعد».

ثم يصف لنا ابن جبير كيفية كسوة الكعبة فى ذلك الزمان بقوله:

«وكسوة الكعبة المقدسة من الحرير الأخضر، وهى أربع وثلاثون شُقة:

فى الصفح الذى بين الركن اليمانى والشامى منها تسع، وفى الصفح الذى يقابله بين الركن الأسود والعراقى تسع أيضاً، وفى الصفح بين العراقى والشامى ثمان، وفى الصفح بين اليمانى والأسود ثمان أيضاً، قد وُصِلت كلها فجاءت كأنها ستر واحد يعمّ الأربعة جوانب، وقد أحاط بها من أسفلها تكفيف مبنى بالجص، فى ارتفاعه أزيَد من شبر، وفى سعته شبران أو أزيَد قليلًا، فى داخله خشب غير ظاهر، وقد سُمّرَت فيه أوتاد حديد فى رؤوسها حلقاتُ حديد ظاهرة، قد أُدخِلَ فيها مَرَسٌ من القِنّب غليظ مفتول، واستدار بالجوانب الأربعة بعد أن وُضع فى أذيال الستور شبه حُجَز (۱) السراويلات، وأُدخل فيها ذلك المَرَس، وخُيّطَ عليه بخيوط من القُطْن المفتولة الوثيقة، ومجتمع الستور فى الأركان الأربعة مخيّط إلى أزيد من قامة، ثم منها إلى أعلاها تتصل بعُرًى من حديد يُدْخَلُ بعضها فى بعض، واستدار أيضاً بأعلاها على جوانب السطح تكفيف ثانٍ، وقعت فيه أعالى الستور فى

۱- ۱ الحجز/ الواحدة حجزة: موضع التكة من السراويل.

ص: ۲۸۹

حَلَقات حديـد على تلك الصـفة المـذكورة، فجاءت الكسوة المباركة مخيّطة الأعلى والأسـفل، وثيقة الأزرار، لا تُخْلَعُ إلا من عام إلى عام عند تجديدها، فسبحان مَن خلّد لها الشرف إلى يوم القيامة، لا إله سواه».

ثم يصف لنا ابن جبير منبر الخطيب- خطيب المسـجد الحرام يوم الجمعـة- ويبين لباسه الـذى يرتـديه. وذكر الرايتين السوداوين اللتين تركزان فى أول درجة من المنبر.

«وبإزاء المَقام الكريم مِنبرُ الخطيب، فإذا كان يوم الجمعة، وقَرُب وقت الصلاة، ضُمّ إليصفح الكعبة الذى يقابل المقام، وهو بين الركن الأسود والعراقى، فيُسْنَد المنبر إليه، ثم يُقبلُ الخطِيبُ داخلًا على باب النبيِّصلى الله عليه و آله، وهو يقابل المقام فى البلاط الآخـذ من الشرق إلى الشـمال، لابساً ثوب سَوَاد مرسوماً بـذهب ومتعمماً بعمامـة سوداء مرسومة أيضاً، وعليه طَيْلسان شَرْب رقيق، كل ذلك من كُسا الخليفة التى يُرْسِلُها إلى خُطباء بلاده، يرفُلُ فيها وعليه السـكينة والوقار، يتهادى رُوَيداً بين رايتين سوداوين يمسـكهما رجلان من قَوَمَة المؤذنين، وبين يـديه ساعياً أحدُ القَوَمة، وفى يده عودٌ مخروط أحمر قد رُبط فى رأسه مَرَسٌ من الأديم المفتول دقيق طويل، فى طَرفه عَذَبةصـغيرة ينفضُها بيـده فى الهواء نفضاً فتأتى بصوت عالٍ، يُسْمَعُ من داخل الحرم وخارجه، كأنه إيذان بوصول الخطيب، ولا يزال فى نفضـها إلى أن يقرب من المِنبر، ويسـمونها «الفَرْقَعة»، فإذا قرُبَ من المنبر عرّج إلى الحجر الأسود فقبّله ودعا عنده، ثم سـعى إلى المنبر والمؤذن الزمزَمى، رئيس المؤذنين بالحرم الشـريف، ساعٍ أمامه، لابساً ثيابَ السواد أيضاً، وعلى عاتقه السـيف يمسـكه بيـده دون تقلّد له، فعندصـعوده فى أول درجة قلّده المؤذن المذكور السـيف، ثم ضـرَبَ بنعلةِ سـيفِه فيها ضربةً أسمع بها الحاضرين، ثم فى الثانية، ثم فى الثالثة، فإذا انتهى إلى الدرجة العليا ضرب ضربة رابعة، ووقف داعياً مُستقبِلَ

ص: ۲۹۰

الكعبة بدعاء خفى، ثم انفتلَ عن يمينه وشماله وقال: السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، فيردّ الناس عليه السلام، ثم يقعد، ويبادر المؤذنون بين يديه فى المنبر بالأذان على لسان واحد، فإذا فرغوا قام للخطبة فذكّر ووعظَ وخشّع فأبلغ، ثم جلس الجلسة الخطيبية، وضرب بالسيف ضربة خامسة، ثم قام للخطبة الثانية فأكثر بالصلاة على محمدصلى الله عليه و آله وعلى آله ورَضّى عن أصحابه، واختصّ الأربعة الخلفاء بالتسمية رضى اللَّه عن جميعهم، ودعا لعميّ النبيّصلى الله عليه و آله حمزة والعباس وللحسن والحسين، وَوالى الترضّى عن جميعهم، ثم دعا لأُمهات المؤمنين زوجات النبيّصلى الله عليه و آله، ورَضّى عن فاطمة الزهراء وعن خَديجةَ الكبرى بهذا اللفظ ....

وفى أثناء الخُطبة تُركَزُ الرايتان السوداوان فى أول درجة من المنبر، ويمسكهما رجلان من المؤذنين، وفى جانبى باب المنبر حلقتان، تُلقَى الرايتان فيهما مركوزتين، فإذا فرغ من الصلاة، خرج والرايتان عن يمينه وشماله، والفرقعة أمامه على الصفة التى دخلَ عليها، كأن ذلك أيضاً إيذان بانصراف الخطيب، والفراغ من الصلاة، ثُم أُعيد المنبر إلى موضعه بإزاء المقام».

ثم يذكر لنا ابن جبير خصائص يمتاز بها الحرم المكى، والبيت العتيق لما له من بركة واهتمام سماوى وسمات نورانية:

«والبيت العتيق مبنى بالحجارة الكبار الصُمّ السُمر، قد رُصّ بعضُها على بعض، وأُلصِقَتْ بالعَقْد الوثيق إلصاقاً لا تُحِيله الأيام، ولا تقصمه الأزمان، ومن العجيب أن قطعة انصدعت من الركن اليمانى فسُمّرت بمسامير فضة، وأُعِيدَت كأحسن ما كانت، والمسامير فيها ظاهرة.

ومن آيات البيت العتيق أنه قائم وسط الحرم كالبُرج المُشيّد وله التنزيه الأعلى. وحمام الحرم لا تُحْصى كثرة، وهى من الأمن بحيث يُضْرَبُ بها المثل، ولا

ص: ۲۹۱

سبيل أن تنزل بسطحه الأعلى حمامة، ولا تحلّ فيه بوجه، ولا على حال، فترى الحَمام يتجلّى على الحرم كله، فإذا قرُبت من البيت عَرّجت عنه يميناً أو شمالًا، والطيور سواها كذلك.

ومن آياته أن بابه الكريم يُفْتَحُ فى الأيام المعلومة المذكورة، والحرم قد غصّ بالخلق، فيدخله الجميع ولا يضيق عنهم بقدرة اللَّه عزّ وجلّ ولا يبقى فيه موضع إلا ويُصلّى فيه كل أحد، ويتلاقى الناس عند الخروج منه، فيسأل بعضهم بعضاً: هل دخل البيت ذلك اليوم؟ فكلٌّ يقول: دخلتُ وصليتُ فى موضع كذا وموضع كذا حيثصلّى الجميع، وللَّه الآيات البينات والبراهين المعجزات، سبحانه وتعالى.

ومن عجائب اعتناء اللَّه- تبارك وتعالى- به أنه لا يخلو من الطائفين ساعةً من النهار، ولا وقتاً من الليل، فلا تجد من يُخبر أنه رآه دون طائف به، فسبحان من كرّمه وعظّمه وخلّد له التشريف إلى يوم القيامة».

أبواب الحرم: ثم نعرج مع ابن جبير عند ذكره لأبواب الحرم المكى الشريف معدّداً إياها مميزاً بينها.

«للحرم تسعة عشر باباً، أكثرها مُفَتّح على أبواب كثيرة، حسبما يأتى ذكره إن شاء اللَّه:

باب الصفا: يفتح على خمسة أبواب، وكان يسمّى قديماً بباب بنى مَخزُوم.

باب الخلقيين: ويُسمّى بباب جِيَاد الأصغر مفتّح على بابين، هو مُحْدَث.

باب العباس رضى الله عنه: هو يفتح على ثلاثة أبواب.

باب على رضى الله عنه: مفتح على ثلاثة أبواب.

ص: ۲۹۲

باب النبيّصلى الله عليه و آله: يفتح على بابين.

بابصغير أيضاً بإزاء باب بنى شيبة المذكور: لا اسم له.

باب بنى شيبة: وهو يفتح على ثلاثة أبواب، وهو باب بنى عبد شمس، ومنه كان دخول الخلفاء.

باب دار الندوة: ثلاثة (۱)، البابان من دار الندوة منتظمان، والثالث فى الركن الغربى من الدار.

فيكون عدد أبواب الحرم بهذا الباب المنفرد عشرين باباً.

بابصغير بإزاء بنى شيبة خَوْخة (۲) الأبواب: لا اسم له، وقيل: إنه يُسمّى باب الرباط، لأنه يُدخَل منه لرباط الصوفية.

بابصغير لدار العَجَلة: مُحْدَث.

باب السدّة: واحد.

باب العُمْرة: واحد.

باب حَزْوَرَة: على بابين.

باب إبراهيم عليه السلام: واحد.

باب يُنْسَب لحَزْوَرَة أيضاً: على بابين.

باب جياد الأكبر: على بابين.

بـاب يُنسَب لجياد أيضاً: على بابين، ومنهم من ينسب البابين من هـذه الأبواب الأربعـة الجياديـة إلى الـدقّاقين، والروايات فيها تختلف، لكنا اجتهدنا فى إثبات الأقرب من أسمائها إلى الصحة، واللّه المستعان لا ربّ سواه».

۱- ۱ أى يفتح على ثلاثة أبواب.

۲- ۲ الخوخة: الباب الصغير فى الباب الكبير.

ص: ۲۹۳

مكّةُ وآثارها الكريمة، وأخبارها الشريفة: ثم يصف لنا ابن جبير جغرافية مكّة، وما تتضمنها من تضاريس وتكوينات بيولوجية، وذكر أبوابها، ومدافن المسلمين فيها:

«هى بلدة قد وضعها اللَّه- عزّ وجلّ- بين جبال مُحْدِقة بها، وهى بطن واد مقدس، كبيرة مستطيلة، تسع من الخلائق ما لا يُحصيه إلا اللَّه عزّ وجلّ.

ولها ثلاثة أبواب: أولها باب المَعْل، ومنه يُخرَج إلى الجَبّانة المباركة، وهى بالموضع الذى يُعرف بالحَجون، وعن يسار المارّ إليها جبل فى أعلاه ثنيّة عليها علم شبيه البرج، يُخْرَجُ منها إلى طريق العُمْرة، وتلك الثنية تُعرف بكَداء، وهى التى عنى حسّان بقوله فى شعره: تُثِيرُ النقْعَ موعدُها كَداء (۱).

وبالجَبّانة المذكورة مدفن جماعة من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين قد دَثَرَت مشاهدُهم المباركة، وذهبت عن أهل البلد أسماؤهم ....

ثم باب المَسفل: وهو إلى جهة الجنوب، وعليه طريق اليمن ....

ثم باب الزاهر: ويعرف أيضاً بباب العُمْرَة، وهو غربى، وعليه طريق مدينة الرسولصلى الله عليه و آله وطريق الشام وطريق جُدّة، ومنه يُتَوجّه إلى التنعيم، وهو أقرب ميقات المعتمرين، يُخرَج من الحرم إليه على باب العمرة، ولذلك أيضاً يسمّى هو بهذا الاسم».

ويستمر ابن جبير فى حديثه فيذكر مشاهدها المكرمة من قُبة الوحى، والبقعة التى تبركت بولادة الرسولصلى الله عليه و آله على ثراها، أو دار الخَيْزُران التى كان النبيُّ يعبد اللَّه فيها سرّاً، وجبل ثور وغير ذلك ذكراً جميلًا ويصفها وصفاً بارعاً.

«فمن مشاهدها التى عاينّاها قُبة الوحى، وهى فى دار خديجة أمّ المؤمنين- رضى اللَّه عنها- وبها كان ابتناء النبيّصلى الله عليه و آله بها، وقبةصغيرة أيضاً فى الدار

۱- ۱ هو عجز بيت لحسان بن ثابتصدره: عدمنا خيلنا إن لم تروها.

ص: ۲۹۴

المـذكورة فيها كان مولد فاطمة الزهراء- رضـى اللّه عنها- وفيها أيضاً وَلَدتْ سَـيِّدَى شـباب أهل الجنة: الحسن والحسـين- رضـى اللّه عنهما (۱)- وهذه المواضع المقدسة المذكورة مُغْلَقة مصونة قد بُنِيَت بناءً يلِيقُ بمثلها.

ومن مشاهدها الكريمة أيضاً مولد النبىّصـلى الله عليه و آله، والتربة الطاهرة التى هى أول تربة مسّت جسمه الطاهر، بُنَى عليها مسجد لم يُرَ أحفل بناءً منه، أكثره ذهبٌ منزّل به، والموضع المقـدّس الذى سـقَط فيهصـلى الله عليه و آله ... يُفْتَح هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافةً متبركين به فى شـهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه؛ لأنه كان شـهر مولد النبىّصلى الله عليه و آله وفى اليوم المذكور وُلِدصلى الله عليه و آله، وتُفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها، وهو يوم مشهود بمكة دائماً.

ومن مشاهدها الكريمة أيضاً دار الخَيْزُران، وهى الدار التى كان النبىّصـلى الله عليه و آله يعبد اللّه فيها سـرّاً مع الطائفة الكريمة المبادِرة للإسلام من أصحابه- رضى اللّه عنهم- حتّى نشر اللّه الإسلام منها ....

ومن الجبال التى فيها أثر كريم ومَشـهد عظيم، الجبل المعروف بأبى ثور، وهو فى الجهـة اليمنيـة من مكّـة على مقـدار فرسخ أو أزيد، وفيه الغار الذى آوى إليه النبىّصلى الله عليه و آله معصاحبه ....

وأكثر الناس ينتابون هـذا الغار المبارك، ويتجنّبون دخوله من الباب الـذى حدث اللّه- عزّ وجلّ- فيه، ويرومون دخوله من الشق الذى دخل النبىّصـلى الله عليه و آله منه تبرّكاً به، فيمتـد المحاول لـذلك على الأرض، ويبسط خـدّه بإزاء الشق، ويولج يديه ورأسه أولًا، ثم يعالج إدخال سائر جسده، فمنهم من يتأتّى له ذلك بحسب قَضَافَة بدنه (۲)، ومنهم من يتوسط بدنه فم الغار فيعضّه (۳) فيروم الدخول أو الخروج فلا يقدر فيَنْشَب (۴)، ويلاقى مشقّة وصعوبة، حتى يُتَناوَل بالجَذْب العنيف من ورائه.

۱- ۱ فى سائر التواريخ أن الحسن والحسين ولدا فى المدينة.

۲- ۲ القضافة: النحافة.

۳- ۳ يعضه: أراد يمسك به.

۴- ۴ ينشب: يعلق.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةَ

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.